

روايات أحالم



كانت له

www.liilas.com





كانت له

عاشت ايروبييل خمس سنوات من حياتها في قلب الموت ، وهل
هناك موت أصعب من فقدان الذاكرة ...
ثم رأت ضوءاً وانتعش الأمل في قلبها لكنه
سرعان ما تلاشى ...
امتدت إليها يده في عتمة ذاكرتها ، يد اليوت روتشاردسون : هل
هي يد عدو أو صديق ، هل سينقذها اليوت أم يعيدها إلى شفير
الضياع ،
قالت له ، هذا الرجل يسكنني ... يسكن أعماق كياني ... هذا ما
أشعر به .
يبدو لي هذا مضحكاً ... امرأة فتية جميلة يسكنها وجع ميت .
أنت لا تصلقني .
لا ... إنه لا يصدقها ... وما عليها إلا أن تحضر هنا الجدار
باختلافها بحثاً عن صوه أو أن تندع الماضي مدفوناً حيث هو إلى
الأبد ...

١ - الضوء الهاوب

b3

حدث ذلك لأول مرة وهي في السيارة، كان الوقت متأخر وكان ضوء النهار قد بدأ بالانحسار. في المرة الثانية حصل ذلك في السوبر ماركت وفي وضع النهار، وفي المرة الثالثة خلال حفلة راقصة. عندئذ فررت أيزوبيل إخبار زوج والدتها بما حصل معها.

في المرة الأولى، كانت أيزوبيل تقود سيارتها وتحاول تأخير موعد وصولها إلى المنزل لأنها كالعادة تخلف من الموعدة. راحت تقود السيارة ببطء وعندما مررت بها سيارة سوداء سريعة توقفت على أحد التقاطعات. كانت آنذاك تفكّر في المهمة التي كلفها بها زوج أمها لتأكد أنها لم تنس أي شيء، فلن نسي شيئاً نعكر مزاجه طوال السهرة. فجأة أبصرت أضواء السيارة الأخرى التي مررت بها بسرعة، وشاهدت العلامة البيضاء إلى جانب الطريق وشاهدت الأشجار والخدق عن شمالها، عندئذ ومن دون أن تدري فاضت ذكرها بالأضواء، لم تر أي شيء أو أي صورة، لم تتذكر شيئاً، لكنها شعرت بالخوف الشديد وأخذت ترتجف. اضطررت إلى التوقف وبينما يتلاشى عنها ذلك الشعور ثم عادت تقود السيارة بالتجاه للمنزل.

في المرة الثانية حدث ذلك بعد أسبوع في السوبر ماركت. كانت تشتري الأطعمة لزوج أمها لأنه لا يتقى بمديرية المنزل. راحت تدفع العربة أمامها وهي تنظر إلى الرفوف. كان ذلك يوم الاثنين، لم يكن اللعنون مزدحاماً، اتجهت نحو جناح الأطعمة شاهدت في آخر الجهة الثالثة رجالاً يرتدون سترة سوداء، شاهدتهن للحظة فقط. وللمرة الثانية تكرر ذلك:

ملات الأضواء، عينيها وشعرت بالحروف مرة أخرى.

هذه المرة كانت أشد وطأة من المرة السابقة، فعنتما ومضت الأضواء في عينيها تمايلت قليلاً نضجت بيدها على عينيها وانكللت إلى أحد الرفوف. في هذه اللحظة مررت بها امرأة تتبع فوضعت يدها بلطف على ذراعها وسألتها: هل أنت يخبر حبيبي؟

فتحت إيزوبيل عينيها، كان الرجل قد رحل، حركت رأسها وأجايتها:

-شكراً، أنا بخير، شعرت فقط بدوافع بسيط، هذا كل شيء.

ابسمت المرأة وقالت لها: لا تلومي نفسك يا حبيبي، الجلو فاسد في الداخل.

في المرة الثالثة، اختفى الأمر عن السابق. كانت إيزوبيل في المنزل تشوق لحضور حلقة ستقام في القرية المجاورة. في بادئ الأمر، تردد زوجها بالذهاب، وأخيراً وافق شرط الأيمان بكتوريا هناك طويلاً. لم تكن إيزوبيل تخرج من المنزل إلا قليلاً فمنذ خمس سنوات لم تذهب إلى حلقة. لم تحاول التعرف إلى أحد ولكن زوجها عرفها إلى ابن أحد أصدقائه. كانت تتحدث إلى ذلك الشاب الذي كان ينعم النظر إلى وجهها وهي شعرها الأسود المسترسل على كتفها.

رفعت إيزوبيل نظرها إليه، فاعتنى الأضواء هذه المرة وطست وجهها، ولكنها لم تشعر بالحروف بل أحسست بفرحة غريبة عارمة كالفنون الذي يهرب إليها. راح الشاب ينظر إليها يقلق لأنها يعرف كثيرة من أهل القرية أنها مريضة وقد أحدثت عينيها إلى الحفلة، لرياحاً وتعجبًا لدى الحاضرين.

سأله: هل أنت على ما يرام؟

-أجل، أنا بخير، أشعر فقط بضيق في التنفس. أريد الجلوس.

عادها الشاب إلى مقعدها فجلست وهي تحاول التمسك بهذا الشعور والاحتضان به، ولكنه سرعان ما اخضى فشعرت بحرارة عميقة.

كان زوج أمها يراقبها بانتباه طوال الوقت، فلما لاحظ الارتباك على عبادها طلب منها العودة إلى المنزل فوافقت وأطاعت.

في طريق العودة، ظلت إيزوبيل صامتة وهي جالسة في السيارة إلى جانب زوج أمها. عندما نظرت إلى الخارج أحسست بشعور عزوج بالحقيقة والنصر.

سبقت أن قال لها زوج أمها إنه لن يحدث ذلك أبداً ولكنه كان خطأ للذكريها أخذت تعود وبذلت السائر ترتفع.

في اليوم التالي، وقفت في غرفتها تنظر في المرأة. لقد ورثت نظرات أمها، فالذين يعرفونها يقولون لها إن الشبه بينهما غريب جداً. كان شعرها كثيفاً، رائعاً، يشكل هالة من الظل حول وجهها الشاحب، وكانت عيناهما وأسنانهن كثيراً بالنسبة لوجهها، لوبيها أسود على أزرق. كان والدتها يؤكد أن لوبيها أزرق دائم، أما أمها فكانت تقول لها بصورة رومانسية إن عينيها كلن البحر في الليل.

بدت عينها تعجلاً وقفاً واسماً وشرها شاحبة ربما لأن المرأة قديمة مرقطة. بدت في انعكاس المرأة غامضة كالشبح ولكنها فعلاً تشعر وكأنها شبح. كل مرة حاولت أن تعرف أي فتاة كانت فيما مضى، ففي هذه المرأة التي هي الآن لم تجد نفسها فقط. ابتدعت عن المرأة والمرساة في قلبها. إيزوبيل الماضي ذهب وضاعت، أما الآن فلولا ذلك الضوء الغريب، أو يمكنني آخر لولا هذا الباب المنفلت الذي افتح فجأة أمامها لظلت أن إيزوبيل للحقيقة شامت إلى الأبد.

نظرت بفنداد صبر من النافذة وراحت تتأمل اليسابعين في الخارج. إنه شهر كانون الثاني، الطقس بارد وقارس، واليسابعين التي كانت رائعة أيام الصيف يدت حرارة الآآن. شعرت إيزوبيل بالحرارة ثلث قليلاً لأنها شعرت أحياناً بأن هذا المنزل أشبه بالسجن. لقد توجه زوج أمها بعد الحادث إلى هنا، إلى هذا الريف الذي لم تعش فيه إيزوبيل من قبل، والذي لا تعرف فيه أحداً. وحسب قوله إنه انتقل إلى هذا المكان من أجل سلامتها لأنها تحتاج إلى

الآتة سانت ايوبين في أقرب وقت إلى المنزل، فهي لم تأتِ في عطلة الميلاد.
ليس بإمكانك تحمل المسؤولية بمفردك.

قالت ايزوبيل وقلبها يكاد ينفطر من الحزن: حاولت مراراً بربنيس
يجب عدم إزعاج زوج أمها بإخباره عن الأسواء الغربية التي تلاحظها،
فاللهافي للرة الأخيرة عندما سأله عن الحادث وعن بوليوس.

- قلبي لا يتحمل ذلك، لماذا تسألي يا ايزوبيل؟ من على الحادث نفس
سوات، لا تفاجئني بهذا الموضوع لأنك تزبدين الأمور سوءاً.
حدث ذلك بعد هدوءها من السوبرماركت، باستطاعتها أن تذكر
صوت ادوارد وهو غاضب ومتغطرس، وهي الآن تحاول من إعادة هذا الشهد
لذلك تقليت فضلاً عنها هذا الازعاج وقالت لبرنيس: تعرف بوري جيداً
وضع أبيها، لكنها مشتركة كثيراً، لا يمكنها ترك عملها. قالت إنها
ستحضر عندما تنهي عرض الأزياء الذي شترك فيه في سويسرا وهي مضطربة
إياها للسفر إلى نيويورك.

انقلب برنيس فمها بإحكام وهرت رأسها.. لم تكن برنيس تحب
بوري..

- حسناً، أعتقد أن عليك إعلامها بالأمر مرة ثانية، أعني إذا حصل
شيء لوالدها وهي غائبة قتلون دامت تقليها، أليس كذلك؟
اجابتها ايزوبيل: «لا أدرى إن كانت ستلوم نفسها. المكملة مع بوري
أن لا يمكن الانكماش عليهما بأي شيء». إنها متهمسة كبيرة بعملها فهي لا تذكر
ولا تهم بعرض والدها، على كل مأتنصل بها هذه الليلة».

بعد ساعة، حضرت بوري إلى المنزل. كانت قد أنهت عرضها في سويسرا
وهي حالياً تم بالسفر إلى نيويورك وبعدها ستذهب إلى باريسادوس، لكنها
ستتمكن يومين في المنزل. ذكرت ايزوبيل أن بوري قد بذلك جهذاً كبيرة
لتتمكن من رؤية والدها لفترة وجيزة قبل استئناف سفرها، فهي لا تستقر
أبداً في مكان واحد.

لدى وصول بوري، انقلب المنزل كالعادة رأساً على عقب فنديرة المنزل

الهواء المنعش وإلى الراحة، لكن إلى متى؟ أرادت ايزوبيل أحياناً الصراح
بوجهه فقد مضى على وجودها هنا خمس سنوات بدت لها كالأبدية.
في بادي الأمر، كان مرضها هو سبب وجودهم هنا، أما الآن فأصبح
مرضه السبب. نظرت إلى ساعتها، إنها الرابعة. في مثل هذا الوقت من كل
يوم تلعب إلى غرفته لتناول الشاي منه بعد أن يستيقن من قبوله، لكنها
تشعر دائمًا بعدم الرغبة في اللعب وهذا ما يشعرها بالذنب. إنه مريض لها
لا تقدر أن تلومه على سرعة فقضيه وتذمره، فقد تاقت لها المرضية إنه يتلقى
كثيراً رغم المكبات التي يتناولها. كان دائمًا طيباً معها، حضنها وعاملها
كافحة بوري بالتساوي، كانت ترتدي الألبسة الجميلة ذاتها وتنام في غرفة النوم
نفسها وكان يتفق عليها سخاء. بعد موته والدتها، وعندما دفنت والدعا
أن تستظل إليه قال لها وكانت آنذاك في الثانية عشرة من عمرها: تيقن هنا مع
بوري وهي، إنه منزلك الآن وأنت والدك.

كان ادوارد سانت ايوبين رجالاً صارماً. هذه هي الحقيقة. فهو تعيش
معه منذ الثامنة أما والدها الحقبي فلم تره إلا نادراً وهي لا تكاد تتذكره.
قدم لها ادوارد كل شيء. إنها تمنته له، لكنها لا تقدر أن تعيش على هذا
النحو، يغضّ النظر عن شعورها نحوه. الآن، وهي تصعد الدرج إلى غرفته
تشعر بأنها تحاول أن تخبره بذلك الشاهير التي تحس بها. تفت لو أن بوري
موجودة لتخبرها بما تشعر به حال هذا الحمل الثقيل.

وصلت إلى غرفة زوج أمها فافتتحت عينها بانتظارات مرضه «برنيس»
التي كانت في ريعها الثالث والعشرين. هي من جيل ايزوبيل تقريباً، قوية
البنية، وقد تعايشت مع انتقالات ادوارد وثورات خطبه أفضل من
المرضى السابقات. إنها هنا منذ ستة أشهر.

سألتها ايزوبيل عن حاله فأجابتها المرضة:
- ليس سيّاً جداً، ينام أفضل من السابق ومزاجه أحسن. يبدو أن
حبوب الدواء الجديدة تفعده فضلاً عنه ليس كلماضي. إنه يتعافى، لكن
قد يرحل فجأة إلى الأبد فما زال صدره يؤلمه. أعتقد أن من الأفضل أن تعود

السيدة سبیر التي تحبها كثيراً، ملأت المنزل بالزهور. ها هي الآن في المطبخ، تحضر الكعك والحلويات لكن بوبى كعادتها لن تلمس شيئاً من كل تلك الأطعمة فهي تحب حيلة كالطيال، ظلت بوبى طوال النهار متحركة المزاج.

عندما دخلت من الباب عين المنزل بسحابة من العطر. كان شعرها الأسود قصيراً جداً وشققها قرميزية لامعنة، وكانت ترتدي ثياباً جبلية. حينها ايزوويل بحياة لأنها تحب أكثر وأكثر أنها خرقه أيام بوبى التي تتضخم بالحيوية والإثارة، شعرت فجأة أن تلك اللحظات الجديدة اللامعة بالحيوية والتي تستعيد خلالها بعض ذكرياتها، تبدو بلا قيمة للذالم تفصح عنها ولكن هذا لم يرها بل أشعرها بانشياض في العذر.

عندما أصبحت بوبى قريبة منها أرسلت لها قبلة روتيبة وسائلها وهي تلتصق كعادتها: كيف حال العجوز القذر؟ جلست له بعض الشوكولا السوسية المصطنع. سيخبئها من غير شك. إنه عيف وجشع. توقدت فجأة للناثني نظرة فاحصة على ايزوويل من رأسها إلى أخمص قدماها. قالت لها: «حيثي ا تيدرين واحدة، أنتِ أفضل بكثير من السابق، نعم...».

ضفت على شفتيها كالماء ذات شيئاً برق لها كلياً وتابت:

- إنك جبلة جداً، لكن ما هذه الشياكة التي ترتد فيها؟ سأتكلم مع والدي، يجب أن تشرقي بعض الألبسة الجديدة.

بدأت الآن كالماء في برجها العالى، كانت بوبى تحب أن تلعب دور سيدة القصر، تكلل الموظفين عد والذئع معجبون بآفاقها وسحرها.. ثم اعتدت أنها تسترب الشاي مع أبيها بمفردها وأنه من غير الضروري أن تضم ايزوويل اليهما. خسرت ايزوويل مناسبة وفرصة جديدة لتتكلم عن مشاعرها وما يحدث لها، فاختارت بعض الإيجابيات. لم تظهر بوبى حتى الساعة السابعة تقريباً، حيث اعتدت أنها ستتناول طعام العشاء مع شقيقتها. في الساعة السابعة والنصف تقريباً جاءت بوبى إلى المكتبة، حيث كانت ايزوويل تقرأ.

بدأت بوبى في مزاج سيء.. تقدمت بسرعة نحو الأريكة وارقت عليها

وقالت: هل تعرفين ايزوويل. لا أدرى كيف تطبقين والدى؟ نظرت إليها ايزوويل بقلق وسائلها: هل يمر بأي سوء؟ كان يتظر قدموك. لا تدرين أن الإثارة تضره، وتحمله سريع الانفعال والحساسية؟

اشتعلت بوبى سجاورة وسحبت نفساً عميقاً وقالت: سريع الانفعال والحساسية؟ أهلاً ما تسببه؟ بصراحة لا أدرى إذا كان وجودي يضره. قطعت كل هذه المائدة وأنسدت برنامج عمل لاتى إلى هنا ولكن روبيه بالحقيقة تضايقنى.

نظرت إلى ايزوويل وضحكـت ثم قالت لها مخـلدة: لاحظت الاعـراض على عـبكـا ساقـعـت عـلـيكـ الـكلـام قبل أن تـدـنـيـ إنـكـ تـلـقـيـنـ عـلـيـهـ كـثـيرـاـ، ولـكـهـ يـنظـرـيـ قـويـ كـالـحـصـانـ وـهـ رـبـماـ أـفـضـلـ حـالـاـ مـنـاـ. فـصـفـ مـرضـهـ وـهـمـ، وـالـصـفـ الـاـخـرـ ظـاهـرـ بـهـ ليـصـلـ إـلـىـ مـرـادـ، وـلـيـهـ بـالـذـينـ مـنـ حـولـهـ، وـخـاصـةـ أـنـتـ. فعلـ ذلكـ سابـقاـ معـ أـمـكـ إـذـاـ كـتـ تـذـكـرـينـ. وـلـبـسـ مـعـ أـمـيـ التيـ كـانـتـ تـعـرـفـ كـيفـ تـخـلـصـ مـنـ سـيـطـرـهـ. وـلـكـنـيـ رـاقـبـهـ معـ أـمـكـ، بالـمـقـبـلةـ لـهـ أـذـاقـهـ الـمـرـ وـاستـزـفـ جـابـهـ. يـبـبـ أـنـ تـذـكـرـيـ ذـلـكـ فـهـاـ أـنـ تـسـمـعـنـ لـهـ الآـنـ أـنـ يـقـعـلـ بـكـ الشـيـ ذـاهـ.

هزـتـ ايزـوـيلـ رـاسـهاـ وـقـالـتـ بـصـرـ: أـعـلـمـ كـلـ شـيـ، وـأـعـرـفـ مـاـ حدـثـ لـوـالـدـيـ، لـكـنـ.. . . رـبـماـ كـانـ هـنـاكـ سـبـبـ لـتـصـرـفـهـ.

حدـقـتـ بـوـبـىـ إـلـىـ اـيزـوـيلـ يـدـلـةـ وـقـالـتـ لـهـ: لـلـأـسـفـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ أـيـ شـيـ، فـالـسـكـيـكـةـ كـادـتـ تـفـقـدـ عـقـلـهـ وـأـنـاـ أـكـبـدـ أـنـهـ اـرـادـ ذـلـكـ. كـانـ وـالـدـيـ غـيـرـاـ. لـقـدـ اـبـهـمـهـ بـالـخـيـانـةـ، هـلـ تـذـكـرـينـ؟ أـنـاـ آسـفـاـ

ایـسـمـتـ اـيزـوـيلـ وـقـالـتـ لـهـ: أـذـكـرـ ذـلـكـ، كـمـ اـذـكـرـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ عـنـ طـلـولـتـاـ وـلـكـنـ الـرـسـلـةـ الـأـخـرـةـ هيـ الـخـاطـرـةـ وـالـمـوـسـدـةـ أـمـامـيـ. أـذـكـرـ ذـلـكـ الـرـجـلـ.. . . كـانـ طـوـيلـ الـقـامـةـ، شـعـرـ أـسـوـدـ. أـذـكـرـ أـيـّـاـ جـاـدـاـ. أـجـلـ أـذـكـرـ ذـلـكـ الرـجـلـ. كـانـ وـالـدـيـ بـلـوـيـسـ الـيـسـ كـلـذـلـكـ؟

سـحبـتـ بـوـبـىـ نـسـأـ عـمـيقـاـ مـنـ سـجـارـهـاـ وـراـحتـ تـحـذـقـ إـلـىـ اـيزـوـيلـ بـعـمقـ وـقـالـتـ يـطـهـ: حـسـأـ، حـسـأـ، حـسـأـ.. . . إـنـاـ الـرـأـيـ الـأـوـلـيـ الـيـ أـسـعـكـ فـيـهاـ

ذكر

ذكرين هذا الاسم. ما الذي دفعك إلى ذكره؟

- لا شيء، لكنني أسامد هذه الحياة، هذا كل شيء.

رمي بوري السجارة وقال لها بفخر صير: حسناً، بصراحة إيزوبيل أخبرناك مراراً وكل الأطباء أخبروا الوالد أن عليك أن تضمي كل ذلك خارج تفكيرك، فهذا أفضل لك.

أجابتها إيزوبيل: هذا لا يؤلمني كما تلاحظين، استطع أن أردد اسمه بكل أمان وسلامة. لم أعد أشعر بذلك الكابوس كما في السينما، أنا لا أشعر بألم أو يائسي صدمة.

كان صوتها هادئاً وعيناه تحدقان إلى بوري: أستغرب لماذا بحاول كل شخص جعل ذلك سراً بالنسبة لي؟

ردت:

- لا أحد يجعل ذلك سراً، أخبرناك بما حدث عدة مرات. كان هناك حفلة وكانت في سيارته. ثم تعرضتما لحادث واتزلت على التربة إلى الخارج فادرطن رأسك بشجرة، وعمل بعد ميل تحت الطريق حصل ليوليوس ما يحدث عادة لأولئك الشباب الذين يقودون بجهون. هذه هي نهاية الفضة. لا أدرى لماذا تريدين الآن إعادة الماضي.

عادت بوري إلى كرسيها وأنعمت سجارة أخرى.

ثم رفعت رأسها فجأة وقالت لها: أنا بحاجة إلى بعض المال ولكن ذلك المجوز لن يعطيين شيئاً.

- مال؟

حدقت إيزوبيل إلى بوري وقد تلألأ عينها العجب.

- أجمل مال، هذا هراء، فلدي الوالد الكثير من المال وأنا حتى الآن لم أحصل على أي فلس منه.

- لا شيء، لكنني أعتقد...

سحب بوري نفساً عميقاً من سجارتها وقاطعها: حسناً إيزوبيل، لا استطع انتظار مرور الأيام والستين لأحصل على إيرثني، أنا في الرابعة

والعشرين من عمرى وأصبح عجوزاً.

- لا تكوني سخينة بوراً أنت جيلة بل أجمل بكثير من أي وقت مضى.

أنت لا تتوقفين عن العمل، والمعروض تلاحظك دائماً.

نجاجات إيزوبيل عندما رأت لون ابنة عمها الجميلة يمتص نجاها والدموع تزفرق في هيبتها، ثم رأها تحفي وجهها بين يديها. فهبت واقفة وراحت تنشي في الفرقة. وقبل أن تقول لها إيزوبيل أي شيء ساحت الدمع عن وجنتها وقالت وصوتها يكاد يختنق: لدينا أمور مشتركة إيزوبيل أكثر مما تظنين، فحياتك أهارات بسبب رجل كاذب وحياته عمل وشك الانبهار بسبب رجال ذوي آخر، والآن...

تابعت بصوت خفيف، حاد، وحزين: هذا الوجود في الطابق العلوى لن يعطيه درهماً واحداً. قلت له وطلبت منه، ليه يموت.

ثم عادت تجهش بالبكاء.. جلست إيزوبيل إلى جانبها وحاولت مواساتها حتى كفت عن البكاء ثم أعطتها عرمة لتسخع دموعها ولتجفف وجهها.. كانت إيزوبيل تراقبها ف فهي تعرفها خير معرفة، وبعد زوال العاصفة، ستهاها بوري وتشرب بحسن سحري.

قالت لها: «تعالي الآن وأخبريني ما بك؟».

- ستصدين.

- لا أعتقد ذلك، إذا عوملت كقطنلة بهذا لا يعني أنني طفلة، أخبريني بوري.

حسناً، المسألة بسيطة وعزمتك... حدث ذلك منذ خمس سنوات، في السنة التي تعرضت فيها أنت للحادث. كنت طيبة.. آنذاك لم أكن نحيلة، وكانت أجمل ترتيب شعرى ووجهى، ذهبت إلى تلك الوكالة لأجد عملاً كمارضة أزياء فأعطيوني عنوان مصور يدعى ليام طوماس وهو رجل مشهور قالوا لي إنه يجب أن يقوم بتصويري في أوضاع مختلفة لكنى التken من العمل. هكذا ذهبت إلى الاستوديو، وجدته شاباً جداً ومقدماً جداً. تزوجنا بعد فترة وخلال فترة زواجهي صورني عدة صور في أوضاع مختلفة. بعد فترة

اخلفنا فهو لم يكن نظيفاً فرفضت العيش معه. وطلبت الطلاق.. فوافقت،

اما الصور فقد نسيت امرها.

بعدما تركته بدأت الدخول في حقل الازيراء فاشتغلت في وكالة.

ويمد ذلك، ابالت حل العروض من كل حدب وصوب».

توقفت لحظة، فنظرت إليها إيزوبيل وقاطعها: والآن اتصل بك

لبواجهك بتلك الصور التي التقطها لك؟

- أجل، هذا ما فعله. فهو يعرف الآن أنني أتفاضل راتباً جداً. في

الشهر السابق وقع وكيل عقداً جديداً مع شركة أميركة كبيرة متخصصة

بمستحضرات التجميل وقد أزول صورتي في كل إعلاناته التجارية وفي

التلفزيون أيضاً. سأطلق عن هذا مبلغاً عظيماً من المال كما نص عليه عقد

العمل واتصل بي ليام هانفياً في التهار التالي وطلب من عشرة آلاف استرليني

مدعياً أنه إذا باع صوري لإحدى الشركات المتخصصة حصل على هذا المبلغ،

وقال في إذا نشرت تلك الصور فستكون نهايتي فعندما تفصح الشركة العقد

معي وتنهار كل أحلامي ومشاريعي.

- من السهل ان تتبين للصحافة أني كنت زوجة.

- لا مجال للرجحة في مجال صحي. سينهي أمرى.

ضفت إيزوبيل يديها، أما بوبى فارادفت بعدما رفعت نظرها نحوها:

لم أجرب حتى الآن ألف استرليني تكيف أدفع له عشرة آلاف، فإيجار الشقة

ياعظ جداً وأنا مدبة للمصرف بسبعين لا أدرى كم هو بالتحديد.. ومن

للؤسسة لم أحصل على سلفة ولبس لدى سيارة أيها.. هكذا ترين أني لا

استطع الحصول على هذا المبلغ، والآن.. والآن، رفض والدي إعطائي

هذا المبلغ، اوه! إيزوبيل، أشعر أني في كابوس، لا أذري من العصى..

- هل أخبرته لماذا تردددين المال؟

- اخترقت له بعض الحكایات المهزية ولكنني لم أكن بارعة بما في

الكتابية. جزرت كل شيء، وقد طلبت أن يعطيوني بعض ما ساحصل عليه

من أرث بعد عماته، فهذا المترجل فقط يساوي دفع مليون استرليني وأكثر.

- أعتقد أن كل ذلك لم يعط أي نتيجة؟

ضحكـت بـوـي بـشـكـل هـسـبـيـرـي وـقـالـتـ: صـحـيـعـ، لم أـصـلـ مـعـهـ إـلـىـ أـنـهـ نـتـيـجـةـ إـيجـابـيـةـ. قـالـ لـيـ إنـهـ لمـ يـقـدـمـ لـدـيهـ درـاهـمـ وـهـذـهـ بـتـنـيـ كـذـبـةـ بـرـيـةـ. أـذـعـ أـنـهـ قدـ خـسـرـ مـعـظـمـ أـموـالـهـ فـيـ التـجـارـةـ وـفـيـ الـأـسـيـاءـ النـافـحةـ ثمـ قـالـ: إـنـيـ عـلـقـةـ أـسـتـرـلـيـهـ وـأـبـدـوـ كـالـوـمـسـاتـ، وـبـمـدـ ذـلـكـ رـاحـ يـكـلـمـ عـنـكـ.

نظرـتـ إـلـىـ إـيزـوـبـيلـ وـقـدـ تـقـلـصـتـ عـيـنـاهـاـ. ثـمـ تـابـعـتـ: أـبـرـاجـةـ إـيزـوـبـيلـ، هـنـاكـ شـيـ غـيرـ مـعـلـوـ بالـنـسـبـةـ لـوـقـعـهـ مـنـكـ. قـالـ لـيـ مـنـذـ قـلـيلـ إـنـكـ جـيـلةـ وـطـاغـيـةـ نـاثـرـ اـعـصـاـيـ، فـقـلـتـ لـهـ إـذـاـ كـانـتـ إـيزـوـبـيلـ طـاهـرـةـ جـدـاـ فـلـاـكـ لـمـ تـعـطـهـ فـرـصـةـ لـتـكـونـ فـتـاةـ أـخـرـىـ. لـمـ تـخـرـجـ قـطـ، وـلـمـ تـقـاـبـلـ أـحـدـاـ، وـإـذـاـ سـالـتـيـ مـاـذـاـ أـفـوـلـ لـكـ لـأـنـ هـاـ مـاـ تـرـيدـهـ بـالـضـبـطـ لـهـاـ!..

نظرـتـ بـوـيـ إـلـىـ إـيزـوـبـيلـ فـوـجـدـهـاـ مـضـطـرـةـ.

- أـعـتـدـ أـنـهـ خـادـعـ.

أـجـابـتـ إـيزـوـبـيلـ: إـنـهـ مـرـيـضـ جـدـاـ، وـقـدـ يـتـعـرـضـ فـيـ أـبـةـ لـخـلـةـ لـوـيـةـ قـلـبـةـ أـخـرـىـ.

أـسـتـدـتـ بـوـيـ ظـهـرـهـاـ إـلـىـ اللـنـعـدـ وـقـالـتـ: إـذـاـ حـدـثـ مـاـ تـقـولـينـ، حـلـتـ كـلـ مـشـاـكـلـ. فـيـ الـماـضـيـ، كـنـتـ تـلـكـيـنـ تـنـكـيـرـ الـخـاصـ أـمـاـ الـآنـ فـقـدـ اـنـتـقـدـتـ ذـلـكـ لـأـنـهـ كـرـشـوكـتـ إـيزـوـبـيلـ، كـمـ سـيـقـ أـنـ فـعـلـ مـعـ أـنـكـ، وـإـنـ لـمـ تـسـتـرـكـيـ فـيـ الـقـرـبـ الـعـاجـلـ، فـلـنـ تـسـتـطـيـ أـبـدـاـ أـنـ تـلـمـعـ مـاـ يـقـنـىـ مـنـكـ مـنـ أـجزـاءـ مـكـسـوـرـةـ وـمـبـعـثـةـ.

نظرـتـ إـلـىـ إـيزـوـبـيلـ وـاحـسـتـ يـدـهـاـ يـصـمـدـ إـلـىـ رـأـسـهـ بـقـوـةـ، وـشـعـرـتـ فـجـاءـ بـحرـارـةـ خـاتـمـةـ فـيـ الـغـرـفـةـ، فـرـدـتـ بـهـدوـ: أـمـلـكـ تـنـكـيـرـ الـخـاصـ، مـاـذاـ تـعـدـ بـذـلـكـ؟

أـجـابـتـ بـوـيـ بـحـرـكـةـ عـصـبـيةـ: مـاـ تـقـعـ الـكـلـبـ؟ كـتـ حـيـنـ يـوـليـوسـ دـيـ لـاهـيـ، هـذـاـ مـاـ أـعـيـهـ. وـهـذـاـ مـاـ أـغـبـبـ وـالـدـيـ كـثـيرـاـ.

بـعـدـ صـمـتـ طـوـبـيلـ، نـظـرـتـ إـيزـوـبـيلـ إـلـىـ بـوـيـ. كـانـ وـجـهـ إـيزـوـبـيلـ قـدـ شـعـبـ وـتـفـرـ إـذـ اـنـدـلـعـ الـأـنـوـارـ وـيـدـتـ الـفـرـقـةـ تـلـلـاـ بـالـأـضـواـءـ فـضـيـطـتـ

يدها علّيها وانكأت إلى ظهر الكرسي.

دنت بوري منها بسرقة، وسمعت أيزوبيل اللائق في صوتها وهي تردد:
- أيزوبيل! أيزوبيل! هل أنت حل ما يرام؟ وجهك في خاتمة الشعوب ما
الطلب بحق الله؟

- لا شيء، لا شيء، أنا بخير بوري.
حاولت الوقوف. أسلكت يد بوري وسألتها: أخبريني بوري، لا
تكلني، أريد أن أعرف هل هذه هي الحقيقة؟

اضطربت بوري وغلّتها اللائق فقالت لها: خلك قد فقدت وعيك كما
كان يحدث لك سابقاً. بحق الله أرجعيك شيئاً، لا تفعل ذلك أيزوبيل.
اعتقدت أنك أفضل حالاً من السابق.

- أجل [تنفس] أفضل حالاً من السابق واريد أن أعلم.
ثم ارتفعت نحو بوري بشرامة: «أخبريني الآن إذا كانت تلك هي
الحقيقة؟».

هزت بوري كفيها باستهجان وقالت: حسناً، لا تنظرني إلى هكذا!
أجل، هذه هي الحقيقة. كنت في التاسعة عشرة من عمرك، فتاة بريئة وقفت
في غرفة بوليوس، كائنة وقعت في حب رجل مفترس، مؤذ.

نظرت إليها أيزوبيل بتعجب وقالت: هل كنت حقاً مقرمة ببوليوس؟
ولماذا لم يخبرني أحد بذلك؟

- ما حدث لك كان نوعاً من الإعجاب. كنت قد تركت لوك المدرسة
وكان معرفتك به قصيرة إذ لم تقابليه سوى مرة أو مرتين وربما ثلاث مرات
على الأكثر خلال الصيف الذي سبق الحادث. حدث ذلك عندما كان نعيش
في المنزل القديم في «ديكون». حيث متزلمهم أيضاً. وبعد ذلك شكل لي في أمك
وأباها بوالد بوليوس، فلم تعد ترافق إلا نادراً لأن والدي كان رجلاً
مرضاً بغيرته وأصبحنا أعداء. كان متزلمهم مجاوراً لمنزلنا، فيما بعد العينا
بهم، هل تذكررين أخيه الأصغر إدموند؟ . كنت أجهه ولكنني كنت أخاف
 منه مع أنه كان طيباً دمت الأخلاق على عكس بوليوس. لم يكن أحد مثل

بوليوس.

توقفت لحظة، ثم أضافت: على كل حال أذكر كل التفاصيل، القينا
بها في أحد الأماكن ندعانا الآخرون لنلعب النساء في منزلهم، فنفعنا بسرية
وحلل، وهذا ما حدث.

ضفت على يد أيزوبيل برقة: سكينة أنت، لقد انقلب رأساً على
عقب وهذا مثير للشفقة. كان إدموند مولماً بك وهو بنظري أفضل من
بوليوس ولكنك كنت دائماً تنظرين إلى أخيه فقط.

أغمضت أيزوبيل كفيها فسمعت للحظة في ذكرها حفيظ مضرب
النس وارظام الطاعة بالعنف الأخضر، ولكن سرعان ما تخر كل شيء
لهزت رأسها وقالت بحرقة: لا أذكر، اختفى كل شيء.

قلبتها بوري: لا تخزي حبيبتي، ليس هناك ما هو مهم لتذكره، إنها
سحابة عابرة، عرف والذي أنتي ذعبنا للعب النساء ففضلاً شديدة.
ثم أسلكت وجه أيزوبيل بيديها ونظرت إلى عينيها: بوليوس لم يتم بيك
قط.

أدانت أيزوبيل وجهها وشعرت في أعماقها بوجود شيء. أبعد من ذلك
رأهم، شيء لا يزال لغزاً وكم ثبتت لو كان يعتقدونها أن تعرف ما هو. ثم
سمعت بوري تقول بصوت حاد: هذا ما حدث حتى قドوم الشاه.. ففي
ذلك الشاه ذعبنا لحضور حفلة في منزل آل «كارتر وورث»، هل تذكرتهم؟
هزت أيزوبيل رأسها: كان أهلهم خارج المنزل في رحلة سياحة.
وهناك القينا ببوليوس وإدموند وبشاب آخرين. بعد ذلك، ذعبت أنت في
سيارة بوليوس.. أما الباقى فتعرفيه.

سألكها أيزوبيل: «هل كانت سيارة سوداء؟».

- بحق الله، لا أدرى، لا أقدر أن أتذكر.

ثم هزت كفيها وقالت:
- حلينا للذهاب لتناول الطعام ولا اعترب السيدة سبسر أنتي عينها،
والأسوا من ذلك أنتي أشعر منذ الآن أنتي غير قادرة على تناول شيء من

هكلا كان يراه من يتزوج اليه... ولكن كان ذا مزاج حاد يستترف النساء.
 بكلمة خصراة، لا يمكنني وصفه، وفي نقطة واحدة لا غير أرأي متفقة مع
والدتي: لقد تخلص منه الناس، وأنت كذلك.

شعرت ايزوبيل بعض الحزن والألم فنظرت إلى بوري وسأتها: هل
كانت هيئاً رماديين؟
كانت بوري قد أدارت ظهرها، فأجابتها باستخفاف: «لا أتذكر».

* * *

طعامها. حسناً، هل كل شيء على ما يرام ايزوبيل؟ لا تخافي استعادة تلك
الذكريات، فحالياً لدى في رأسي مشاكل عرجقة أهم منها.

- بوري، سأتكلم مع الوالد بخصوصك. قولي لزوجك السابق إنك
ستجبيه لدى عودتك من نيويورك، فانا أكيدية أنتي سائحة والدك إذا
تكلمت معه بهدوء وشكل تدربيجي.

- هل ستفضلين ذلك ايزوبيل؟ أنت أهل الأخير فقد يفتح عنك بارركك
الله ايزوبيل.

لم طبعت قبلة على خدها ونظرت إلى المرأة أمامها فصرخت: يا الله!
انظري ايزوبيل ازلت المكرة كلها من حول صبتي... دعبني انظر
 وجهي وأرثب شعري.

نظرت في المرأة إلى التعبير على وجه ايزوبيل ثم أردفت: حسناً أشعر
بعض التحسن لأنك أعطيني بعض الأمل وأأمل أن تتجمعي بمسماك.
أعذر إذا أزعجتك وسيت لك الاضطراب بكلامي عن تلك الأحداث
اللاضية.

- لا، لم أنساقين قط فكما قلت لقد مر على ذلك زمن طويل وهذا لن
يعزز شيئاً في مطلق الأحوال. بوليوس قد مات.

في نبرة صوتها رنين من الحزن.

- هناك شيء آخر أريد معرفته بوري.

- حسناً، ما هو؟

- كيف كان يبدو بوليوس؟ لبنتي أعرف ذلك.
نظرت إليها بوري لحظة ثم ضحكت وقالت: حسني، أخبرتك للتو أنه
لم يكن يشبه أحداً. كان يشبه نفسه. إذا رأيته مرة ظننته إبداً أنك
تربيدين شيئاً معدداً، حسناً... كان مديد القامة، قوي البنية، أسود الشعر،
جبل البدن، يعزف على البيانو ببراعة، ويعرف كل شيء، ويعطي الجياد
يشكل رانع... كان شبيطاً مجدهداً حصل على متاحة مدرسة ثانية تحصصه
في كامبريدج. لا أتذكر التفاصيل. كان فظاً جداً، وجذاباً في الوقت نفسه.

٢ - لا ضمانات

اتصلت ايزوويل فوراً ببوري التي ما إن سمعت الخبر حتى صمت صمتاً طويلاً، ولكنها أخيراً قالت بصوت خفيف: أنا آسفه ولكنني في الوقت نفسه أشعر بالانفراج، ليس من المستحسن أن أكلب، أشعر الآن أنني حرّة وهذا ما مستشرين به أنت في وقت لاحق. لن أعود لحضور مراسم الدفن ايزوويل، سأشعر بالرباء، هل يمكنك التغلب على ذلك؟

أجابتها ايزوويل أن باستطاعتها ذلك ولكنها أرادت أن تطلب منها المجيء.. إنما لن ينفع الجدال معها فسيذهب سدي فهي كاليها.. إن معارضتها تجعلهما أكثر عناداً. أفلتت بوري الحظ دون أن تأتي على ذكر ذلك، فهي لم تعد بحاجة إليه بعد الآن.

ارتلت ايزوويل ثوباً أسود وهذا ما ارتدته أيضاً الخادمات وراحت برنيس تساعدها بتحضير الأمور الازمة. جاء الطبيب وورلي ليوقع على وثيقة الوفاة وطلب من ايزوويل زيادة نسبة السكّنات التي تناولها عادة فنظرت إليه ايزوويل وقالت له بهدوء: لن أتناولها.. سأتوقف عن تناول كل تلك الأدوية. أشعر أنني لن أحتاجها بعد الآن.

هز الطبيب وورلي رأسه مفكراً أن هدوءها الحالي هو نتيجة الصدمة، إنها تركت بذلك خطأ فادحاً. لم يكن في وضع يسمح له بالإلتحاق عليها لذا تركها، ذاعت ايزوويل إلى غرفتها ورمت كل تلك الأدوية، ثم صعدت إلى غرفة زوج أمها للطلق عليه نحبة الوداع الأخير.

بعد موتها، بذراً وجه ادوراد سانت ابوبن هادئاً.. والواقع أنها لم تشاهد هكذا مذمودين مدببة. نظرت إليه وقناً طويلاً.. وراحت تفكّر به كيف كان في السابق عندما تزوجته أمها وذاعت منها تعيس في «ديفون». تذكرت كيف خرج من السيارة وأمسك يد أمها.. في ذلك الوقت بدأ مديد الخامسة غريباً وكانت قرحة فتاة صفتيرة ترتدى ثوباً أحمر وتتفقر صعوباً وتزولاً. ابسمت أمها بسعادة: «إيزوويل، هذا هو ادوراد، سيكون والدك الجديد... وهذه هي بوري».

نهدت ايزوويل وأغمضت عينيها. مضى زمن طويل على ذلك..

في الصباح التالي، سافرت بوري إلى نيويورك دون أن تودع والدها. ألمضت ايزوويلليلة ملؤها الأرق مع أنها ذاعت إلى فراشها مباشرة بعد طعام العشاء، كانت الأنكار تناقض رأسها. لم تصدق أنها تذكرت من أن تصال بوري عن بوليبوس.. حاولت وضع تلك المعلومات بعيداً عنها ولكنها ظلت عالقة في ذهنها.

كليت على بوري عندما قالت لها إنها لا تذكر بوليبوس، فلم يكن ذلك صحيحاً لأنها تذكره.. وصحّح أنها لا تذكر وجهه وصوته وملابسه وطول قاتم ولكنها تذكر عينيه الباردين الرماديتين.

إذا أغمضت عينيها الآن، يمكنها أن تراها باردين ويمكّنها أن تشاهد فيما البعض والخند والكرامة والاشتراك وأحياناً تراها في أحلامها. علمت أنها عيّاه وهذا ما لا تشك فيه، ولكنها لا تعرف أكثر من ذلك. وهي ت يريد أن تعرف لماذا كان ينظر بوليبوس إليها هكذا؟ ولماذا كان يكرهها؟

في الصباح التالي بدأت تتعذر خطة لتساعد بوري. ستنتظر يوماً ريثما تكون انفعالات الشاجرة قد خلدت قليلاً وعندئذ ستترتب من زوج أمها. إنها الحقيقة، إنه يشكّر مؤخراً من التقارير إلى لحال ولكن كما هي حال بوري، ايزوويل أيضاً لم تأخذ هذه الشكوى على عمل الجد. شعرت أن باستطاعتها فتح الموضوع معه فقررت القيام بذلك في اليوم التالي.

ولكنها لم تحظ بالفرصة فقد مات ادوراد سانت ابوبن وهو نائم.. في الصباح الباكر جاءت إليها برنيس شاحنة الوجه ومصدومة وأخبرتها بالباء.

- أواً آنست سانت ابوبن قبل أن تغلي الخط، هناك شيء أخبر أريد إطلاعك عليه، قد يدو غير عادي. لدى قدوسي إلى المنزل للجتماع بك لسائلة وصيحة زوج أمك الأخيرة، هل تمترضين إن حضر البد ريتشاردسون معي؟

قالت ايزوويل بتعجب: أنا آنست، ولكن هل تريد فعلاً حضوره؟

سألته مسألة هائلة من دون شك.

نهى البد جون شو ثم أضاف: آنست سانت ابوبن أخاف أن الع هلك، فربما تفهمين كل ذلك ولكن في الوقت الحاضر أقدر أن أقول لك فقط إن حضور السيد ريتشاردسون سيعادلنا كثيراً.

- حسناً فليكن ذلك في تمام الساعة الثالثة.

انطلقت ايزوويل الخط وهي تضطجع بيدها على هيئتها، فقد شعرت بالحاد في رأسها يكاد يعمى نظرها. انحنت نحو الطاولة وهي تلهث: وهناك خطأ ما، خطأ كبير، أحسست بذلك من خلال حديث السيد جون شو المذهب ومن ارتياكه الظاهر ولكن لم يكن هذا هو سبب الصداع في رأسها، بل الاسم. ريتشاردسون، إليوت ريتشاردسون.

انحنت عيبيها فإذا الفرقة تسبح بالقباب.. حاولت يائياً أن تستعيد ذهنها ولكنها لا تعرف أي شخص بهذا الاسم ثم سحيت نفساً عميقاً وبذا الصداع ينحصر. عندما ذكر المحامي ذلك الاسم، علمت أنه يعني لها شيئاً وإن له بعض العلاقة بها. والأهم من ذلك أنها شعرت للحظة بسعادة عارمة ما إن سمعت الاسم. ثم سرعان ما انقلق الباب في فكرها وانقض كل شيء.

انطلقت من حلتها صرخة صفراء من اليأس والغضب: ما خططها؟ هل ستُفقد ذاكرها إلى الأبد؟

في المرة الخامسة حدث ذلك خلال المساء.. دخلت إلى الكنيسة برفة الطيب وورلي، كانت النساء عطرة ولبلدة بالغيرة.. وكان الضوء خائناً في كنيسة القرية الصغيرة. راحت تسير يطه في المشي أمام الحاضرين

شعرت بالأس حل زوج أنها وأحست بالكتابة لأنها وحيدة. انحنت ببطء وفقلت في وجهه ثم تركت الفرقة بهدوء.

كان السيد «شو» عامياً متوجهاً لأهل الريف. عندما انصلت به ايزوويل هاتفيماً، قدم لها تعزية الشخصية وقال إنه من الطبيعي أن يحضر الجنائز ثم تردد: آنست سانت ابوبن؟

- نعم.

لم تصحح له ايزوويل الاسم. كان زوج أنها يحمله أن تدعى باسمه وكانت يقدّمها على أنها حفيدة ابنته، أما في حياتها الخاصة ومع أصدقائها فكانت ايزوويل تستعمل اسم عائلتها «الايمر».

- آنست سانت ابوبن علمت أن أباً زوج أمك لن تقدر أن تعود لحضور الجنائز وأهلاً ان تعود إلى البلاد قبل مدة طويلة.

أجابه ايزوويل وهي تنهى: لا لقد تحدثت معها بهذا الموضوع.

- في هذه الحالة، تصرفها غير لائق ولكن يا آنست سانت ابوبن، هناك أشياء كثيرة مهمة يجب ملائتها ولا يمكن تأجيلها.

- حسناً أفهم ذلك. هل يتبارك أن تجتمع بعد الجنائز؟

- حسناً أنا موافق.

ثم تردد ثانية وقال: «الموضوع»، هو.. آنست سانت ابوبن، أعتقد أنك لا تعرفين طبيعة العمل الذي كان يقوم به زوج أمك في هذه الأخبار، ولكنه كان على علاقة مع أحد مصارف لندن... . . . وهم يودون إرسال مندوب عنهم لحضور المأتم، وبما أن عماملات زوج أمك مع المصرف قد ثبتت بواسطتي لمندوب للصرف يطلب السماح له بمرافقني هنا إذا وافقت بالتأكيد».

- لامع عندي.

أجاب السيد شو الذي ظهر من صوته أنه مرتاح للجواب: «إذن اسم المتذوب هو... إنه مكتوب هنا في المكرة... . . أواً حسناً اسمه.. إليوت ريتشاردسون».

- حسناً شكراً. سأدون اسمه عندي.

- آسة سانت ايون، هذا هو السيد ريتشاردسون الذي تكلمتنا عنه على الهاتف. السيد ريتشاردسون أندم لك الآنة سانت ايون.
حاولت ايزوويل بصعوبة أن تبسم ثم مدت يدها. شعرت ببرهة أنه يتجاهلها، غير أنه تقدم إلى الأمام وأمسك يدها بتأمله يلاحظ ثم أسرع يسحب يده.

احت رأسه قليلاً وقال لها: آسة سانت ايون قبل تعزتي الصادقة. كان صوته منخفضاً ورحيماً لا لث المماطف فيه، تبرهه قاسية.. قدم تمربيه الشكلية من دون أن يجهد نفسه بيت بعض الصدق والصراحة فيها كأنه بذلك يقوم ببعض المعاملات القانونية. نظرت إلى عيده مرة أخرى ثم عادت فأشاحت نظرها وهي تحس بقدر كبير من الراحة يتشر في كل جسمها، هيئه بنيان.. شكرأ يا ووب لأنهما بنيان فقد خالهما لبرهة رماديتين.

كان ذلك نوعاً من اللامحة، فصاحب تلك الينين مات منذ زمن بعيد ولن تستطيع روبيهما أبداً إلا في أحلامها.
- تقضلا بالبلوس قرب النار.

جلست إلى جهة الينين وجلس جون شو على الأريكة إلى الشمال أما السيد ريتشاردسون فراح يتأمل الفرقة واللوحات العائلة على الجدران بعضها من رسم والدعا ثم جلس على المقعد أمامها وأخذ ينظر إلى وجهها.

فتح جون شو فمه أخيراً وبعد مقدمة وجيبة وضع بعض الألوان أمامه، بدا غير مستريح ففككت ايزوويل إلى من سيتوجه بالحديث إليها أم إلى السيد ريتشاردسون الذي يدا السيد جون شو أمام أنفه المزينة وشخصبه القرية قروياً بسيطاً من الريف.

- حسناً الآن كما سبق أن أخبرتك سيد ريتشاردسون إن وفاة السيد سانت ايون حدثت فجأة. والحقيقة أن الآنة سانت ايون مررت بمرحلة توفر لعدة أشهر. ألمتش ذكرت ذلك أنها كانت هي أيضاً مريضة. أرجو مناقشة هذه القضية بهدوء، فهذه القضية كما تعرف مقدمة بالنسبة لثابة لثابة

القلائل. كان وقع قدميها على الأرض الحجرية يُصدر صدى عالياً ومررت برحة أيام شخصين راقلين بالسواد. عند ذلك حصل لها كالسابق ولكن في هذه المرة بشكل أعنف. أعمدتها الضوء الباهر فترنحت بشدة وأمسكتها الطيب وورلي لباعدعها. عند ذلك هزت رأسها واختفى الضوء فاكملت سيرها.

ما إن عادت إلى المنزل، حتى جلست أمام المدفأة في غرفة الاستقبال ومع اقتراب الساعة من الثالثة راح توترها يزداد شيئاً شيئاً. لم يعد السيد شو إلى المنزل بعد الجنازة ولم تشاهد أحد السيد الغائب ريتشاردسون قرب القبر. لا بد أنها خرجا فوراً بعد الصلاة.
وقفت بعصبية وحاولت جمع المذكرات، عند ذلك سمعت وقع أقدام ثم افتحت الباب فنظرت ايزوويل لنرى جون شو يدخل أولاً.
أخذ يقدم وهو مرتبك ثم قال شيئاً ولكن ايزوويل لم تر ولم تسمع ما قال، بل كانت جامدة تنظر إلى الرجل الذي تبعه إلى الغرفة وقد أصبح الآن قرب الباب ينظر إليها.

كان مديد القامة يرتدي بللة سوداء رائعة وقبعاً أبيضاً وربطة عنق سوداء، شعره أسود قصه بشكل عاونظ وتركه يبتدل قليلاً فوق جبهة القائم للستقيم. يداً جذرياً وأنيقاً وبدت تقاسيم وجهه عnette أما فمه فكان قاسياً لا يبرق الإبتسامة.. لم يتحرك ولم يتكلم ولكنه ملا الغرفة بحضوره القوي فمحجب وجود المحامي، ببساطة ظل ينظر إليها نظرات وهد وهديد.

حدثت إليه ايزوويل بتجهم ويعلم مبالغة ولكنها شعرت أن كل غريبة في جسدها وعقلها قد تُحنت بالغرفة، فتجاوالت مع حضوره كما يتجاوون الحيوان ليس من خلال المقل بل من خلال معركة الموس الحادة والسرعمة، ولكنها لم تحب هذا الغريب ولم تتق به بل شعرت بالخوف منه.. . نظرت إلى عينيه بتردد وهدوء، نظراته النارية والباردة لم تفارق وجهها لحظة.
تضاملت تحيات السيد شو واختفت أيام صمت مريوك.. نظر إلى رفبه ثم إلى ايزوويل وعلامة الارتباك على عياه.

خبرة لها في قضايا الأعمال.

حاول الابتسام وألق نظرة سريعة على ايزوبيل. عندئذ تنظر إلى السيد البوت ريتشاردسون ببرودة وقال: «ما مستلزم بسيط للغاية لفتح الطفل قادر على فهمه... وإنماتأكد أن الآنسة سانت ابوبن رغم عدم خبرتها ان تجد صعوبة في فهم هذه القضية».

ثم نظر إلى ايزوبيل وهو يتلفظ بكلمة «عدم خبرتها» بطريقة جعلتها تشعر بالقرابة. فاستمع وجهها ويان عدم الارتباط على عيادة جون الذي راح يطلب الصفحات والأوراق على ركبته.

- حسأ قبل قراءة وصبة زوج أمك، آنسة سانت ابوبن من المحسن أن أشرح لك بعض الأمور. عندما باع والدك حصه في شركة العائلة للهندسة، ربما كنت تعرفين ذلك لم تجهليه. كان زوج أمك يعيش من استثماراته لكن بعض تلك الاستثمارات كان من دون كفالة، لذلك خلال السنوات الثلاث الأخيرة وجد السيد سانت ابوبن نفسه في مأزق مالي وهذا ما اضطره للإسماعية بظروف غريبة نظرها له السيد ريتشاردسون من خلال مؤسسه المصرفية.

تردد وهو يتنقل نظراته بين ايزوبيل والسيد ريتشاردسون الذي كان يرافقه بفارغ الصبر.

- لسوء الحظ ساء وضع السيد سانت ابوبن المالي في السنوات الأخيرة والظروف لا تسع من دون خسارة عقارية. وهكذا أصبحت معظم أملاك سانت ابوبن مرهونة ثم خسرها في وقت لاحق.

قاطعه السيد البوت ريتشاردسون ببرودة: اعتذر أن من الأفضل لك التطرق إلى النقطة الرئيسية للهبة، فلأتنهي وقتي ووقت الآنسة سانت ابوبن أيضاً.

وقف ونظر إلى ايزوبيل: أنا أتفق آنسة سانت ابوبن فالوضع واضح جداً. توقي زوج أمك من دون أملاك موجودات قيمة، هذا المزبل وكل ما فيه ملكي.

انسمعت عيناها وهي تردد: كل شيء هو ملكك.
لكررت في بوري: هل تمني أنه مفلس؟
البيوت ريتشاردسون رجل وتحت يده الاشتراز، عرفت ايزوبيل لوراً في ما يفكّر، يطهّلها امرأة جشعة متجرّبة القلب فلاماس ووجهه تدلّ على ذلك بوضوح... ارتدت نحو جون شو وقالت له: لكن هذا غير معقولاً لم أعلم ولم أذكر في قط.

- آنسة سانت ابوبن، صدّقبني أنا أسف جداً. بذلك جهدي للحزوّل دون ذلك ولدت له الصالحة مرات عديدة فهو انتفع زوج أمك ببعض هذا التزلّ متّه بضع سنوات لتغيير محى حياته ولا يمكنه تخاهي ما يحصل الآن ولكنه رفض ذلك
قاطعه ايزوبيل بانفعال: «ماذا عن بوري؟ كيف يتركها هكذا بدون أي شيء؟ إنها ابنته وهي تتكلّ عليه».

قاطعها السيد ريتشاردسون بصوت ساخر: «وأنت كذلك من دون شك».
ظهر الغيظ على وجه السيد شو للمرة الأولى إذ قال للسيد ريتشاردسون:

- إنها حالة مأساوية كما ترى... وقد أعطيتني كلمتك كضمانته في هذا الوضع الصعب.
- أجل، وعدتكم بذلك عندما فهمت منك أن الآنسة سانت ابوبن مريضة جدياً وأنا سريعة النثر والحزن، ولكنني لا ألاحظ ذلك.
المجتهد نظراته إلى ايزوبيل، ثم أردف: «وهي تبرهن عن كفاءة كبيرة في لهم القضية كما تفهمها أنت».

التفت عيناها، يعيثها: لم يكن لدى السيد سانت ابوبن مالاً أو أملاكاً ليتركها لابنته أو لك أيضاً، والحقيقة أنه لم يترك شيئاً. هناك ديون أخرى لا يمكن تغطيتها حتى لو بيع هذا المزبل وعمرهاه و يجب على مراجعة روساني لأمر ما إذا كانوا مشتدين بهذا الشأن.

نظرت إليه إيزوويل بقبح واحتق صوتها في حنجرتها: هل سبب
المزل؟ أنت تفخر ببعض هذا المزل وكل ما فيه؟
- بكل تأكيد.

نظر إلى ساعة ووقف.

- لكنه منزل زوج أبي الذي أحبه كثيراً.

أجابها بانفعال: أعتقد أنه لا علاقة لهذا الشعور بال موضوع.
ارتدت إيزوويل إلى الوراء وقد ترققت عينها بالدموع: أنا لا
أفهم... هذا غير معقول، لا أصدق ذلك.

نظرت إلى وجهه، كان يقف وقد أدار ظهره للقصور. عندما تراجعت
إلى الوراء لتبعد عنه أخذ الضوء يزداد شيئاً فشيئاً، فانطمس هو والفرقة
ونفكيرها وكل شيء وشعرت بوجهها يكاد يختنق. أحسست أنها على وشك
الانيار فوضعت يدها بصعوبة على طرف كرمي خلفها، ثم راحت تهوي
على مهل كلها تقع من مكان شاهق ومن حيث لا تدري شعرت بذراع سترة
سوداء تصل إليها وتتسك بها.

* * *

-رجع إلى لندن؟
كانت بوبى تصرخ وهي تتكلم مع إيزوويل عبر الهاتف.. يدت كلها لا
تريد أن تصدق:

- ماذا؟ هل تركت يلعب هكذا؟ أنت غبية وعجيبة.

- أرجوك، بوبى، حاول أن تفهمي، ألمي حل.. كانت صدمة مريرة
لي، وهو كان خطيراً وبارداً. لا يعرف معنى اللياقة والتعاطف... عندما
استيقظت من غيبوتي لم أجد...، عندئذ تكلمت مع جون شو الذي أظلعني
مرة ثانية على وضع الدنك المالى... لقد أخبرك الحقيقة فهو لا يملك ذلك
واحداً، صكوك الملكية موجودة في مؤسسة ريتشاردسون وهي مرهونة
لأمرهم.

استرسلت بوبى بالشتم: أنت باردة ضعيفة إيزوويل، كيف فقدت
وهيك؟ لو كنت شخصياً هناك لقمت بعمل ما، وحاولت كسب عطفه،
أنت تقدرين على ذلك... لا شك أن هناك طريقة.

أجابتها إيزوويل بهدوء: «كان يجب أن تكوني موجودة هنا».

- لا تقول لي ذلك، لم يكن بإمكانك أن تكون هناك، ولا أقدر أن
أذهب الآن خصوصاً الآن. إذا كانت هذه هي الحقيقة فعلّم أن أعمل أكثر من
السابق، يجب أن أحارو المحصول على هذا المبلغ. حاولت تأجيل دفع المبلغ
للماضي لي أيام توماس إنه سيجهلني حتى عودتي من بارباروس، إسمى ما
رأيك إذا افترضنا من الصرف، قيعدما أقرضاً والدي كل ذلك المبلغ قد
يفرضونا هذا المبلغ الصغير، ما قيمة عشرة آلاف استرليني بالنسبة لهذا
الصرف الشديد التراوه؟

أجابتها إيزوويل بصرير: بوبى، أنت بحاجة إلى ضمانة. لا يقرض
الصرف أحداً بدون ضمانة.

- لا تكون ابزامية إيزوويل، يمكنك الاستفسار والاستفهام. إلا
يمكنك ذلك؟ أسوأ ما يفعله هو أن يقول لك «لا»، وربما قال «نعم».
استعمل خيلتك بحق الله، قولي له إننا معدمنا.

-لن يصدق أنك معدنة.

- حاناً، حاناً أخبريه أنك أنت شخصياً معدنة، فماذا ستفعلين؟
وأين ستقطنين؟

- ذكرت في ذلك، يجب أن أجده عملاً.

احسنت بالطبع فضفحت بيدها على جينها.

- حساً أخبريه أنك بحاجة فقط إلى وأس مال صغير، إلى قرض بسيط
حيث تبدىء بالعمل... ثم عدبه بأن تدفعني له المبلغ بعد ذلك. فإن وعدته بذلك
وافق على إقرارهك المبلغ. عندئذ تعطيني المال الذي ساعده لك بالقيمة
من عمل، الا توافقين على ذلك إيزوويل؟ ستجمع هذه الخطة. أنا أكيد
منها. هذا الرجل ليس وحشاً، يجب أن يكون إنساناً. اذهب إلى، وشكى

له

أمر

كذلك

مع

والدي

لأن

تسر

الأمور

على

ما

يرام

مع

هذا

الرجل

ويشاركون

؟

أصبح

صوت

بوري

حادياً

وقطعاً

، فتضافت

إيزوويل

التي

أرادت

الاعتراض

، لكنها

ابتلت

كلامها

.

- سأحاول

ولكن

لا أعتقد أن ذلك

سيجع

.

- دعني

الأمور

تسر

، أنتبه

لم تصل

ي

هانفياً

،

عديني

بذلك

.

- حسناً

.

- إنك ملاك

.

وضعت إيزوويل الساعة وهي تشعر بالإنهك فتفكر رؤية هذا الرجل

مرة ثانية شعرها بباس لا مثيل له . . لو كانت قوية ومعنوية لاستطاعت

مواجهة والإجابة عن أسئلته بذكاء ودقة ولكنها لا تشعر بالقدرة بل تحس أنها

مرهقة ورأسها يرتجفها وشჩيتها معدومة وطاقتها ضفر . . لا تستطيع النوم .

شاهدت برينس وجهها شاحباً فأمسكت ذراعها وقالت لها: انظري،

من ستقلين بالأمر الواقع؟ لن يساعدك ذلك بشيء ، إذا كنت تريدين

تصبحي فاذعن وقابل طيباً أخصابياً . اطلعي من الطيب وورلي أن يعابك

وأن يعطيك رأيه فهو يعلم كل شيء . إنه إنسان طيب، لطيف وتواب،

حسن . إنه رجل عجوز، ولكنه أحب زوج أunc كثيراً . يجب أن تستشيري

طيبة ميرزاً ومتخصصاً، عديني بذلك إيزوويل، أنا لفترة عليك، هاد وأمسك

بيوك أليس كذلك؟

أومات إيزوويل برأسها وأمسكت ذراع برينس :

- هل تعتقدين برينس أنني خطباء ما؟ هل هذا ما تقصده بكلامك؟

جالت الأنكار البشعة في رأسها تجهم وجه برينس .

- انظري، لا أقدر أن أقول ذلك ولكنك تشكين من صداع وربما هو

سب وأصل كل ما يحدث لك . يجب عليك استشارة طيب . .

لعلت ما قالت لها برينس . . اتصلت هانفياً بالطيب وورلي، فأخذ لها

ضحك بسخرية من نفسها، من يكون السيد ريتشارد موسن؟ الترير المخلص؟ سمع لها رجل الأمن بالدخول، كان المصعد سريعاً جداً فتضافت خفقات قلبها وشعرت بالطقطق في أذنيها. توقف المصعد. وهنالك وجدته ينظر وليس على وجهه ابتسامة.. كان يرتدي سترة سوداء، وسروراً أسود شيئاً أظهر مدى طول قاتمه. لم يمد لها يده بل حفاماً باقتضاب وأغلق الباب خلفه.

دخلت إلى غرفة واسعة عالية فاتسهرت عيناهما لحظة لأن النواخذة الضخمة كانت بدون ستائر، كانت تطل على مدينة من الملايين والألوار. لم تبد المدينة كبيرة من هنا، بل بدت بالأحرى رائعة وساحرة حتى شعرت أن باستطاعتها الإمساك بها وللامتنانها.

قال لها: هل تسجيني في م美术馆؟

لرغمت ايزوبيل وشدت بأظافرها على راحتها وشعرت بالدم يتصاعد بقوه وعفف إلى رأسها. كان ينظر إليها بفضول ومهلي.

- هل أنت بخير؟ لن تصامي بالدوار مرة ثانية.

- لست معتادة على ذلك.

قالت ذلك باختصار ثم تزعم عنها معظمها. ومن دون أن يطلب منها مثـت إلى داخل الغرفة وجلت. أخذت تنظر من حولها. الغرفة طويلاً وهريضة.. والستف حال جداً... في آخرها سلام تقود إلى طابق آخر وبالجانب الغرفة ذات غرفة الطعام التي بدا في وسطها دائمة صفت حلها القداء. كل شيء في الغرفة جيل وحديث.. نظرت إلى ما حولها بفضول في الوسط سجادة عاجية اللون، أما الأثاث فلابس.

- ماذا تجيني أن تشربي؟ فهوة؟ شاي؟ أم عصير؟

- عصير وجاء.

وعادت تنظر إلى الغرفة. كان ذلك فضولاً منها، لأنها لا تكاد تعرف ولأنها لا تترجم معه.. فشككه البارد وجاذبيه الباردة يشراها بأيمانه غريبان. تناولت منه كوبياً من العصير يحدرك عافية أن تلمس يده يدعها..

رفعت ايزوبيل نظرها إليه وقالت: متراك رائع.. أهدرني إذا كنت أطرلك كثيراً من حولي، أشعر بشيء من الصدمة فمتراك مقارنة بمترال زوج أمن حدبت الطراز كثيراً..

أجابها باتضاب: أجل أنا أفضل لا أعيش في الماضي.

لنظرت إليه بفضول وشعرت بالضيق في لوحة: هل تجد ذلك سهلاً؟

معظم الناس لا يجدون ذلك.

ابتسم للمرة الأولى متراكه وأجابها: أنا معتاد على ذلك.

نظر إليها وجلس فجأة.

ابتسم ايزوبيل جھكم: هذا يجعلنا متعاضدين، أنت تزيد نسيان الماضي وأنا أريد أن أذكره.

سكت فجأة وفتحت لو أنها لم تفوه بهذا الكلام لأنها لا ترحب مناقشة مرضها معه.

أسد ظهره إلى طرف الكرسي: آه! أجل ذكر لي جون شو شيئاً عن ذلك. حادث سيارة، نوع من فقدان الذكرة. المفيدة أنه أجد هذا الوضع الخاص أمراً غريباً يصعب على تصديقه.

لقطع لون ايزوبيل بسبب نظاظته: هذا ما ظلمته أنا أيضاً يوماً، أما الآن فأواجهه حقيقة لا تقر منها.

- كيف حدث لك ذلك؟ أخبريني كيف وبأي شكل يحصل فقدان الذكرة؟ لا تذكريني أي شيء قبل بعض التاريـخ؟ لم لا تذكريـن سـوى بعض الأشيـاء؟ هل المصاريـع مقلـلة دائـة أم تـفتح من وقت لـآخر؟ هل هـناك سـمار يـصعب عـنك الأشيـاء ثم يـعود أحيـاناً ويفـتح؟ هذه هي الصورة الخاصة بـحالـك.. أعتقد السـتائر، أو النـواخذـة، والأـبواب، أليس كذلك؟

وضـمت ايزـوـبيـل كـوب العـصـير عـلـى الطـاـولة ووـقـتـت وـقـالت بـفـضـلـ:

- كـيف يـمـكـنك التـكـلم هـذـا الشـكـل؟ لـو فـلتـكـ لكـ إـلـيـ عـمـاءـ وـصـماءـ

ـفـهل كـنـتـ سـتـاخـدـ هـذـا الـوقـفـ؟ مـاـذا أـنـتـ فـظـ بـهـذـا الشـكـلـ؟

- أـعـذرـ مـنـكـ.

ولكن

لم يكن

في نبرة صوته شيء من الاعتذار.

- أنت كما قلت مسامحة.

- لك تعاطفي.

- لو كنت أنا المصاب لجئت

تعاطفي.

- انحنى بعيداً بسرعة.

- أرجوك إبقني حيث أنت.

- لدينا عمل ثناشت.

- جلست

إيزوبيل

يقطن

ـ فعلت ذلك على

معرض قلم

تره في تلك

اللحظة إلا المزحوج

وعدم حادثة ذلك الرجل

الوقوع المنطروس الذي لا

يطلاق، لكنها

فكرت في بوري

وفي ما قاله لها لذلك أباهاه.

ـ تفاجأت عندما

رأيت عينيه السوداويين

تظران إليه بهمك

وكانه يعندها ليس فقط خيبة بل

أيضاً مزيفه.

- قالت بصوت منخفض:

ـ سأطرق مباشرة إلى الموضوع، أعرف أن

ـ وقتلت ثنين ولا أريد أن أضيع لك.

ـ بعد خروجك من منزل زوج أمي ...

ـ قاطعها برقه وهو يصحح لها العبارة:

ـ «متزوج».

- نظرت إليه إيزوبيل بقسط ورفضت تغيير العبارة:

ـ بعد خروجك، اطلعت على وصية زوج أمي ودفعت في حساباته

ـ فوجدت أن كل ما ذكرته في ذلك اللقاء صحيح.

ـ أصبحت أنا وأمي زوج

ـ أمي معدمين.

ـ تكلمت معها هاتفياً فهي تعمل في نيويورك، وشرحت لها

ـ الوضع.

ـ ترددت وتذكريت ما قالت لها بوري:

ـ تباكي..

ـ ولكن كيف تبكي أيام

ـ هذا الرجل؟ إن نفسها تدور من هذه الفكرة.

ـ أردفت:

ـ «الوضع صعب جداً على بوري تعمل، أما أنا فبسبب مرض

ـ زوج أمي لم أعمل منذ سنوات.

ـ سببوني وقت طوبل حتى أجد عملاً وأجد

ـ مكاناً أعيش فيه ..

ـ سأاعذر في ذلك كثيراً المحصول على بعض المال».

ـ اختنق صوتها:

ـ لذلك أساك إن كانت شركتك توافق على إفراغي

ـ مبلغًا.

ـ آفهم ذلك.

ـ تناول قليلاً عن الطاولة الموجودة إلى جانبها وتناول مفكرة صغيرة وألة حاسبة من جيده وسألهما: ما هو المبلغ الذي ترميبيه؟

ـ قالت إيزوبيل بجهد كبير لتقول له: «عشرة آلاف استرليني».

ـ وطبع رأسه تلاقت نظراته بعينيها.

ـ عشرة آلاف استرليني، في أيام مهلة متعدديها؟

ـ هيلك أنت أن تحمل المهلة.

ـ راح يضغط بإصبعيه على مقاييس الآلة الحاسبة ثم أضاف:

ـ هيلك أن تتددي شهرياً مبلغاً مرتفعاً: حوالي ثلاثة ملايين استرليني لمدة

ـ ثلاث سنوات.

ـ أجل، ربما يمكنني تأمين ذلك المبلغ لك.

ـ شعرت إيزوبيل بتلبية يدق بسرعة وقالت له: هل تستطيع؟

ـ للإتمامية استرليني شهرياً هو مبلغ كبير بالنسبة لها لكن ليس كبيراً

ـ بالسبة لبوري ..

ـ سألهما يطعه: «أجل... ما هي الفسخة التي ستقدمينها؟».

ـ لم تشر إيزوبيل باخيبة بل نظرت إليه وأجابه: تعرف أنت لا أملك

ـ مساحة.

ـ ووضع القلم والمفكرة جائياً وقال لها: عزيزتي، أخشى لا أقدر على

ـ مساعدتك.

ـ تعلم أنت لا أملك شيئاً وإن لا ضمانة عادي ولكن عندما أجد عملاً

ـ وأنماط راتباً أتوقع أن أسدده ماهياً.

ـ أنت سانت ابوبن أرجو أن تصاغري إذا تكلمت معك بصراحة ..

ـ لها للذنب من التراخيص ضعيف جداً. لم تعملي منه خمس سنوات لأنك

ـ كنت مريضة ولأنك غير مدرية على العمل متوجهين صعوبة بإيجاد عمل

ـ وبمرارة إذا حصلت على عمل لن تتمكنين من تسديد الاستحقاقات التي

ـ ستحل بعليك. أنا آسف الجواب هو لا.

ـ ولفت إيزوبيل وهي غاضبة جداً.

- لا أطلب منك شفقة واحسناناً، أساك مني قرضاً، سأسدده لك.
 لن يرفض أي شخص مفترحان كما تدعى باسقاعتي أن أعمل، فلدي
 ثقافة عالية ولست بجهة أو غيبة حتى ولو حاملتني كذلك...
 - اجلسي من فضلك، لم أتو قط إعانتك، شرحت لك فقط حقيقة
 الوضع... يجب أن تعيشي في عالم الواقع الآن، هل فهمت؟
 بعد صمت وجيز، قالت له إيزوبيل: ماذا تعني بذلك؟ يمكنني فهم
 الحقيقة كما تفهمها أنت.

وقف بهدوء وأجابها: بالطبع، هل تستطيع تناول طعام الغداء الآن؟
 يبدو أننا بدأنا بخطوة خطأ... لماذا لا نجعل الان ولانا لا تحدثي قبله
 عنك وعن مشاريعك فعندئذ يمكنني تقديم التصريح لك؟

راح ينظر يهدو إلى وجهها: ربما وجدنا حلًا آخر لهذه المشكلة.

نظرت إليه إيزوبيل: هو لا يعني ما أذكر أنه يعني، هو لا يقدرا...
 كان يتذكر إليها نظرات أخواتها... إنه يقوم بعملية تقويم... نظر إلى تنعما
 بها مرتبطة منذ خمس سنوات وكيف عرف ذلك؟ نظرت إليه باستغراب،
 أو يعود هذه المجلة القديمة أمر مدرس؟ عادت تفتح عنها كل تلك
 الأفكار... فربما جون شون هو الذي أخبره بأنها تعرضت للحادث قبل
 خمس سنوات.

الآن تناول الطعام شعرت بالاسترخاء فما إن جلس إلى المائدة حتى
 هلت تعبير البرودة عن وجهه... شعرت أنها نشرعت وأخطأت بالحكم على
 اصراره، فهي تجده الآن طيباً جداً وبالآخر لطيفاً... تأملته لمحاولت تقدير
 عمره، يبدو في أوائل الثلاثين أو في منتصفها... وجدت صعوبة في تحديد عمره
 بالضبط.

نظر إليها وقال لها: «والآن هل مستكملتي حتى؟».

- ليس هناك شيء كثير لأن قوله.

ابسم كأنه يشجعها: «أخبريني عن عائلتك! خلال تعامل زوج امك
 مع مصرينا، لم أنتبه فقط».

ابسم وقال لها: هل أقدر أن أقول إنك تدين جبلاً وروانة فالأسود
 يناسبك؟ والآن هل تذهب لتناول الطعام؟

* * *

نظرت إليه إيزوبيل متوجبة: «لحتأ ذلك؟ أليس هذا أمرًا غير عادي؟»

ـ لا، فالاعمال الصغيرة تحصل غالباً بواسطة الملاء.

ـ أجهت أنظاره إلى البعيد، ثم أردف: «أخبرني هل عشت دالماً؟»

ـ أجابت إيزوبيل: «لا يزال والذي الحقيقي على قيد الحياة وهو يدعي فيليب لا تير». هادة أفضل استعمال اسمه. كان ذلك يصادق زوج أمي لهذا يدعونى الخدم في المنزل آنسة سانت ابوبن. وضع السكين والشوكة على الصحن وقال لها: «عمل كنت تقابلين غالباً والدك؟»

ـ لم أره قط. إنه نحات يعيش في كورنوول منذ عدة سنوات، انترق عن والدتي وأنا في الرابعة أو الخامسة من العمر.. لا أكاد أذكره. عندما بلغت الثامنة تزوجت أمي ادوارد سانت ابوبن الذي كان مطلقاً أيضاً وكان لديه طفلة صغيرة من عمري، بوب. إنها عارضة أزياء وهي في أمريكا الآن.

ـ أجل ذلك صحيح، أخبرني بكل ذلك جون شو.

ـ يبدو أنه لا يهم لأمر بوب. قال: «هل والدتك رسامة؟»

ـ أجل كانت كذلك. لا أظلك لاحظت ذلك ولكن معظم اللوحات في غرفة الاستقبال هي رسوماتها.

ـ رسامة، تزوجت أولاً من نحات ثم ثانية من رجل أعمال. هل كان زوجها الثاني سعيداً؟

ـ فاجأها السؤال بتحول أنظارها إلى الأرض.

ـ لا أعلم من المحتمل لا. اعتند أنه لم يكن هناك أشياء مشتركة بينهما، ولكن زوج أمي كان دائماً طيباً وكميراً. ثم توفيت عندما كانت في الثانية عشرة من عمرها.

ـ هل بقيت مع زوج والدتك.

ـ ثم استدركت قائلة: لكن جون شو قال لي إنكم لم تكونوا سابقاً قاطنين في

المنزل الحالي.

ـ لا بل كنا نسكن في ديفون، قرب دارتمور، فأعمال زوج أمي كانت تأخذ في سلطة الترب وكان يحب تلك السلطة وأنا كذلك.

ـ ابنه: أعرف تلك المنطقة جداً. لدى منزل هناك ولكن ليس لدى الوقت لأزوره. وروثه عن عمي منذ سنوات قليلة.

ـ رفع بصري إليها ثم أردف: «إنه موجود على اللال، غرب بلدة نوتنغ... هل تعرفين توتنغ؟»

ـ ابنته إيزوبيل: آه! إنها رائعة جداً، انتقدتها أحياناً، لم أعد إلى هناك قط. انتقدنا بعد الحادث بناء على رغبة زوج أمي.

ـ رفع حاجبيه قليلاً وقال: «لحتأ ما تقولين؟ لماذا فعل ذلك؟

ـ حسناً، كان ذلك من أجل سلامتي أولاً لأنني كنت مريضة جداً. قال له الأطباء إن تغيير المنطقة والمناظر يساعدني كثيراً. وبعدما تقاعد زوج أمي من عمله، انتقلنا.

ـ نظرت إلى الساعة ثم تابعت: كانت بادرة كريمة من قبله. كان يريد لطيفاً جداً وأنا متاكدة أنه لم يرد فقط الرجل من ديفون ولكنه فعل ذلك سلامتي... قاطلها قاتلاً.

ـ كان ذلك الحادث على ما يدو سبباً جداً. هل يصادفك التكلم عنه؟
ـ أجابت: «لا أستطيع بالحقيقة التكلم عنه لأنني لا أذكره، كلياً».

ـ ترددت: «كنت في الناسمة عشرة من عمري، وقد تركت المدرسة تلك السنة، ذهبت مع بوب إلى حفلة في منزل إحدى صديقاتنا التي كان أحدها سافرين... ألم يلقي لهم معاً إلى المنزل وعندئذ تعرضت للذلك الحادث. وهذا كل شيء».

ـ لا تذكري شيئاً عن ذلك الحادث؟

ـ هرت إيزوبيل رأسها ثانية. ترددت ورفعت نظرها إلى وجهه الذي لم نظهر عليه علامات الغضب أو التعجب بل كان ينظر إليها بفضول بارد

شجعها على مناسبة الكلام.

- بعد الحادث فقدت الذاكرة واختفت من ذاكرني بضع سنوات من حياتي فقط، كنت في طبوبة لبضعة أشهر. بعد الحادث أصبحت ذكرياتي مشوهة جداً، عندئذ ترك زوج أمي للطفلة وانتقلنا إلى كورت ولدرز. خرب المائدة ياصبيه وقال: «هذا غريب جداً... وماذا حدث للسائق؟».

- السائق؟

- أجل، الرجل الذي أطلق إلى المنزل.

شعرت إيزوبيل بالدمعاء تصعد إلى وجهتها ثم نظرت بسرعة إلى البعيد.

- مات. انزلقت خارج السيارة أما هو فندهور تحت الطريق ومات. لا ذكره كلباً.

أجابها صوت متخفض: «إنه حادث مأساوي، هل كان لديه عائلة؟ أهل؟ زوجة؟».

نظرت إليه إيزوبيل بتعجب: آآآلا، لم يكن متزوجاً... كان والداه متوفين، لديه شقيق على ما اعتذر... لم أكن أعرفهما إلا قليلاً... ومنذ الحادث لم أر أيهما إذ لم يسمع زوج أمي بذلك لأنه كان يضع اللوم عليه. سألها بيرود: «وأنت حللت حذوه بلاشك. وضعت اللوم عليه».

- لا... لم أضع اللوم عليه، فكثيراً ما حدثت مثل هذه الأشياء... كائنات، وأضفت إلى ذلك أنتي أصبحت على غير ما يرام وشفت. أما هو فمات.

شعرت فجأة بالبرد.

- أرجوك، فلنترك هذا لأنني لاأشعر بالراحة.

- أعتقد أنت قلت لي متى بعض الوقت إن ذلك لا يضايقك.

- حسناً! هذا يضايقني، فعمدما أكلم عنه أشعر بالكتابية. كانت الكلمة غير مناسبة... وهو كما يدرو وجدها غير مناسبة.

ذهب فجأة عن الطاولة راقتخ عليها الجلوس أمام المدفأة وتناول بعض القهوة. عاد بعد قليل ومعه القهوة، بدا غامضاً ومفكراً كأنه يحمل شيئاً في رأسه وجلس إلى جانبها.

لتوت إيزوبيل بديها على طرف ثوبها. ثمنت الآن لو أنها لم تعطي هذا الرجل ثقتيها. شعرت بتعاطفها فلا شأن له بحياتها.

- أرجوك، لا أريدك أن تعتقد أنتي جئت إلى هنا لأخبرك قصة نالها، لم أت من أجل ذلك، لم يعبر بي أن أطْلُمك على كل ذلك.

ابتسمت يحياء: قلت لي إن إمكاناتك إعطائي بعض الصائح.

أجابها وهو يذكر: «عشرة آلاف استرليني أستغرب كيف وصلت إلى هذا الرقم بالذات؟».

- أريد القول إلى لندن ثانية دروس في السكرتارية لمدة ستة أشهر على الأقل. أنا بحاجة إلى دراهم لدفع قسط المدرسة ولاستأجر غرفة للسكن، وقد يطول الأمر أيضاً قبل أن أجدد عملاً... كما سبق وذكرت، أنا بحاجة إلى هذا المال من أجل ذلك كله.

راح ينظر إليها يغمض فشرعت بالارتفاع.

قال لها: «أدرك ذلك، قلت لك إن إمكاناتك العملية ضعيفة، ولكن هل لديك إمكانات أخرى؟».

القفت عيناه بعينها فنظرت إليه بتعجب.

ردت: «ماذا تقصد بإمكانات أخرى؟».

- يصعب على مساعدتك مهنياً أي من خلال الزرعة ولكن يمكنني مساعدتك شخصياً.

تعجبت من جرأته وقالت: «هل تستطيع ذلك؟».

هز كتفه استهجاناً:

- لست فقيراً فعشرة آلاف استرليني هي مبلغ زهيد أستطيع تدبيرها بسهولة في بعض الأحيان.

- أنا لا أفهم ما تعني.

أذارت

إيزوبيل

وجهها

بعداً

وشعرت

بالمروف

والازعاج

عندما

تكلما

على

اللائدة

شعرت

بالاطمئنان

لهذا

الرجل

وواثق

به

أما

الآن

فلا

نکاد

تصدق

ما

افتقر

عليها

وما

تقراه

حقاً في

عيه

على اللائدة شعرت بالاطمئنان لهذا الرجل وواثق به، أما الآن فلا نکاد تصدق ما افتقر عليها وما تقرأ حقاً في عيده.

قال لها فجأة بصوت حاد: «انظرلي إلى».

أدارت إيزوبيل وجهها نحوه غصباً عنها، فإذا به ينظر إليها عن قرب وكان يزيد قراءة المكارها.

- هل تعلمين أن عيبيك جيلكان جداً وطريكان؟ لم أر في حياتي أجمل منها، لكن فيهما شيئاً لا أنهيه، شيئاً مثل الهروب. بدون نظراتك حالة انسنت هياها.

- أعتقد أنه سيكون ملماً ومقدماً جملك تستفدين من سباتك... سيكون ذلك صفة ثمينة خالية. لا تترددين ذلك؟

قل أن تستطيع إيزوبيل التحرك والنهوض من التزوم المفاجئ الذي أحدهه صوته التخفيض، دنا منها وعيه لا تفارقاها أبداً... ابتدأت إيزوبيل إلى الوراء خائفة القلب... راح ينظر إليها متسائلاً وكان عياماً قادر على إخباره شيئاً.

شدها عياه بقوه وشعرت أن فيهما سراً عجيباً، كانت تشعر بأن في عييه حدياناً طويلاً. شعرت بيدها ترتجف وبطليها يخفق خفقات قوية.

أخذت إيزوبيل ترتجف من الارتكاك ويداً وجهها مضطرباً ومتجمها. تردد كلامه يزيد أن يقول شيئاً، أما إيزوبيل فانحرف وأسها في دوامة من الضوء والعتمة يراقبه شعور غريب بالفرح والخوف. حاولت إيجاد حلتها على العمل بصورة طبيعية، ولكن ذلك لم يوصلها إلى آية نتيجة.

أخيراً قال لها بصوت متخفض: «أخبريني الآن، هل كنت تتكلمين؟». نفرست فيه إيزوبيل ورددت: «أكذب؟».

ظلت للحظة أنها تسمع ثم استدركت: أقصد أنها تكذب بشأن المال؟... بالطبع هذا ما يقصد... فهو يعلم أنها كلبت بهذا المخصوص.

لم تتبع وجهها وتراجعت إلى الوراء وأدانت وجهها بيسوس. شعرت أنها

تبدو ملتبة.

قال لها بصوت ملوه اليأس: كنت تتكلمين، أعلم ذلك، لا تردين الاعتراف بذلك الآن؟

ارتدىت إيزوبيل نحوه وأجابته: عندما كلمنت قبل قليل، أليس هذا ما تقصده؟

- أجل عندما كلمنت الآن بالضبط.

كان صوته قوياً وبارداً فاختت إيزوبيل بألم بين ضلوعها. ضيق بطنها على جنبيها وأختت بالغرفة هادة جداً وبالرجل الواقع قربها جامداً... علمت أن نظره لم يكتب عنها نظر. أخيراً ابتعد عنها غاصباً ثم قال لها بذكره ونفور:...

- أتي ذلك، ربما كنت على خطأ. لم يكن جديراً لي أن أفهمك بشيء.

رفقت إيزوبيل وجهها نحوه والقلق والاضطراب يعميان تكرها وسائل: لماذا تهمني بالكلب؟

ظهور الشر من عينه وأجابها باستهجان وسخرية:

- أوتسالين؟ أريد أن أعقد معك صفة.

شعرت بأنه طعنها بخنزير في قلبها فقدت القدرة على الكلام. أغيراً

سأك بصوت هادئ: ماذا تعنى بذلك؟

- تریدين أن أمحى ذلك لك؟ حسناً.

هز كتفه باستهجان: أريدك. لا ترين أن ذلك واضح... أدارت إيزوبيل وجهها عنه وقالت: أدرك بماذا نكترت، ولكنني لست كما نظن.

قال باستهجان: «الحق؟»

شعرت بالغصب وبضمير في النفس: لا أدرى لماذا تنظر إلى هذه النظرة الشبيهة... .

أجابها بصوت قوي غاضب: «أنت تعرفين السب، ولا تخاوي إنجامي بذلك تلك البرية المسكينة».

اعتزلت عيناً ايزوبيل من النقض وأجابه ببراعة:

- أنت تقوم بصفقة تجارية، إذا قبلت ولم أقاوم سترضوني المال الذي احتاجه، أليس هذا ما تريده؟
توقفت ولكنه ظل ساكتاً... ربما لا يريد أن يعترف بصفته التجارية
القدرة.

ضفت على يديها وأضافت بحده: ربما على مجتها جيداً آن: لست
من أولئك النساء اللواتي يسعن أنفسهن مقابل عشرة آلاف استرليني أو حتى
مقابل عشرة ملايين، أفهمت... والآن من الأفضل أن أصرف.
- لم أتكلم نظ عن صفقة، المسألة التي أريدهك... أما المال فلا قيمة له في

مثل هذه الأرضاع، ولا يمكنني خسارته.

أجاب بغضب: «إنتي أهتم».

ابعدت عنه وعندما أراد رفع يده نحوها قالت له بحده: لا تلمسني
أبداً فانت ثير الشتازى.
لم يخبرني قوله ذلك، هنا ما قالته لنفسها عندما رأت عضلات وجهه
تنقلص ونظراته تتجهم، ولكنها في الواقع ودت لو ترق وجده ياظافرها،
غير أنها غالباً تفتقها.

قال لها ببطء وازدراء:

- قلت لك إنك لست عذراء مسكتة، فلا يedo ذلك عليك، لماذا
تستددين إلى الباب؟ لماذا لا تعودين معى؟

أطلقت ايزوبيل صرخة قوية وراح نفسها يرتعش.

- قد يفديك تغيير الجلو، ما رأيك بهذا المكان هنا؟

ردت ايزوبيل بغضب: «خذار عانقتوه»،
الذرب منها وهو ينسحب بازدراء: آنسة سانت ابرين، لماذا لا تأتين إلى
هنا وتدعيني...».

ضررته ايزوبيل بقضبة يدها ضريرة قوية وتراجعت إلى الوراء أما هو
فرفع يده ببطء إلى خده حيث ظهرت علامات حمراء سببها أظافرها على ما

يدو، تفرس في وجهها متوجه العنبن ثم ما لبث أن ابسم بازدراء:

- أنت مثل هرة صنبرة.

ابعد عنها وأتجه نحو الدفاتر. كانت ايزوبيل ترتعش من القبض
والقبض ومن الحياة والارتباك... راحت تنظر إلى ظهره وتمتد الثوالي التي
بدت بلا نهاية. أدرك أن عليها إما الانتصار وإما الاعتذار فهو رقم حدة
كلامه لم يعاملها بعطف. صدرت كلماته غصاً عنه وكأنه يكره نفسه.

ارتفع إليها وقال لها يهدوه:

- إنها المرأة الثانية التي تضررت فيها امرأة، في المرّة الأولى كانت الظروف
جادة وخطرة أحب إخبارك بها.

فتحت ايزوبيل فمها لتقول له ما يغرسه ولستطيع المتروج من الفرقة
ولكنها لم تقدر على الكلام، بل ظلت رغم إرادتها مسورة في مكانها. بدا
وجهه قاتماً وصوته هادئاً، ولكنها شعرت أن انفعاله قوي وظاهر.
أردد: «كان للمرة الأولى انعكاسات خطيرة لذلك وقت أمام
المحكمة».

انسمت عيناً ايزوبيل وقالت له: «ماذا؟»

رفع رأسه نحوها وتتابع:

- كانت الهمة الرئيسية الاعداء... كان ذلك كلباً واقتاء فالرا: المعنية
ونهضت الشهادة بذلك.

استرمي ايزوبيل كلامه ورأت عينيه تنظران إليها كأنه يتظر جواباً
منها، ترددت ثم أجابته بعصبية: «ماذا تغيرت بذلك؟».

ابتسم:

- حدثتني عن نفسك فلماذا لا أحذو حذوك؟ سأخبرك بالنتيجة الأخيرة
إذا أردت: حكم على بستان من الجن حُسمت منها سبب حسن
سلوكي...».

- أنت؟ كنت في الجن؟ لا أصدق ذلك.

راحت تحدق إليه وإلى القرفة.

ضحك ضحكة قصيرة وأجابها:

- أقصدين أنتي لا أبدو كجبن سابق؟ حسناً أنت على صواب ولكنني
كنت عظوظاً فقد كان لدى أصدقاء ساندوني ولدي كذلك مال ساعدنـ
أيـها.

اتاحت إيزوبيـل إلـي الأمـام وهي لا تصدق ما سمعـتـ: إذاـماـ كانتـ
الـهمـةـ؟

ابـنـمـ وأـجـابـهاـ: أـمـ أـقـلـ لـكـ؟

كـاتـ عـيـاهـ مـتـجـمـعـينـ وـوـجـهـ شـاحـجاـ.ـ نـلـاقـتـ أـنـظـارـهـاـ قـرـدـدتـ
إـيزـوـبـيـلـ وـوـجـدـتـ شـبـئـاـ غـرـبـاـ فـيـ نـصـرـةـ.ـ نـكـلـمـ كـانـ يـقـومـ بـنـوعـ مـنـ التـحدـيـ
فـارـجـعـتـ: دـعـلـ تـحـبـنـيـ الحـقـيقـةـ؟ـ .ـ أـوـهـ!ـ أـجـلـ.

ـ مـاـذـاـ تـحـبـنـ ذـلـكـ؟ـ لـاـ أـكـادـ أـعـرفـكـ.

ـ تـقـدـمـ قـلـيلـاـ تـحـوـلـهـاـ:ـ أـرـدـتـ أـنـ تـعـرـفـ مـنـ أـكـونـ وـمـاـذـاـ أـنـ؟ـ .ـ

ـ إـذـنـ أـخـبـرـيـ هـلـ كـتـ مـذـنـبـ كـمـاـ اـهـمـتـ؟ـ

ـ حـكـمـتـ عـلـيـ الـحـكـمـ يـاـنـيـ مـذـنـبـ.

ـ نـظرـتـ فـيـ عـيـهـ:ـ لـكـكـ كـتـ بـرـيـتاـ،ـ لـمـ تـعـملـ ذـلـكـ؟ـ لـاـ تـقـدـرـ عـلـيـ فعلـ
ذـلـكـ،ـ هـذـاـ مـاـ تـصـدـهـ عـنـدـمـاـ تـلـكـ تـرـيدـ نـيـانـ لـاـفـيـ.ـ أـرـدـتـ نـيـانـ ذـلـكـ
لـأـنـ حـكـمـ عـلـيـكـ بـشـيـءـ؟ـ لـمـ تـعـملـ أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ـ .ـ

ـ اـسـتـغـرـتـ لـأـنـاـ نـقـشـ لـهـ عـنـ عـلـرـ...ـ

ـ أـجـابـاـ بـهـدوـ وـهـوـ يـنـظـرـ إـلـيـ البعـيدـ:ـ أـرـىـ أـنـ تـشـعـرـنـ ذـجـاهـ بـبعـضـ
ـالـقـةـ،ـ أـكـرهـ تـحـبـبـ ذـلـكـ.ـ سـأـرـدـ عـلـ جـواـبـكـ وـلـكـنـ وـدـيـ تـدـلـاـ بـكـونـ مـقـنـعـاـ
ـكـمـاـ تـوـقـعـنـ.ـ فـقـلاـسـتـةـ الـأـخـلـاقـ يـرـيدـونـ مـاـ أـنـ نـقـلـ:ـ أـنـ الرـغـبةـ فـيـ الـقـيـامـ
ـبـالـعـرـبـيـةـ تـجـعـلـ مـنـ الـإـنـسـانـ الـراـفـدـ مـذـنـبـ كـمـاـ اـرـتكـبـ الـمـرـيـمةـ.ـ فـلـاـذاـ كـاتـ
ـهـذـهـ مـيـقـنـةـ إـذـنـ فـلـاـذاـ مـذـنـبـ حقـاـ كـمـاـ اـهـمـتـ،ـ أـرـدـتـ تـنـهـاـ لـكـتـيـ كـتـ
ـأـجـيـهاـ كـثـيرـاـ.

ـ تعـجـبـتـ إـيزـوـبـيـلـ لـأـنـاـ شـرـتـ بـغـيرـةـ مـفـاجـةـ مـنـ هـذـهـ الـرـأـةـ الـمـجهـولةـ،ـ

ـ كـانـ يـنظـرـ إـلـيـهـاـ وـقـدـ انـقـدـ حـاجـاءـ.
ـ أـدـارـ وـجـهـهـ لـحـظـةـ..ـ بـدـاـ مـتـرـدـداـ..ـ كـانـهـ شـرـ بالـدـمـ بـبـبـ إـنـدـامـهـ عـلـيـ
ـهـذـاـ الـاعـزـافـ الـتـرـبـ.

ـ تـرـيدـيـنـ الـدـهـابـ؟ـ حـسـناـ..ـ سـأـجـبـ لـكـ مـعـطـفـكـ.
ـ اـخـنـفـ فـيـ الـفـرـقـةـ الـأـخـرـيـ وـرـاحـتـ إـيزـوـبـيـلـ تـرـاقـهـ.ـ لـمـ تـسـطـعـ مـعـرـفـةـ
ـشـعـورـهـ لـكـتـهـاـ تـلـمـ جـيدـاـ أـنـ كـلـ ذـرـةـ مـنـ حـوـاسـهـاـ تـقـولـ لـهـاـ:ـ إـنـ بـرـيـهـ.
ـ مـاـذـاـ أـخـبـرـهـاـ بـكـلـ ذـلـكـ؟ـ أـلـاـ أـرـادـ مـتـهـاـ مـعـرـفـةـ أـمـاـعـنـهـ أـمـ كـانـ يـنـتـظـرـ
ـمـنـهـاـ أـنـ تـشـرـ بـالـصـدـمـةـ وـالـخـرـفـ خـنـهـبـ بـعـدـاـ وـتـحـاـشـ بـعـدـاـ وـرـقـيـهـ مـرـةـ ثـانـةـ؟ـ
ـ ضـفـقـتـ بـيـدـهـاـ الـرـغـبـةـ عـلـيـ جـيـبـهـاـ وـبـدـاـ كـلـ شـيـءـ يـسـرـ بـرـعـةـ هـاثـةـ.
ـ شـرـتـ بـأـنـاـ مـوـجـودـةـ فـيـ قـطـارـ سـرـعـاـ لـأـنـقـدـ عـلـىـ التـرـزـولـ مـهـ..ـ وـكـانـ الـقـطـارـ
ـيـسـرـ فـيـ الـظـلـامـ.

ـ لـمـ تـشـرـ بـالـخـوـفـ أـوـ التـرـدـ كـلـيـاـ بـلـ أـرـادـتـ فـقـطـ أـنـ تـنـظـلـ فـيـ ذـلـكـ الـقـطـارـ
ـ السـرـعـ وـتـدـعـهـ بـقـوـدـهـاـ إـلـىـ الـظـلـمـةـ.ـ تـرـكـتـ بـيـدـهـاـ مـهـويـ..ـ هـلـ كـانـ شـرـعـ
ـبـدـلـكـ لـوـمـ يـهـاـجـهـاـ بـلـائـهـ الـلـازـمـ؟ـ
ـ عـادـ وـمـعـطـفـ فـيـ يـدـهـ فـوـضـعـهـ حـوـلـ كـتـبـهـاـ.ـ ثـمـ قـالـ لـهـاـ:ـ أـرـيدـ رـوـيـكـ
ـمـرـةـ ثـانـةـ.

ـ قـالـ ذـلـكـ بـيـرـوـدـةـ وـمـنـ دـوـنـ ثـانـيـ كـانـهـ يـنـظـرـ رـفـقاـ وـأـزـدـاءـ مـتـهـاـ.
ـ «ـأـرـيدـ رـوـيـكـ ثـانـيـ»ـ رـوـتـ ذـلـكـ الـكلـمـاتـ فـيـ أـذـنـهاـ بـرـعـةـ.
ـ الـتـقـتـ عـيـاهـ بـعـنـبـهاـ قـرـاتـ فـيـهـاـ بـرـيـطاـ غـرـبـاـ غـيـرـ فـجـاهـ كـلـ مـلـامـ
ـ وـجـهـ.ـ اـبـنـ:ـ كـمـ تـبـدـيـنـ شـرـيفـةـ وـطـاهـرـةـ فـيـ بـعـضـ الـأـحـيـاـ
ـ فـنـعـ الـبـابـ وـضـعـفـ عـلـىـ ذـرـ الصـعـدـ وـسـالـهـاـ:ـ مـنـ سـنـعـودـيـنـ إـلـىـ
ـ الـنـزـلـ؟ـ .ـ خـدـأـ.

ـ نـظرـتـ إـيزـوـبـيـلـ إـلـيـ البعـيدـ..ـ بـجـبـ عـلـيـهـاـ مـقـاـبـلـةـ الطـيـبـ الـاـخـصـاصـيـ
ـ فـيـ الصـاـحـ.

ـ سـأـلـلـكـ مـعـيـ..ـ لـدـيـ بـعـضـ الـأـمـالـ مـعـ جـوـنـ شـوـ.

العاية والتزول على السلام إلى الخارج.

تفكرت: من هو ذلك الشخص الذي ملك ثلبيها ونسمة؟ هل كان يوليوس؟ لهذا السبب شاهد عينه في أحلامها؟ لهذا السبب كرها؟

* * *

وصل المصعد فهمت بالدخول إليه ولكنها تذكرت أول كلماته فنظرت إليه وقال له بتردد: أرجوكم أمال، أرجو منك عدم ذكره أبداً بعد الآن. إذا نسبت أنت شخصياً ذلك فسأكون عنده لك.

قال بصوت واضح عندما وقفت إيزوبيل في وسط المصعد: سأجرب ولكن ليس الذي كفأتك لأنس الأشيه بسرعة.

تفع عيادة الطيب ستيفنون في شارع «مارلي» في الطابق الأول من بناء لخدم مدخله واسع وأنيق... في وسط المدخل بعيداً عن الأنوار طرفة الاستقبال ومكتب السكريبة. توافرت إيزوبيل فرأى الباب ينفل خلف أحد الزيارات.

شعرت فجأة بضيق في التنفس، فأستندت جسمها إلى الحائط. لم تكن كف دخلت إلى غرفة العيادة. بعد فحص دقيق وبطيء، قال لها الطيب:

«أنسة سانت ابوبن، أعتقد أن هناك ما يجب عليك معرفته».

توقف قلبها عن跳动 ففكت أنها كانت محظوظة في كل تحدياتها لأنه قال لها:

ـ «أنسة سانت ابوبن، هل حدثت معك شيءٍ جديد في حيائك في المدة الأخيرة، أعني من الناحية العاطفية؟

لم تفهم في بادئ الأمر ماذا يعني... ظلت أولاً أنه عن تلك موت زوج أمها، ثم انتقل تفكيرها إلى اللبلة السابقة... أخيراً أدركت أنه يعني: هل هي واقعة في غرام أحد؟ هل لديها حبيب؟

تفكرت بحزن أنه لم يفهم وضعها. أخبرها بطف وتشجيع عن «تصرف المراهقين الطبيعي». وقت أمامه هادئة، ودببة كطفل لا يدرك ماذا يقول ولكنه يريد الصريح حالياً. ظلت أن كل شيء مسيطر على حقيقته في الوقت الناس ولكن ذلك لم يحدث، أحسست بغضب غريب لأنها ما تزال غائبة الذاكرة. تذكرت: أريد أن أعرف، أريد أن أعرف، إن ما أشر به ليس غيرها تحب بل وحشياً. كيف لي أن أنس شيئاً كهذا في الوقت الذي حل حيائ كلها أن تغير؟ حاولت ضبط أعصابها وأجبت نفسها على الخروج من غرفة

مناسباً الآن.

كان المطعم فارغاً تقريباً، إذ ليس فيه سوى شخصين. وجد البوت
لهماء طاولة هادئة في مؤخرة الصالة تطل على الحديقة فالمكان دافئ وهو
أفضل من الجلوس خارجاً في الهواء البارد.

- ماذاغرين أن تشرب؟
- شكرأً، كوبأً من المرطبات.

انخفض البوت.. ثم سمعت صوته وهو يطلب المرطبات والستديوش.
نظرت أيزوبيل إلى الخارج، كان الجدول يغيب بالماه ورأى الجمعة تتحرك
إلى الوراء وتحاول عيناً التوقف لانتظار بعض ثبات الخير من دون أن تقدر.
نظرت أيزوبيل إليها وراحت تبكي بصمت. كانت الدموع تندحر على
وجنتها ثم على المائدة، وجدت ذلك سخيفاً ولكنها لم تقدر أن تتوقف عن
بكاء.

شعرت به ينظر إليها باهتمام.. حاولت أن تخفي رأسها فتساقط شعرها
وأخفى وجهها. لم يقل شيئاً بل غلت نظراته نحو برقة على وجهها، وأخيراً
عندما جفت دموعها، نالوها عرمة بيضاء. جففت عينيها واستعادت
أنفاسها وهي مرتبكة جداً.

عندما وقعت نظرها إليه قال لها بلفظ: الآن، تناولي هذا الستديوش
وعلمه شعرين بالحسن أخبرني لماذا تبكي؟ لأنني عادة لا أحallow لخطيب
الناس عندما أدعوههم إلى تناول الطعام.

- أنا آسفه، نصفي سخيف وكل ما فعلته هو تبلييل عمرتك.
فغضبت قصبة من الستديوش.

- لا أواقن أبداً، فأساوشي قد يفعله المرء هو حبس الدموع. انظر
حالياً أن العالم سيكون أفضل حالاً لو لا الأحراف التي قنع الرجال من
بكاء.. هذا لا يعني أني سأبكي الآن، لكن إذا كنت تزيدين البكاء مرة
ثانية فلا تترددي لأنني لن اعترض.

ابسمت أيزوبيل، ثم تابعت فحسم الستديوش وما إن انتهت حتى

٤ - من أجل عينيك

اصطحبها البوت ريتشاردسون من الفندق بسيارته B.M.W. السوداء
الواسعة. أخذت أيزوبيل تنظر من النافذة إلى الشوارع فبدت لندن رمادية،
كتيبة، شعرت أن ذكرها شبيه بهذا الجلو..
نظر فجأة إليها، ومن دون أن يتكلّم أدار المسجلة فعمت الوسيقى في
أجواء السيارة، كانت أوربرا الموزارت. راق لها ذلك وأراح تفسيتها قليلاً.
عندما وصلت الموسيقى إلى نهايتها، قال لها أخيراً: «أنت هادئة
كثيراً».

فتحت عينيها فوجدت لندن وراءها.
- أنا آسفه، أشعر ببعض التعب، أين نحن؟
- قرب أوكسفورد، يمكننا التوقف في مكان للراحة ولتناول طعام
النداء وبعد ذلك للقيام بزيارة على الأقدام إذا أردت.. هل أكلت؟
- لا، لم آكل.. ولكنني أعرف أنك مشغول، وهناك أعمال بانتظارك.. لا
أريد إلهامك وإصابة وقتك.

ابسم وقال لها: «لو كنت فعلاً مشغولاً لما اترحت عليك ذلك.
سوف توقف قرب بورفورد».
توقف أخيراً أمام مطعم قديم جيل.. كان هناك حديقة يمر فيها جدول
صغير، تسبح فيه الجمعة بيضاء لأخذت تراقبهما.
ابتسم البوت وقال لها: هي تزيد ستديوش، في الصيف يطعمها كل
الزمامير أما في الشتاء فيجلس الجميع في الداخل.. حسناً سيكون الستديوش

٥٣

معلومات غيرها؟ هل ذلك يعني أنت أعطيك معلومات ناقصة عن أشياء يجب أن تعرفها؟

نظرت إيزوويل إلى البعيد: أشعر أحياناً أنتي تذكرت صورة كل ما فيها متناسق ثم أرى نجاة أن الصورة غير كاملة، فارتديك ولا أدرى ماذا أفعل، كنت عتنا ليلة أمس عندما تكلمت عن الشانز والأبراب والنواذل المؤسدة، لكنها بعثت كثيراً، إنما ماضي الذي أريد أن أذكره.

توقفت نجاة لأنها أدركت ماذا قالت فحاولت إبداله في اللحظة الأخيرة... كانت على وشك أن تقول: أريد منه أن يعود، زاحت عن عينها لحظة وأضحت ترى بصعوبة وجه البوت.

قال لها بذوقه وعيته، لا تفارق قلن وجهها: لماذا لا تفشن عنه؟
ـ أنا آسفه، ماذاقت؟

ـ قلت لماذا لا تفشن عن ماضيك؟ لم تخطر بباله ذلك التفكير؟
ـ أتش عنه؟ كيف؟ وأين؟

أجابها بصوت هادئ يطوي: حسناً، يمكنك الذهاب بالعودة إلى المكان الذي وقع لك ما وقع... لا تستطعين اللعب إلى منزلك القديم، إلى المكان الذي حصل فيه الحادث؟

صرخت إيزوويل بصوت منخفض: أستطيع، بالتأكيد أستطيع ذلك، لم أذكر في هنا فقط... ما كان والذي ليسع لي بالدهاب... كان يغضب عندما أتكلم عما حدث...
ـ لن يستطيع منحك بعد الآلة.

أعادت هذه الكلمات إيزوويل إلى واتتها، فادركت أن ذلك صحيح، فهي حرجة بالذهاب إلى حيث يعلو لها، تقدمت نحوه لا شعورياً وقالت له بحرارة: أشكرك، أنت ذكي جداً، اعتد أنه على حق وأعتقد أن على العمل بتصحيحك.

وقف وبتسهيل إيسامة جادة: «أنتي مسرور بمساعدتك، لو لم أكن مصرياً لأخذت منهني ذلك، ما رأيك بمختار؟ هل نعتقد أنني سأخرج

أرجعت ظهرها إلى الوراء وأستدنه إلى طرف المقعد ورفعت شعرها الكثيف عن وجهها: أنا أفضل حالاً... لم يحدث شيء».

ظل يراقبها ثم سألها بطف: لماذا يكتب؟
ـ كنت أنظر إلى البجعة فوجدها رائعة عند بدأت أيكي، لم يكن هناك سبب خاص.

قال بطف: أنت متيبة ومتورطة الأعصاب كثيراً.. أعتقد أن تصرفك ساهم في ذلك، أريد الاختصار منك.

ابتسمت: ليس هذا هو السبب، لا شأن لك بذلك ولم يكن ذلك أيضاً بسبب موت زوج أمي، السبب بسيط كما قلت لك.. أحياناً أشعر بقطيعة وضعني فانا لا أذكر شيئاً، أحصل فقط على معلومات بسيطة من ماضي، وفتاً لما يقصه على الآخرين... بعض المعلومات البغيضة، المهملة، قطعة هنا، وأخرى هناك، ثم اكتشف أشياء جديدة لم يخبروني بها... وعندما أسألهما لماذا كانوا هنالك بعض الأمور يقولون إننا نعمل ذلك من أجل سلامتك.. هذا مترف، مترف جداً وهو يشرفي أحياناً أنتي ساهمت بالجنون.

كان يستمع إليها باهتمام: هل أخبرت طببك بهذا؟
ـ جربت مرة أو مرتين، فوصف لي أنواعاً جديدة من المسكنات توقف عن تناولها... وما كان على حق، لم استعملها منذ بضعة أيام، وهذا أنا أيكي أيام الأغراب في المطعم.

ابتسمت قليلاً وابتسم لها هو أيضاً برقه فأشاء الشخص حينه.
ـ حسناً، لم يذكر هل كثني، علاوة على ذلك، لا مانع هندي وإنما بالضبط غريباً.

رفعت إيزوويل بصرها إليه وأجايه: لا، فاتت لست كذلك، لكن ليس من الضرورة إزهاجك بكل ذلك، فهذا لا يعنيك.

أجابها بصوت واضح:
ـ أستطيع جعل ذلك يعنيني، ماذا قصدت عندما ثلت إنهم يعطونك

النفس بارداً جداً، فهل نعود إلى السيارة؟».
وَجَمَا بِصَمْتٍ، حَاوَلَتْ اِيزُوَبِيلْ اسْتِرَاقَ نَظَرَهُ إِلَيْهِ وَلَكَنَهُ ظَلَّ
يَنْعَاشُهَا... أَرَادَتْ أَنْ تَكَلَّمْ وَأَنْ تَطْرَحْ عَلَيْهِ أَسْلَهَةً وَلَكَنَهَا لَمْ تَجْرِأْ. عِنْدَمَا
وَصَلَّ إِلَى السِّيَارَةِ، اسْتَجَمَّتْ كُلُّ شَجَاعَتِهَا وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ وَسَالَهُ:
ـ أَنْتَ تَلَمُّ وَتَشَمَّرُ بِالرَّوْاَدِ، لاحَظْتَ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْلَى الَّتِي شَاهَدْتَكَ
فِيهَا وَأَنْتَ إِلَى ذَلِكَ لَطْفٌ كَثِيرٌ أَعْمَى، لَذَا أَتَنِي لَوْ أَسْتَطِعُ مَاعِدْتَكَ.
أَتَنِي إِلَى الْأَمْامِ وَفَتْحُ بَابِ السِّيَارَةِ وَأَجَابَهَا بِمَرَاوَةٍ: التَّمَنِي لَا يُغَيِّرُ
شَيْئاً لِلَّأَسْفِ.
ـ أَماَزَتْ لَهُمَا؟

طَرَحَتْ عَلَيْهِ السُّؤَالُ قَبْلَ أَنْ تَنْكِرْ فِيهِ.
وَلَكِنْ ذَلِكَ السُّؤَالُ انْطَلَقَ مِنْهَا عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَيَقِنَّ مَعْلَقاً لِلحَظَةِ فِي
الْهَوَاءِ الصَّافِتِ. كَانَتْ اِيزُوَبِيلْ تَنْتَظِرُ إِلَيْهِ وَهِيَ خَالِفَةٌ عَمَّا قَاتَتْ.
لَجَّمَهُتْ هُبَّا الْيَوْمِ فَأَجَابَهَا بِمَدْوَهُ وَهُوَ يُمْكِنُ بَابَ السِّيَارَةِ:
ـ أَكْرَهُهَا، وَإِذَا مَا قَابَلَتْهَا مَرَّةً ثَانِيَةً فَتَأْسِفُ عَلَى غَطْبِهَا. هُلْ يَمْكُتُ
الانْطَلَاقُ إِلَيْهَا؟

تَسَاقَطَتِ الْأَلْوَحُ طَوَّالَ اللَّيلِ. وَفِي الصَّبَاحِ، عِنْدَمَا سَعَتْ اِيزُوَبِيلْ
السَّائِرَ وَجَدَتْ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ تَغَيَّرَ... فَكُلُّ الْطَرَقَاتِ تَكُوْنُهَا الثَّالِثُ.
الْبَدَارُ الْكَبِيرُ الَّذِي كَانَ يَجْبَطُ بِالْحَدَائِقِ مِنْ كُلِّ الْجَوَابَاتِ وَالَّذِي كَانَ يَدُوِّ
عَادَةً ثَانِيَةً جَدَّاً كِيدَارُ السِّجْنِ طَمَرَهُ التَّلَوْجُ فَاخْتَفَى. كُلُّ شَيْءٍ فِي الْخَارِجِ
مَفْمُورٌ بِالْبَلْلَاجِ.
فَكَرِّتْ فِيمَا قَالَهَا الْيَوْمِ: التَّمَنِي لَا يُغَيِّرُ شَيْئاً لِلَّأَسْفِ.
فَكَرِّتْ أَنْ هَذَا الرَّجُلُ يَحْطُمُ تَسْهِهِ، فَهُلْ يَعْلَمُ ذَلِكَ؟ وَلَكَنَهَا لَمْ تَقْلِ شَيْئاً
فِي تَلْكَ اللَّبْلَاجَةِ لَمْ تُسْطِعْ النَّوْمَ. تَرَاهُ إِلَى تَكْرَهِهَا أَهْمَاءً مُشَابِهِنَّ. أَبْيَتْ هِيَ
أَيْضًا يَحْطُمُ نَفْسَهَا بِتَصْمِيمِهَا عَلَى مَعْرِفَةِ الْمَاضِ؟ كَلَامًا يَقْعِدُ ذَلِكَ عَلَى
طَرْبَتِ الْحَامِةِ.
جَعَلَنَّهَا هَذِهِ الْخَبِيجَةَ تَشَعُّرُ بِعدُمِ الصَّيْرَةِ وَالتَّضَبْ. أَرَادَتْ التَّحرُّرِ مِنْ

بِذَلِكَ؟ وَالآنَ مِنَ الْأَنْفَلِ أَنْ تَلْهُبْ، سِيقَلُونَ الْمَطْعَمَ عَلَى مَا أَعْتَدَهُ.
ـ حَسَّاً، اتَّنْتَرِي بِيْبِ الْأَنْسِ ذَلِكَ.
تَقْطَمَتْ اِيزُوَبِيلْ مَا تَبَقَّى مِنَ السِّنْدُوْشِ وَخَرَجَتْ إِلَى الْحَدِيْقَةِ حِيثُ كَانَتْ
الْجَمَّةُ تَسْتَرِي يَقْنَاعَ الصَّبِيرِ. شَعَرَتْ اِيزُوَبِيلْ بِالْأَمْتَانِ لَهَا فَلَأَرَادَتْ
مَكَانِهَا...
تَوَقَّتْ فِي طَرِيقَهُمَا إِلَى الْتَرْزِلِ وَذَهَبَتْ فِي نَزْهَةٍ صَفِيرَةٍ سَيِّرَةً عَلَى الْأَقْدَامِ. بِدَا
لِلنَّظَرِ رَأَيَّا، رَاحَتْ اِيزُوَبِيلْ تَتَأْمِلُ لِلنَّظَرِ الرَّائِعِ وَتَأْخُذُ نَفَّاً عمِيقاً مِنِ
الْهَوَاءِ التَّلَعُشِ الْبَارِدِ. كَانَ الْهَوَاءُ يَلْفُحُ وِجْهَهَا وَبُورَدَهُ خَدَّهَا فَلَاحَسَتْ أَهْمَانِها
تَغَيَّرَتْ وَالْمَقْرِبَةُ أَهْمَانِهَا لَمْ تَكُنْ تَشَعُّرُ بِهِ الثَّقَةُ بِالنَّفْسِ قَبْلَ حَلْظَاتِهِ.
ـ كَانَ الْبَيْوتُ مَسَامَةً، لَمْ يَقْلِ شَيْئاً بَلْ بِدَا عَارِفَةً فِي الْأَنْكَارِ... كَانَ يَنْتَرِي إِلَى
الْأَقْنَى الْمُبِيدِ، وَلَيْسَ إِلَى الْمَنْظَرِ. رَاحَتْ تَتَأْمِلُ قَاتِ الْطَوْلِيَّةِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي يَمْدُدُ
قَائِمَةً أَمَامَ السَّمَاءِ الرَّمَادِيَّةِ الشَّاحِبَةِ.
ـ فِي طَرِيقِ عُودِهِمَا إِلَى السِّيَارَةِ سَأَكِهُ بِقَفْشَوْلِ: قَلَتْ لِي: مَهْتَكَ الْأَنْكَارِ.
ـ مَاذَا كَانَتْ مَهْتَكَ الْأَوَّلِ؟ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْبَدَأَةِ وَرَجُلُ مَصَارِفِ.
ـ أَجَابَهَا يَإِيجَازٌ: «لا، كَنْتُ عَمَّابِيَّاً حَتَّى حَدَثَتْ الْفَطْرَوَفُ الَّتِي تَكَلَّمَنَا عَنْهَا
بِلْهَ أَمْسِ». طَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَبْتَعَدْ عَنِ الْمَفْرَةِ الْعَيْبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي طَرِيقَهُمَا.
ـ قَلَتْ لِكَ أَنْفَلْ تَطْلُعُ كُلُّ مَا يَعْدُ إِلَى الْمَاضِيِّ. لَكِنْ بِالْطَّبعِ هَذَا لَيْسَ
مِكَانًا دَائِمًا.
ـ تَوَقَّتْ اِيزُوَبِيلْ فِجَاهَهُ وَسَالَهُ وَهِيَ تَنْتَظِرُ إِلَيْهِ: هُلْ شَعَرْتُ بِالْأَمْ
وَالْمَرَّةِ؟ مَا حَدَثَ حَطَمَ حَيَاتِكَ كَلَّهَا كَمَا أَعْتَدَ؟ أَجَابَهَا يَحْلَوُ: «تَعَمَ حَدَثَتْ لِي ذَلِكَ».
ـ تَرَدَّتْ اِيزُوَبِيلْ هُنْدَمَا لَاحَظَتْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى وضعِ نَفَسِهِ خَلْفَ حَاجِزٍ لَا
يُمْكِنُ اِخْتِرَاعَهُ. وَلَكَنَهَا تَرِيدُ مَعْرِفَةَ الْزَّيْدِ مِنْهُ فَسَالَهُ: مَاذَا لَمْ تَشَهِّدْ؟ مَاذَا لَمْ
تَكَلَّمْ تَلْكَ الْمَرَّةِ؟ مَاذَا لَمْ تَأْتِ وَتَقْتُولَ الْحَقِيقَةِ؟ أَجَابَهَا بِرُوْدَةٍ: «يَجِبُ أَنْ تَسْأَلَهَا ذَلِكَ، لَيْسَ لَدِيْ أَيْ ذَكْرَةَ... أَمْسِحُ

هذا الكابوس، إنها ترق إلى ذلك وهي تزيد التحرر منه دفعة واحدة وإلى الأبد. وكم تمنى لو بتحرر هو أيضاً لأنه الآن يبدو كرجل لا يزال ينفذ حكماً قضائياً.

ابعدت عن النافذة وذهبت بالكارها إلى البعيد. وتذكرت للحظة، عندما كانت تتقدى معد، وعندما كانت تسرع معه أيضاً في المقل بين أقصان الأشجار الياية حيث شعرت بصدق الحرية، هل شعر هو بذلك أيضاً؟ احست آنذاك بأن الكارها ومساعرها تقضي بالمستقبل، أنكاراً غير متراقبة تدعوها إلى ترك الماضي بعيداً. شعرت بأن قليها توقف عن الخلقان ثم عاد فجأة إلى الخلقان من جديد وراحت الدماء تبل في عروقها. شعرت بأنها استيقنت من سبات طوبيل أو كأنها كانت واقفة على قمة جبل عال، تنظر إلى العالم تحت قدميها.. عالم لا تعرف تحديده بالضبط.

نظرت في المرأة، إلى وجهها الشاحب فتذكرت أنه قال لها إنه سبصل بها اليوم قبل موته إلى لندن. اعترفت بيدها وبين نفسها بأن هذه المقابلة ببساطة تماماً قبلها بسعادة كبيرة. استرجعت أنكارها بموضع: يجب الأجهة كبيرة، أو أثقال أي شيء، أو أن تذكر التي واقعة في الفرام أو أن تذكر في وفي لطفه، يجب ألا..

ابعدت برغبة عن المرأة وقررت أن تكون حاسمة ووازعية، لذلك سيعدها إلى حواسها برغبة. أولاً، عليها اللعب لرؤية جون شو ثم عليهما التوجه إلى مصرف البلدة الذي كان يتعامل معه زوج أنها تتجرب إذا كانوا يقبلون إعراضها البليغ الذي تحتاجه بوري.. ثم عليها اللعب بعد ذلك مع بوريس للقاء نظرة على إعراضها، فبوريس راحلة اليوم.. فكرت بسخرية: لا مكان للأحلام بعد الآن.

وصلت في تمام الساعة العاشرة إلى مكتب جون شو وما إن حللت الساعة العاشرة والنصف حتى أتيا كل المعاملات الضرورية التي يجب إنجازها. في الساعة الخامسة عشرة وصلت إلى مكتب مدير المصرف وتقابلات عندما أدركت أن المقابلة مع المدير تسير على ما يرام.

ووجدت أن المدير انتفع بكلامها أكثر من البوت ريتشاردسون. بيد أن هذا الرجل ليس خيناً على الأقل وهو متفهم وعطوف قد استمع إلى حديثها ثم قال لها إنه بحاجة إلى التكلم مع جون شو ولكن بالنهاية قال لها إن موقف المصرف سيكون إيجابياً.

لم ينتفع وجه إيزوبيل فهبت والغة بسرعة وقالت له بحرارة: «أشكرك كثيراً، لا يمكنني أن أشرح لك الارتفاع الذي أحدهه جوابك في نفسى. كنت لغة كبيرة وخانقة».

حدّد لها موعداً للقابلة بعد أسبوع فانصرفت إيزوبيل وهي تشعر بأنها ترقص في الهواء..

بوري على حق، لم تكن للآلة صبغة. شعرت بالفخر لأنها نجحت وفكرت في الاتصال ببوري فوراً. لكن عندما اتصلت وجدت أن بوري خادرت التندق في نيويورك من دون أن تسجل أي رقم للاتصال بها. أتفقت إيزوبيل الخط فلا مشكلة في ذلك. بوري سافرت على الأرجح إلى باريسادوس.. لاحقاً تصلّب بها وتغيرها بالأثناء السعيدة. صعدت السلام إلى هرقة زوج أنها وهي تشعر بالخيالية، اقتربت من بوريس التي نظرت إليها وابتسمت مائة: حسناً، ماذحدث لك؟ أحب معرفة ذلك لأنك تدين في شخص آخر..

توقفت إيزوبيل التي استجمعت قواها قبل أن تغيّرها: «أشعر أنني إنسانة جديدة».

ابتسمت بوريس وسألتها: هل هناك أي شيء يخصوص ذلك السيد ريتشاردسون، سمعت أنه أثقل أنس بسيارته من لندن؟ استدارت إيزوبيل بسرعة، وأجايتها: لا، ليس هناك شيء.. مجرد أعمال..

أجايتها بوريس بللهجة ذات مغزى: أرى ذلك.. وتابعت: إذن، أنت مصممة على إنجاز كل ذلك؟ إنها أسوأ مرحلة.. مرحلة التصفية، لكن لدى الانتهاء منها يشعر الناس بالتحسن والراحة.. أجايتها إيزوبيل بحزن: ستقوم بهذا العمل معـاً. كان هذا العمل

بعيني، لكن الآن يجب [تجازء].

توقفنا ظهراً للراحة وتناول بعض التدوينات والقهوة. نظرت إلى إيزوبيل إلى ساعتها وقالت: لم يبق الآن سوى مكتبه.

- تركت المفتاح على الطاولة، أعتقد أنه عليك القيام بهذا العمل بمفردك لأن على أن أوّل فراشي قبل أن يفوتني نظار الثالث وال الأربع.

نظرت إليها إيزوبيل وأمسكت يدها بحرارة وقالت لها: - طبعاً، أشكرك كثيراً بربنس سأهي ما تبقى بمفردي.. سأخذلك كثيراً.

ابتسم بربنس: سأكتب ذلك.. أريد أن أستريح لمنة وجيبة قبل أن انخرط في وظيفة أخرى.. أو مسيك بالاتجاه إلى نفسك.

- سأتهي لنفسى..

- أشكرك كثيراً على كل شيء.

بعد ذهاب بربنس عادت إيزوبيل بهدوء إلى المكتب فالغدت للفتح وفتح الباب. كانت غرفة المكتب واسعة يتسع لها مكتب خشبي قيد فوقه رفوف ملأى بالكتب خلف وجهات زجاجية. إنها تذكر هذا المكتب منذ طفولتها، كان هناك التأثير الطيفي وجوازات السفر، وتاريخ العائلة.

لن تستغرق الجواhir السفل الأخيرة وقتاً طويلاً لأن زوج أنها كان رجلاً نظامياً بكل الأوراق موضوعة بمعناية داخل الملفات. وضمنتها إيزوبيل في الصناديق بالترتيب. سعيد فراغها بالتفصيل فيما بعد.

فتحت أخيراً الجارور الرئيسي. كان فيه بعض الرسوم والملصقات وبعض الأفلام والماجني ومشابك الورق، وظرف قديم نتح فوجدت في داخله ثلاث حصل من شعر الأطفال. حضرت إيزوبيل شفتها وهي تسامل لمن يا ترى حصل الشعر هذه؟ أمي لأهل زوج أنها، أم لأهلها هي؟.. ترققت الدموع في عينيها. ولكنها لم جاهلتها..

ووجدت أخيراً جاروراً صغيراً تناولت مفتاحه الصغير وفتحه، وهناك وجدت داخله بعض بطاقات الميلاد التي رسمتها بضمها والتي قدمتها إلى

زوج أنها عندما كانت صغيرة. بعد ذلك رأت بعض البطاقات وبعض الصور. كانت تجعل معظم الأشخاص الموجودين في تلك الصور، رسماً هم أصدقاؤه زوج أنها في أيام صباها. عرفت ذلك من الشاب الذي كانوا يرددونها. ثم لفنت انتظارها إحدى الصور تناولتها وراحت تنظر إليها من كتب.. إنها صورة التقطت في حلبة المزرق في ميونخ، كان فيها زوج أنها وأمها وهي شخصياً ويوري. نظرت إليها بعنف فقدرت أنها كانت آنذاك في الثانية عشرة من عمرها. وكان هناك أيضاً أربعة أشخاص: وجبل وامرأة ولدان. شرط بالخلف في ثيابها فنظرت إلى الصورة الباهة عن كتب، كان الرجل واقفاً إلى جانب أمها التي كانت تنظر إليه ضاحكة وكانت زوجته عددة على إحدى كراسي الحديقة، وقد وضعت إحدى يديها على طرف ثوبها والبد الأخرى على العشب أمامها وظهر الولدان واكمين.. كان أحدما في الرابعة عشرة ينظر مباشرة إلى الكاميرا، والأخر الأكبر سناً كان ينظر أيضاً إلى الكاميرا وقد ظهر الغضب على عيشه.. ارتجفت يدها فوقفت الصورة على الأرض. إنه يوليوس وأخوه أدموند. ووالداتها.. اتحنت والتقطت الصورة وهي تترقب من الخرزة. نظرت إلى نفسها فوجدت أنها كانت جالسة القرفصاء في آخر الصورة، يدت ثياباً صفراء شعرها أسود مالس وناعم وكانت تنظر إلى يوليوس.

رفعت الصورة لتقرها من عيشهما ونظرت إليها بيسار. إنه هناك، إنها صورته ولكنها لا تعنى لها شيئاً. إنه طول النافذة، شعره أسود متساقط فوق جيشه.. على مقربة منه كتاب عددة على العشب. ارتجفت وشعرت بعجاً يطلق غريب فرار ذات غزير الصورة ولكنها تحالكت نفسها وأدرك أنها ستندم على ذلك إذا ترعرعت. وضمنتها بسرعة في مختلف مع الصور الأخرى في أحد الصناديق. ماذا كانت تنظر بعد كل ذلك؟ هل باستطاعة قطعة من الورق أن تعيدها ذاكرها وإن نعيده هو شخصياً؟ الفتى لا يميز شيئاً لسوء الحظ، هذا ما قاله اليوت ريتشاردسون وهو على حق.

على البقاء بعد الآن في هذا المنزل مع ذكريات الماضي المؤسفة.. **للاضي الذي لا يعني لها شيئاً.** مثت في الممر ونزلت السلالم إلى الطابق الأرضي.. في هذا الوقت سمعت ضجة حادة وسمعت دقة ساعة الحائط ثم.. ثم رأت ابليوت ريشاردسون وانقاً ينظر إليها.

* * *

- أنا أدرك ذلك... هل يمكنني النظر؟

كان وانقاً أمام النار في غرفة الاستقبال. بدا طويلاً للغاية جداً يرتدي بدلة أخرى من تلك البذلات السوداء الأنيقة. ترددت إيزوبيل والأخرى ندمت على الكلام الذي صدر عنها. بسب الصدمة التي شعرت بها لدى اكتشافها البطاقة، أمام هذا الرجل البارد التحفظ والذي لا يمكن التنبؤ بنياه. عندما التقى عباً بعيتها، ابسم بلهف وبحرارة غير متظاهرة، فاختفت شكوكها وندمها وشعرت بالسرور لأنها أخبرته بذلك. مدت يدها ببطء وأعطيت البطاقة التالية.

راح ينظر إليها يصمت ثم أدارها إلى الجهة الأخرى وأخذ يقرأ رسالتها بانتباه. شعرت إيزوبيل أن تلك اللحظات من الصمت أطول من دهر.. . أخيراً رفع نظره فإذا يارها ومتوجهماً.

قال لها وهو يرسم: كنت سعيدة وسليمة... هذا شيء مهم أخبرك.
- إنه لا شيء على الإطلاق. لا أصدق أنني كتبت ذلك، لوم أرجح بغضني لما حدثت ذلك قط.

قال لها يندوه: ألا يذكرك ذلك يأتي شيء؟

هزت إيزوبيل رأسها فوضعت اليوت الصورة على الطاولة، وبعد صمت قليل قال لها: جئت إلى هنا اليوم لأنتم لك انتقاماً وأعتقد أنه اقتراح صالح.

أدانت إيزوبيل وجهها نحوه. وردت: أقتراح؟!

- أخبرتك سابقاً أن عليك التهاب والبحث عن ماضيك.. عليك العودة إلى ديفون وإلى المكان الذي وقع فيه الحادث.

أرادت الآن الانتهاء من كل ذلك باسرع وقت والفرج من هذه الغرة والهروب من تلك الذكريات التي تجت عنها من دون أن تجد لها ذاكراًها. أخرجت من الميلارور الأغراض القليلة الباقية فوجدت بعض الرسائل التي كانت قد أرسلتها إلى البيت من المدرسة وبعض الرسائل الأخرى ليوبي، لم يكن هناك حاجة إلى تحفتها وقراءتها. انحنت أخيراً لضمها في الصندوق الأخير وفيما كانت تفعل ذلك وقفت منها على الأرض بطاقة التقطتها وما كانت تنظر إليها حتى عرفت خطها قوتفت. كانت الكلمات موجهة إلى زوج أنها وهي الآن أيام عينها: «الذي استلامك هذه البطاقة، أكون قد رحلت. أرجو منك عدم التفتيش عني فانا بخير وسعيدة. سأعود قريباً».

نظرت إيزوبيل إلى البطاقة بموضوع ثم أدارتها إلى الجهة الأخرى فوجدت رسماً لبعض النازل البيضاء، وساحة كبيرة. قرأت في أسفل البطاقة: ساحة الثورة - وهران - الجزائر. ووجدت في زاوية البطاقة طابعاً أجريانياً وعلامة بريدية غير مقرونة.

أدانت البطاقة تارة على وجهها وطوراً على ظهرها فلم تصدق ما ترى وما تقرأ. الجزائر؛ لم تلتفت إلى الجزائر فقط ولم تسمع بكلمة وهران، ولكن ماذا تعني هذه الرسالة؟ لماذا سافرت آنذاك؟ ولماذا طلبت من زوج أنها عدم ملاحظتها؟ هذا لا يعني لها شيئاً ولكنها تعلم الآن أنها كتبها بخط يدها، وكل ذلك يعني شيئاً واحداً.

في السنتين اللتين أضاهاهما من حياتها لم تكن ساكنة في ديفون كما قبل لها بل كانت خارج البلاد في الجزائر، في شمال الريف.

كتبوا عليها. إن ذوج أنها كتب عليها.. أطلقت صرخة يائمة. هل ستهي من هذا الظلام، ومن ذلك الجهل؟ ماذا حدث أيضاً في هاتين السنتين؟ وضفت البطاقة على صدرها وراحت تحاول مقاومة دمع الغضب. أغلقت الكتب وهربت من القرفة.

جل ما كانت تستطيع التفكير فيه في تلك اللحظات، هو أنها لن تقدر

توقف نشرت ايزوبيل بعض المغيرة.

- يجب كذلك أن أكون معلم.

تلاقت نظراتهما كأنه يتظاهر أن نقاطه ومتعرض. تلكها المحب ولم نقل شيئاً، ثم أدار اليوت وجهه وتتابع بصوت جاف: «أخذ عطلة لبضعة أيام لأن شخصاً لم أذهب إلى هناك منذ مدة طويلة. سأذلك بسيارتي أما السكن فسيكون في منزلي وهناك سأحاول مساعدتك.

- نعمك في منزلك؟

- إنه مناسب... فهناك مدمرة المنزل وبعض الموظفين للـ لا مجال للقلق... أعتقد أن عليك القيام بذلك وأرى أن من غير المناسب أن تكوني وحيداً. يمكننا اللعب غداً إذا أردت.

نظرت إليه ايزوبيل فإذا وجهه هادئ، ولكنها لسب لم تفهمه شعرت نحوه فجأة بالامتنان.

رفعت يصرها إلى عينيه بفضول تستكشف ما ليهما للهم تجد شيئاً.

- لماذا تفعل ذلك؟

هز كتفه وأجابها: «لماذا لا أفعل ذلك؟ ربما أشعر أنني مدمن لك بشيء».

- هل فعلت ذلك بسبب الوصبة؟ أو المنزل؟

أيسم نجاة وأجابها: «ربما من أجل عينيك، فعندما تظنين إلى هكذا أشعر أنني أمتلك شهامة لم أكن أتوقعها...».

رفعت ايزوبيل يصرها إليه غير أكيدة من نواياه. تذكرت أنه لسب ما غير عهري الحديث فالطبع هو نوع من الهروب وعازولة لاغفاء شيء ما. كما أنه ينطر إليها بإعجاب تعينا راحتا تشققان من وجهها إلى قامتها. عندئذ قال لها بلطف: «فولي نعم، أريد».

أجابته برقة وقد جفت حلقتها: «نعم...».

- حسناً

وعاد إلى الوراء ونظر إلى ساعتها: يجب على النهاب الآن، هل بإمكانك أن تكوني جاهزة هذاأ مبكراً في تمام الساعة الخامسة؟ لأنني لا أريد النهاب في ساعة متأخرة يسبب تباطط الثابر.

ثم توقف وسألها: هل فكرت من جديد في الفرض الذي تحتاجه؟
- لا بأس، سار كل شيء مثل ما يرام. ذهبت إلى المصرف في البلدة توافقوا على إعطائي الفرض.

فابتسم اليوت وقال لها: أنا متعجب، لكنني مسرور جداً من أجلك.
ارتدت نحو الباب وتتابع: أراك هذا صباحاً في الساعة الخامسة. أجملت
معلم كمية من الثياب الصوفية فمن المحتتم أن يكون الطقس قارساً... آه
واجلبي كذلك جواز سفرك.

نظرت إليه ايزوبيل بدهشة: جوازي؟
بدلت الأمور سريعاً جداً بالنسبة إليها.

- أجل بالتأكيد... إن لم تحصل على نتيجة في دينون، فستحاول البحث
عنها في مكان آخر... في شمال إفريقيا مثلاً...
أقبل الباب خلفه وذهب.

فكرت ايزوبيل بصورة لا مبالغة أنها خطأ مناسبة... جلست إلى كرسى وهي تشعر بالفرح. هل تقوم بعمل جيد بسماحها لرجل مثل اليوت
بالدخول إلى حياتها؟ أليس من الأفضل لها أن تترك خارج حياتها؟ إن هذا
الرجل أشبه بزوجة وهي عدا ذلك لا تعرفه أما قوته إلا وادته نفسها بالدوار.
إكان ياردأ لم جذلياً، متعملاً لم طبقاً، فهي أكيدة من شيء واحد، اليوت
ريشاردسون رجل يعرف طريقه ويعرف ما يريد. هذه هي الحقيقة التي لا
شك فيها، أخفف إلى ذلك أنها تمرّ، وتحب صداقاته وتعلق به، فمنذ زمن بعيد
لم تتق بال احد حتى يت نفسها.

في تمام الساعة الخامسة وصل اليوت لاصطحابها. كان الطقس ذهيرياً
وكانت ايزوبيل تتضرر بقلق عند النافلة. تأملت عندما ترجل من السيارة،
كان يرتدي ثياباً مختلفة تماماً: سترة جلدية خططة وسررواً أقاماً من

تجاهل البوت علامه الطريق وضاعف سرعته بعد ان عانق.

أشارت إليه بيدتها بصورة علوية لفقال لها بلهف: ليس اليوم، ربما غداً. ستهب اليوم إلى منزل. يجب أن تستريحي أو لأنك تتناول طعام اللداء ونفع للخططات ونجلس أمام المدفأة. هل يعجبك ذلك؟

ابتسمت له إيزوبيل بخجل وقالت: «كثيراً جداً».

- أريد أن الفت نظرك إلى أن مديرية المنزل فضولية كثيراً، وهي سمارة كبيرة تحب أن تزور الناس. لم أجرب مني قط امرأة إلى هذا المنزل، وأظن أنها مستetting أموراً كثيرة.

توقف قليلاً وهو يتذكر أن يقول إيزوبيل شيئاً لكنها ظلت صامتة. كانت مشغولة بالكارهها الغبة وانت الا تكون تخفيت مديرية المنزل خاطئة. نظرت من النافذة إلى البعيد. مهما كانت المشكلة مع تلك المرأة، فهذا آخر ما تفكّر فيه.

- حاولي تسامي هذه الأشياء الصغيرة النافذة، حسناً؟ ستحاصل زيارة غرفة الأطفال القديمة والمناظر الكثيرة التي تذكر بالآباء والأجداد وب أيام الطفولة. كانت هذه المرأة همهم يمعن مت زمن طوبل وهي تعرفي مت طفولتي. وقد حاولت مرات هديدة أن تزوجني.

توقف فجأة وتتابع: «ستملّك الآن إحدى طرقات دارتمور، هناك حيث حصل الحادث. أليس كذلك؟ هل تمانعين؟ أنا لا أريد إزعاجك». هزت إيزوبيل رأسها: لا، لا مatum عندي».

تبين لإيزوبيل أن ثمرة صونه تغيرت وازداد توثره عندما انعطفت السيارة إلى الطريق التي أشار إليها. نسـك بالقول بقوـة وعيـاه ترايانـة الطريق بدقـة، كـادت السيـارة تـنزلـق مـرة أو تـنـبـئـنـ ولكنـ حـانـظـ علىـ رـابـطة جـانـشـ وهـدوـنـ، أـما إـيزـوـبـيلـ فـكـانتـ تـنـظـرـ إـلـيـهـ بـقـضـوـلـ. وـصـلاـ أـخـيرـاـ إـلـيـ بـوـيـةـ هـالـيـةـ مـصـتوـعـةـ مـنـ الـحـدـيدـ الـمـزـخرـفـ كـاتـتـ مـقـوـحةـ عـلـىـ مـصـرـاعـيهـ.. عـرـبـاـ الـبوـتـ وـأـكـمـلـ طـرـيقـهـ وـبـعـدـ أـنـ قـطـعـ سـاقـةـ مـيـلـ انـعـطفـ فـأـنـظـلـ عـلـيـهـماـ الـمـزـلـ.

برأوجهـ الطـرـيـلةـ الصـقـولـةـ الـمـيـةـ مـنـ الـمـجـارـةـ الـرـمـادـيـةـ النـاعـمـةـ، وـكـانـ بـيـنـ

الصوفـ. أـظـهـرـتـ هـذـهـ الـثـيـابـ مـقـدـارـ قـامـهـ الطـرـيـلةـ وـفـوـةـ عـضـلـاتـهـ. فـهـذـهـ الـلحـظـاتـ لـمـ تـدـعـ عـلـيـهـ سـعـاتـ رـجـلـ الـمـدـيـةـ الـأـيـقـنـ بـلـ سـاتـ الرـجـلـ الـقـوـيـ الـطـيـبـ.

شعرت ببعض الاضطراب.. ادخلت شعرها الأسود الكثيف تحت قبعة من الفراء غطت جيئها ثم ارتدت مطفئاً أسود طويلاً اظهر شحوب بشرتها. عندما فتحت الباب تفزع البوت فيها وما لاحظت علامات الاعجاب في عينيه السوداويين احرث واحتاجها. تزع قفازيه ووضعهما لحظة في يده من دون أن يرفع نظره عنها. فجأة استدار وحلّ حقيقتها ووضعها في الصندوق ثم ساعدها في الدخول إلى السيارة. حدق إليها مبتسمأً وقال لها: «لذلك الإعجاب بمعظمك، فلم يخطر في ذهني أنتي سأظل في سيارتي هذا الصباح أميرة روسية. أشعر الان أنه كان علي أن أ Intercept جوايداً وأضاعك خلفي، وأعدوه به في السهول الشاسعة».

غمضت إيزوبيل: «أنت بدورك ترتدي مثل». فضحك البوت:
- عملياً إنها الصدقة، سيكون هناك برد قارص. ستفسر للقيادة عبر الضباب.

بدأت الرحلة طويلة. أحست بالسعادة وبالدفء وبالهدوء داخل السيارة وراحـتـ نـظـرـ منـ وقتـ لـآخرـ إـلـيـ الـبوـتـ الذـيـ يـحـسـرـ كـلـ اـتـيـاعـهـ فـيـ الـقـيـادـةـ وـفـيـ مـراـقبـةـ الـطـرـيـقـ. وـضـعـ بـعـضـ الـمـوـسـيـقـ وـتـكـلـمـ كـصـدـيقـينـ فـشـرـتـ إـيزـوـبـيلـ بـالـاسـتـرـخـاءـ. نـكـرـتـ بـفـرـاءـ لـيـمـاـ بـعـدـ عـدـدـ مـعـهاـ. فـيـ الـبـادـيـةـ بدـاـ الـبوـتـ بـارـدـاـ جـداـ أـمـاـ الـآنـ فـيـكـدـ وـأـصـحـ بـإـمـكـانـهـ التـكـلـمـ إـلـيـ بـسـهـولةـ.

عـدـمـاـ وـصـلـاـ إـلـىـ مـشـارـفـ دـيـفـونـ الـحـرـفاـ عنـ الـطـرـيـقـ الـرـئـيـسـيـ. لـاحـظـ بـيـانـ الـمـنـاظـرـ أـصـبـحـتـ الـبـيـةـ لـهـاـ.. نـظـرـ إـلـيـهـ الـبوـتـ: هلـ تـعـرـفـ إـلـيـهـ؟ تـرـددـتـ، ثـمـ قـالـتـ: أـجلـ. فـهـذـهـ الـقـرـيـةـ الـأـخـيـرـةـ التيـ مـرـرـتـاـ بـهـاـ، كـتـانـيـ إـلـيـهاـ عـادـةـ مـرـةـ فـيـ الـأـسـبـعـ لـتـجـبـعـ مـنـهـاـ. مـزـلـ زـوـجـ أـمـيـ يـقـعـ عـلـىـ بـعـدـ ثـلـاثـ أوـ أـرـبـعـ أـمـيـالـ مـنـ هـنـاـ، أـنـظـرـ هـذـهـ الـمـنـعـطفـ بـزـوـدـيـ إـلـىـ قـرـيـةـ دـيـفـروـولـ».

على متهدٍ صغير يطل على الوادي.

انخطف نفس ايزوبيل اما البيت فترى فجأة ونظر إليها قائلًا: إنه منزل رائع وجبل..

بعد صمت وجيء نظرت إليه فرآه يمسح على شفتيه ثم ضغط بقدمه على دواسة الوقود فانطلقت السيارة إلى الأمام.

- يعود بناء هذا المنزل إلى القرن السابع عشر وواجهه إلى القرن الثامن عشر.

- أتعجبني كثيراً.

- استغرب كيف عشت في هذه المطفة دون أن تقومي بزيارة هذا المنزل.. كان هي موظفاً كبيراً في وزارة الخارجية، ولم يكن يأتي إلى هنا إلا نادراً. لهذا لم يعلم بذلك.. هل زرت سابقاً هذا المنزل؟

ابتسمت ايزوبيل: «ليست زرت.. إنه منزل جبل، سازوره الآن وأنا أكد إن كنت رأيته من قبل».

داس حل للكابح يبطئ ثم توقف أمام باب هربض مزخرف بالتحف سرهان ما افتح وخرجت منه امرأة صغيرة شعرها أبيض.

- ايزوبيل، هذه هي السيدة ديرنج، سيدة ديرنج أند لك ايزوبيل لأنجر.

شعرت ايزوبيل أن المرأة تراها يعتن بها البنين بمنظرات حادة كأنها تrepid التعرف إليها بنظرة سريعة، ثم حولت بصيرها إلى البيت وابتسمت قائلة:

- ادخلني، ادخلني يا عزيزي فالثلج يتساقط. لا بد أنك متعب بعد هذه الرحلة الطويلة وسط الثلج الكثيف.. طوال النهار وهم يحرفون الثلج إلى الوادي. تعال قرب النار الآن، سأريك فرنكلاً فيما بعد.

ترددت ايزوبيل ونظرت إلى البيت فأشار إليها بالدخول:

- سأدخل السيارة إلى الكراج. أماي عمل صغير لا بد من إيهانه أيضاً.

نظر إلى ساعه وتابع: سيدة ديرنج. لا تسي أن تعذبي لنا عشاء للدينا

فالساعة الآن حوالي الرابعة.. سلقي في المكتبة لتناول كوب من الشاي في الساعة السادسة، ستدلك السيدة ديرنج إلى مكان المكتبة.

نم رحل.

تعمت ايزوبيل بيده مدبرة المنزل التي سلكت مدخلاً وأسماً يطل على درج مصنوع من خشب الستيان وغر طويلاً.. وأاحت مدبرة المنزل تكلم عن الطقس وعن حالة الطرقات وعن فرحتها الكبيرة بوجود السيد إيليوت في المنزل بعد غياب طويلاً. فتحت باب غرفة النوم فدخلت معها ايزوبيل إلى الغرفة. كانت النار مشتعلة في المدفأة وهناك رأت سريراً صغيراً ذات قوائم عالية حُلِّتْ عليها قطع من القماش المطبع الجميل.

توقفت ايزوبيل وهي تنظر إلى هذا السرير.

قالت لها مدبرة المنزل: بعد دقائق قليلة أجلب لك حقيبة يا عزيزي مع فنجان من القهوة. أرجو أن تعجبك الفرقة الحمام خلف هذا الباب هناك، وإن أحببت الاستحمام فاستحمي لأن المياه ساخنة.. سأتركك الآن حتى هذه الفرقة كل ما قد تحتاجين إليه.

- أجل.. أشكرك كثيراً. إن الفرقة جليلة جداً.

حاولت ايزوبيل أن تحمل صوتها ثابتاً.. ربما شعرت مدبرة المنزل ببعض الغرابة في نبرة صوتها ولكنها تحاولت ذلك وتركنت الفرقة يهدو.

عندما أفلتت الباب وراءها تنهدت ايزوبيل وضفت يدها على رأسها. فطرت هبتهما يدها وأراحت رقبة قبعتها. كانت الفرقة مضادة ينور صغير خافت ولكن بدا باهرًا جداً بالنسبة إليها حتى كاد يعميها.. وأاحت بالألم في كل أعضاء جسمها فجلست على كرسي وأاحت رأسها لتحول سحب أنفاسها.

تدريجياً، انحر الضوء واختفى الامر فغضت ايزوبيل على شفتيها وراحت تتأمل الفرقة حتى وقع بصيرها على باب الحمام شعرت بأنها تتذكر شيئاً ثم واحت تردد بانتهاء هذه الكلمات: «الحمام إلى جهة اليمن». عندما تدخلين إليه مجديه تقديم الطراز.. الأرض مقاطعة بسجادة مضللة لمنع

الانزلاق وخفتها من النحاس الأصفر. المنطす بجهة الشمال وهو مصمم على شكل صدفة مروحة الشكل.. النافلة في مواجهتك تماماً والرآة التي تتصدر، مصقوله ذات أطراف زرقاء صُنعت على الطراز الفيكتوري، ولكن أحد اطرافها الزرقاء متصدع».

اطلقت صرعة صغيرة ثم هرعت تفتح باب الحمام فوجدها كما وصفته الكلمات التي طرأت على ذاكرها ورددتها. فكرسي الحمام إلى اليمين، والمنطس إلى الشمال، والنافلة في مواجهتها تماماً، بل لاحظت من مكانها قرب الباب التصدع في أحد جوانب المرأة. جلس هناك وقد انتفع وجهها. كل ما قاله كان حقيقة... عرف ذلك حلاً دخلت إلى الغرفة.

سبق أن كانت هنا ليس مرة فقط بل أكثر بكثير، فمرة واحدة غير كافية لتعرف كل تفاصيل هذه الغرفة الحميمة بالنسبة لها، الغرفة التي تعرف كل ما فيها وهي مقصورة العبين. رفعت عينيها لترأت في المرأة تلك الأنكار الشاحنة، ولأول مرة أحسست بعدم الراحة وبشعور من الشك. سبق أن كانت هنا... هل يعرف البيت ويشاركون ذلك؟ هل تعرف مدبرة المزل ذلك أيضاً؟ فإن كانتا يعلمان ذلك فلماذا يكلمان عليها؟

* * *

٥ - بينماما رجال ميت

حاوت اختبار ليابا بدقة تلك البلاطة... فكرت أن الاهتمام بظهورها قد يساعدها نوعاً ما في وجه شكرها. كان الثوب الذي ارتديه أرجوأتياً داكنًا، وكانت توربها مفصولة عن قياس جسمها فليرزت رقة خصرها، أما سترتها فقد نُفَضَّلت على الطراز الفيكتوري مع قيمة عالية ظهر عنقها النحيلة. نظرت إيزوبيل إلى نفسها. بدت جميلة، وجهها يتونفع كاللوزة. كانت سترتها متناسبة مع جسمها كأنها مُسْمِتَت خصباً لها. ارتدت تحت سترتها ثوباً حريراً يزيّنها عند عنقها خاروم جميلة.

بدا مظهرها، في الوقت نفسه، بسيطاً ومثيراً حتى فكرت في استبداله ولكنها قررت لا تكون غبية فهى على شفير الهاوية، والشكوك والمخيلات تحرقها. منذ الثانية بالبيوت راجح يصرخ منها بكل هذيب ولبلة. عرف وهي تنظر إلى نفسها في المرأة أنها متجلبة إليه، قنهرت نفسها... يجب أن تضع حدأً لهذه الأنكار، الآن هو يصرخ بيوده أو كيادة ولعل السب شعوره بالذنب يسبب وصبة زوج أنها، هذا كل شيء.

جمعت شعرها الكثيف بعصبة وعلقت بشكل ثنيين فوق عنقها، فيما ذلك أفضل وشعرت أنها قادرة على مواجهته.

أعدت لها السيدة ديرفع عناء الذبدأ ولكنها رغم تلذذها بالطعام لم تشعر كلياً بالراحة... فالبيوت بما متورأً مع أنه يبذل جهده لإخفاء ذلك وكان يراقبها بشكل دائم كانه يستقرر منها ردة فعل معيبة.

بدأ تصرف مدبرة المزل أيضاً غريباً إذ كانت عصبية... فبداعها لرجمها

- بوليوس.

- أجل بوليوس الذي قيل لي إنني لم أنتق به إلا مرة أو مرتين، ولكني الآن لا أعتقد أنهم أخبروني كل الحقيقة.

- أجايها بصوت هادئ: «لا أعتقدين؟».

اختنق صوتها ثم تابعت: «كنا نعرف عائلة عندما كانت صغيرة، كانت أمه نصف مقعدة، والوالدة... نعم والدته... أتذكر والده... كانوا يأتون عادة إلى منزلنا، الأبوان وباباهم... كان هناك رابط صداقة بين العائلتين، وبعد ذلك... حسناً... ثم أخذ زوج أمي يشك بها وأمهما يالها حب والد بوليوس فترقووا عن الجيء لزيارةنا، ربما وضع زوج أمي حذاء كلكر ذلك، لا أدرى بالضبط، كان هناك علاقة بين العائلتين كما ترى، بوليوس لم يكن غريباً كما ذكرروا».

- أجايها بصوت بارد: «بدأت أدرك ذلك».

انحنت إيزوبيل نحوه وأخذت تستعيد ذكرياتها: كان زوج والدتي يعنينا من ذكر اسمهم في المنزل وظل على ذلك حتى بعد الحادث... فلم يردد أحد أسماني اسم بوليوس أو اسم عائلته، وكلما كانت أسلالهم عما حدث معنا، كانوا يقولون لي لا تحاولي أبداً استعادة ذكري الماضي، فبوليوس مات لهذا داعي للانتصار، لكن يوم آخر ترنى مؤخراً أنتي أحببت بوليوس قيل الحادث وقالت أيضاً إننا التقينا به وب أخيه ادموند في مكان ما، وإنني وقعت في غرامه، ولكنها قالت إن ذلك كان نزوة ثانية مرافعة عابرة وإن بوليوس لم يلاحظ حمي له ولم يتم لوجودي... وأظنهما على حق لأنهما كانت موجودة هناك برفقنا ولكن بعدما أخبرتني بذلك ساءلت قليلاً فتجوز أن تكون خطأ».

كان طوال الوقت يصغي إلى حديثها باهتمام.

قال لها بهدوء: «الألاحظ ذلك، لكن لماذا ذكرت في أنها خطأ؟».

- لأنني كنت في سيارته، إذن فقدم اهتمامه لوجودي يبدو شيئاً غريباً ولكن ليس هذا فحسب... بل أنا أنا ذكره.

وهي تضع الصحن على المائدة، وفي إحدى اللحظات لاحظت إيزوبيل أن مدبرة المنزل نظرت إلى البوت نظرة ذات مغزى ولكن البوت هز رأسه، وما كان يسمع آنذاك غير وبيض النار وأيجيجهها، تأملت إيزوبيل ثيابه... كان يرتدي سترة خملية سوداء أيرزت أسوداد شعر، وقصة ملائمة... يداً غارقة في أذكاره مللة وجiezة، وكانه يحاول أن يجعل مشكلة ما في ذكره، فجأة وفاجأه وصل أخباراً إلى قرار، وضع فنجانه جانبها ثم اقترب وجلس فربها.

حاولت إيزوبيل للمحافظة على هدوتها ولكن لسانها انعدم ولم يعد يقدورها التكلم، كانت خائفة من مشاعرها وعاقلة في الوقت نفسه أن يلاحظ ذلك، أخيراً تكلم بهدوء كأنه حضر هذه الكلمات في ذكره.

قال لها: «إنني أرطب في مساعدتك لذا عليك إخباري بكل ما تعرفه... هل تدركين ذلك إيزوبيل؟ إذا أخفت همي بعض الحقائق وبعض الأمور منها كانت في نظرك تافهة، فاتت بذلك تردددين الأمور سوءاً».

- أجل أعلم ذلك بكل تأكيد.

أبعدت إيزوبيل أنظارها يأساً، تعلم أنه معن وأن عليها إخباره بكل ما تعلم، ولكنها تستطيع تقبل هذه الفكرة.

- أعتقد أن هناك أمراً لا تردددين إخباري به؟ لا تتقين بي؟ نظرت إليه عندها وعندما شاهدت تعبير عينيه وصدق اعتماده بها، انصرق فؤادها.

- لا أدرى.

كان ذكرها مشوشًا وضائعًا... أرادت أن تقول شيئاً ثم أردفت: «أشك الآن أن كل ذلك قد حدث فعلاً كما أخبروني، بصراحة لم يحدث ذلك كما أخبروني به... بل هناك ما هو أكثر من ذلك».

سحب نفساً طويلاً لمحافظة على رياضة جاثتها ثم أردفت: أخبروني دائمًا أن كل الذي حصل كان سلسلة من المخط والقدر، التي قد ذهبت إلى الحفلة... وأن الرجل الذي كان يقود السيارة... .

بوليوس هذه وعلاقتك الغامضة به هي بالحقيقة نوع من الحجاب أو هي بالأحرى أشياء يذكرها هنالك ليختفي خلفها ذكريات أخرى، ذكريات لا تريدين أن تذكرها.

نظر إليها فجأة وتابع: «ماذا عن علاقاتك بالرجال الآخرين؟ أنت امرأة رائعة الجمال. كنت في التاسعة عشرة من عمرك عندما تعرضت لذلك الحادث. هل تريدين إثناي عشر كل يوم تعرفي رجلاً مت ذلك الحين؟ أعتقد أنه يصعب تصديق ذلك بل العكس هو المعتول. لعلك ذهبت إلى تلك الحفلة معه، ثم شاهجرتا قررتها غاضبة وذهبت برقفة شاب آخر... هذا مشهد معقول جداً. أليس كذلك؟ بعد كل شيء ليس لدى بوري أي سبب لتكتب عليك. هل كان لديك سبب؟ إذا قالت إن بوليوس لم يكن يشعر بوجودك لماذا لا تقلين بذلك؟».

- لأن ذلك لا يدو صحجاً، وكل ذرة في كياني تحبرني أن ذلك غير صحيح. أعتقد أنتي خطئته؟

- أعتقد أنه يجب عليك أن تطرحي على نفسك سؤالاً أو سؤالين؟ مثلاً أخبريني متى حصلت الحادث أي متى محس سنوات، ألم تعرفي إلى رجال آخر؟

فأجابته بسرعة: لا، لم أتعرف إلى أي رجال.

ظهرت على وجهه علامات الانتصار.

- هذا ما أنت عليه. كنت تعيشين حياة غير طبيعية، حياة متزوجة. تعيشين سجينة في جو قاتم مع رجل حجوز على وشك الموت، كنت سجينه...

- لا، هذا ليس صحجاً.

- لأنه لم يكن لديك علاقة طبيعية مع الأشخاص الذين هم من سنك، توجه فكرك إلى الماضي وراح يذكر أشكالاً وأحداثاً لم تحصل فقط، فابتكرت هذه القصة الغريبة عن رجل ميت وعن علاقتك به... هاجس مع رجل ميت.

سألها وهو متوجه الوجه: «هل تذكري بوليوس؟».

- أجل أتذكره، أتذكره دائماً ولكن لا أذكر التفاصيل أو أي شيء عن الحادث، لا أذكر حتى كيف يبدو ولكني أذكر هنالك. كانت هناك رماديتين وكانت أراهما في أحلاميليلة بعد ليلة وأذكر كذلك تغيير هنالك. كان ينظر إلي كأنه يكرهني، هذا كل ما أذكره عنه... لذا شعور قوي داخلي تجاهه، وسبب ما أشعر به وسبب ما قاله بوري أشعر أن شيئاً حدث بين بوليوس وبيتي.

ترددت وأصبح صوتها خافتاً: «إله يسكنني... يسكن في أعماق كياني... إنه شعور غامض وأكاد لا أصدقه، ولكن هذا ما أشعر به».

- أما زال هذا الشعور يلازمك حتى الآن؟

فأجابها السؤال فأجابت: «ما زال».

أجابها بحركة عصبية: «حسناً، يدو ذلك رومبياً، إلا تعتقدين ذلك؟ وربما مضحكاً... للرآء الفتية الجميلة يسكنها شبح رجل ميت أو حبيب ميت، هل هذا ما تذكري به؟».

امضت لون وجهها بالاحمرار: لا، لا، لم أذكر نظرة هكذا إلا... توفرت غير قادرة على إخباره بحقيقة ما تشعر به ثم نابت بصوت حزين: «أنت لا تصدقني».

أجابها بصوت هادئ: ليس الموضوع أنتي لا أصدقك، مما تقوله شيء مدخل لا يصدق ولكل معظم ما تقولين هو من اختراع هنالك، فأنت تذكري هذا ولا تذكري ذلك.

نظرت أيزوبيل إليه فرأته حائقاً خاضعاً.

قالت له: «طلبت مني أن أخبرك الحقيقة وما أشعر به. وهل أنا أدرك أن لا فائدة من ذلك. لأنك لا تصدقني، لا أحد يصدقني».

قاطعها بحدة: «لا أصدقك كلياً، أعتقد...» ثم أصبح صوته رقيقاً: «أعتقد أن ذلك ممكن... ربما أضمنت شخصيتك، إذ يظهر بوضوح أن عقلك يلغي أحياناً بعض الأحداث، وهناك سبب لذلك. أعتقد أن قصة

- يجب أن تعلمي ما هو شعوري وكم أريده.
 توقف هنئه ثم أردف:
 أريده أكثر من أي شيء ولا أقدر أن انكر في أي شيء. أريد أن أنسى كل شيء حتى الماضي. عندما أكون معك أشعر أن الماضي لم يكن نفعاً. هل تدركين ذلك؟ لا.

- أنا قادر على إخفاء مشاعري أكثر مما تصورت. في مطلق الأحوال وصلنا إلى النقطة التالية: عندما لا يقدر أي رجل على إخفاء مشاعره... كانت تشعر بي عليها يخفق بجنون وكان هو أيضاً يدوّع عنوانها.

- حصل لي شيء ما عندما قابلتك، شعرت كأنني أهربك وكانت تعزفتي، وأحسست أن المحاجمات العادلة يبتلي عذبة القسمة ولا زرور لها. أحسست أن الطريقة التي كان يتكلّم بها والإنفعال الظاهر في حبها يغيبانها... نظرت إليه مسحورة وفدت أن يطرد بيظاره الدكناه كل شيء آخر من ذهنها، كانت مأخوذة بالكلمات التي كان يتفوه بها.

- عندما قبلت دعوتي وجئت، تغيرت الأمور عن عرفاً، لأنني لم أكن من تلك أعمالي. عدتني وجدت نفسى أخبرك عن أمور لم أنتبه لها مع أي شخص. لم أسطع التوم في تلك الليلة، كنت غاضباً من نفسى وحاتماً. فررت أليك كنت مريضة، ما كان يجرد ير أن أخيفك بالهامي... أنت بشر في الآسي إليك وإن انتظر حتى أتأكد ألك تزيدتي فعلاً.

سحب نفساً ثم تابع:
 - والآن أجيدي لا أدرى كيف أملك أعمالي. ولكن.

توقف عن الكلام ثم أضاف: «أخبرتني، لا، لا تخبرتني، أنا أعلم، أعلم أنني على حق».

- على حق؟
 ردت الكلمة التي شوشت ذكرها، ولم يعد يقدّرها أن تذكر.
 قال لها: «اليس هذا جباء؟

نظرت إلى إيزوويل بوجه شاحب فوجدت الغضب في عينيه. تعجبت من هذا التبدل في تصرّفه، بدل اللطف والKİاسة حلّ المثلثة والحدث. شعرت بالألم والحزن وقالت له:
 - توقف أرجوك هذا ليس صحيحاً، كل ما تكلمت عنه غير صحيح فانا لم ألغ أي لرتبط أو علاقة مع الرجال بعمل إرادتي... كنت مريضة، وكان زوج أمي يحتاجني بقربه لذلك تاجرًا ما قابلت رجالاً، و... ناطتها بسرعة: «والآن؟».

نظرت إلى يدهاول
 - الآن؟
 - أجل الآن، هل تتعاملين كلباً من وجودي الذي يبدو هو المشكلة. توقف وهو يبسم بألم: «اليس لديك فكرة عن شعوري، وعن سبب طرح هذه الأسئلة عليك، وعن سبب اصطحابك إلى هنا؟».

- إنك تزيد مساعدتي.
 - يا إلهي، أجل أردت مساعدتك. هل تعتقدين أن ذلك كان السبب الوحيد؟

نظر إلى عينيها ودعا منها خطوة وتابع برقه: «اليس لديك فكرة من قوة تأثيرك في الرجال؟ أقتلت على نفسك وازويت مع زوج أمك لمدة طويلة فثبت ماذا يشعر الرجل عندما يكون مع امرأة مثلك إيزوويل؟». أسلك يدعا ببطء شعرت إيزوويل بالثار تحرق وجنتها.

ونظر إليها نظرة فيها شوق: «لماذا وربط شعرك هكذا هذه الليلة؟ هل تعتقدين أنك بهذا تدينين أكبر سناً وأكثر قسوة وأقل جاذبية؟». أبسم ثم أضاف: «أنت عطشى على كل أنفشه متداهلاً».

وسرعاً، وقبل أن تتعرض إيزوويل سحب المنشط الصغير الذي يمسك شعرها فاسكب شعرها الكثيف كشلال على كتفيها. لم تتحرك إيزوويل، وبدأت مأخذدة.

مس قرب أذنها:

ثُمَّ ماضٍ وَتَ طَوِيلٌ . . . طَوِيلٌ جَدًا .

ترابع فجأة إلى الوراء وعيشه تلمعان في العتمة: «أخبرني إيزوبيل . . . هل حبستي؟».

رفعت نظرها إليه محاولة تركيز عينيها على وجهه. وأحست للحظة بالضوء في عينيه يحيط عينيها فشرعت بعد ذلك أهلاً مغضبان. لم يعد بإمكانها الكلام، ولكنها كانت تشعر بالحب يكبر في قلبها ويكبر.

ـ أحبك بوليوس . . .

نفخت بتلك الكلمة من دون أن تدري ماذا قالت بالضبط. لم تدرك ذلك إلا بعد لحظات، عندما شعرت فجأة بتوتره وبالالم المسلط على وجهه. نظرت إليه وقد امتعن لون وجهها وزافت عيناهما، كان يتذكر إليها ببرودة وغضب وشك. وضفت يديها على قدمها لتعتنم صرخة الألم التي شعرت بها بينما أغلق صامتاً لا يتكلم، فيما لها ذلك الصوت دهراً. يداً كانه يتضرر منها شرعاً واعتذاراً، شيئاً ما يمكنه اعتراض ذلك الحاجز الذي تعالى فجأة بينهما. أخلت إيزوبيل تضيق يدها المرغفة على جسمها.

ـ أنا آسفة، أنا آسفة! لم أُفْرِّي ماذا قلت، لا أصدق لي قلت ذلك، البيت، أرجوك صدقني! ولدت عينيها ياس تعوه: «لم أكن أذكر فيه كلياً بل كنت أذكر فيك وفيها . . . أرجوك البيت». انتهي ذلك.

ارتدى عنها وشقاء ترجمان: أنا سرور لأنك تذكريين اسمى الآن. على كل . . .

ـ لم يكن ذلك ما أريد . . . لا أدرى لماذا قلت ذلك وكيف حصل؟ لا أستطيع شرح ذلك.

ـ تأخرت قليلاً في الشرح. هل كل حال سائر كك الآن.

ارتدى نحو الباب فهرعت إيزوبيل:

ـ أرجوك البيت، انتظر، لا تذهب.

ـ لا أعتقد ذلك.

وأضاف لها وهو متزدد: «قلت إن تلك الشاعر التي شعرت بها نفس عليها يهولة شخص ميت . . . ولا أتني الآن إعادةها إلى الوجود. هذا غريب، أليس كذلك؟».

ابتسم ببرودة: شعرت بالغيرة سابقاً ولكن لم أشعر قط بالغيرة من رجل ميت. عمت ساء إيزوبيل أثنت لك أحلااماً سعيدة . . . قال ذلك وأغلق الباب وذهب.

* * *

في الصباح التالي أخبرته.

كانت في السيارة تحبط بما الثلوج. فخلال النظير بدا ياردأً وهادئاً وصامتاً لذا لم يجد باستطاعتها التحمل أكثر فنالت له وهي في السيارة: البوت، توقف يجيب أن الحدث إليك . . . كما تربدين.

توجه بالسيارة إلى جانب الطريق وأطفأ المركب وترك يديه على المقود بلا سلام. نظرت إيزوبيل إلى القفازين في يديه لأنها إن نظرت في عينيه لن تستطيع التكلم، لم قالت له بصوت خنوق: هناك شيء لم أخبرك به. أدركت الآن أن علي أن أطلقك عليه، عندما أوصلتني معك في ذلك التهار من لندن، كنت هناك لمقابلة طيب، طبيب متخصص.

راحـت تخبرـه مـاـذا حـصـلـ مـعـهـاـ، وـمـاـذا قـالـ لـهـاـ الطـيـبـ. كان يـصـفيـ إـلـيـهـاـ بـصـمـتـ وـهـدـوـهـ قـلـمـ يـجـاـولـ مـقـاطـعـهـاـ أوـ مـاـسـعـدـهـاـ حتـىـ عـنـدـمـاـ كـانـ يـضـعـفـ صـوـصـهـاـ وـلـمـ يـكـسـ بالـأـرـبـاكـ.

ثم استرجعت إيزوبيل أمامه كيف وصلت إلى منزله وتعلمت إلى غرفتها، وأحست بقوّة أنها كانت هناك سابقاً فشرعت بالحزن والأسى ثم تأبّت الحديثها عن الطبيب:

ـ حـذـرـنـ وـقـالـ لـيـ إـنـ يـعـتـقـدـ أـنـ مـعـكـ أـنـ أـسـعـدـ ذـاـكـيـ. وـرـبـاـ بـالـإـمـكـانـ إـحـدـاثـ ثـقـبـ لـيـهـاـ وـاخـزـرـهـاـ خـصـوصـاـ إـذـاـ أـتـمـ بـعـدـ كـلـ هـذـهـ.

ناظمته إيزوبيل: «أنت لا تصدقني، أنت لا تصدقني».

وحجبت وجهها بيديها: آه، لا أستطيع تحمل ذلك.

- حسناً، عليك القبول بذلك، هذا صعب. قصتك تتبدل طوال الوقت. كيف أعلم أنك أخبرتني كل شيء؟ مثلاً، متزوج، عندما وصلنا إلى هناك كنت متنبئاً كلباً أنك لا تمرفبه وأنك لم تزوريه قط. واليوم تخبريني أنك تعرفت إلى طرفتك حالما دخلت إليها. لماذا لم تخبريني بذلك ليلة أمس؟ ليس هناك ما تجلبين منه!

- لا أدرى لماذا لم أخبرك، ربما لأنني اعتدت على الصمت لمدة طويلة، وبينما لأن الناس يخرونني دائماً نصف الحقيقة. ربما لم أعد أثق بأشي ويفكر في وبكل شيء».

ثم ارتدت إليه وتابعت: «ولكتني أقسم لك أنتي أخبرتك كل ما عرفته ولم بعد هناك أي سر بيننا».

- أنتي تصدقي ذلك وأرجو أن تكوني حمل حق.

ظلت تنظر إليه فوجده ياردأً جداً ونظارات الأزدراه في عينيه، فأدركـتـ أنه لا يزال غير مفتتح بكلامها.. فارتدت إلى أعماق نفسها.

قالـتـ: «ربما على الآن العودة إلى المنزل. كل ما قلـتـ صحيح ولا أقدرـ أنـ أـلوـمـكـ.ـ لماذاـ تـرـيدـ مـاتـابـعـةـ ذـالـكـ؟ـ آـنـ أـدـركـ.ـ أـدـركـ أنـ شـعـورـكـ تـحـويـ قدـ ثـغـرـ.ـ آـنـ هـمـ ذـالـكـ،ـ لاـ أـسـطـعـ المـرـوـجـ منـ النـظـارـ أوـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـوـرـاءـ مـهـماـ حدـتـ...ـ

استدارـ نحوـهاـ فـجـاهـ وـطـلـبـ مـتـهاـ التـنـظرـ إـلـيـ وـقـالـ لـهـاـ:ـ تـعـتـقـدـينـ آـنـ

بـبـبـ ماـ أـخـبـرـتـيـ قـدـ تـنـيـرـ مـوـقـيـ مـنـكـ؟ـ آـنـ مـاـشـيكـ مـاسـاوـيـ سـائـلـ

ـكـلـ،ـ آـنـاـ مـاـتـعـقـدـيـ؟ـ

لمـ تـجـيـهـ إـيزـوـبـيلـ لـكـ وـجـيـتهاـ شـجـبـاـ فـنـظـرـ إـلـيـهاـ الـيـوـتـ بـلـطـفـ وـقـالـ لـهـاـ:

ـيـاـ غـيـرـيـ الـعـلـبـةـ،ـ أـعـقـدـ أـنـكـ لـاـ تـمـرـفـيـتـيـ جـيـداـ وـأـقـنـ أـنـكـ لـمـ تـسـتـعـمـيـ أـمـسـ إـلـىـ

ـمـاقـلـتـكـ.ـ وـإـذـ ذـكـرـتـ بـعـدـ آـنـ أـنـكـ تـرـيـدـيـنـ الرـجـلـ وـأـنـتـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ

ـلـلـأـسـاوـيـ نـسـاقـبـ مـكـ كـثـيرـاـ،ـ إـنـ لـاـ تـرـدـيـ ذـالـكـ أـيـداـ.

الـبـنـ صـدـاقـةـ معـ رـجـلـ،ـ وـهـكـذاـ اـعـتـقـدـتـ لـيـةـ أـمـسـ...ـ

ـرـاحـتـ تـبـكـيـ.

ـلـمـ يـنـظـرـ إـلـيـهاـ..ـ لـمـ يـرـ دـمـوعـهاـ وـلـكـنـ سـمـعـهاـ تـبـكـيـ،ـ بـعـدـ صـمـتـ طـوـبـيلـ

ـفـتـ الـيـوـتـ نـحـوـهـاـ وـقـالـ لـهـاـ:

ـلـمـاذـاـ لـمـ تـخـبـرـيـ ذـالـكـ مـنـ قـبـلـ؟ـ أـخـبـرـكـ لـيـةـ أـمـسـ أـنـ عـلـيـكـ إـخـبارـيـ

ـبـكـلـ شـيـ،ـ لـاـسـطـعـ مـاعـدـنـكـ.

ـلـاـ أـدـريـ،ـ كـنـتـ مـرـبـيـكـ وـخـبـرـوـلـهـ.

ـأـخـبـلـيـنـ أـنـ يـكـونـ لـكـ صـدـيقـ؟ـ

ـبـالـتـاكـيدـ لـاـ.ـ لـكـنـ أـنـ تـجـهـلـ ذـالـكـ الرـجـلـ،ـ وـكـيـفـ حـصـلـ ذـالـكـ لـاـ

ـيـمـكـنـكـ التـصـورـ كـمـ أـنـ ذـالـكـ مـرـعـبـ،ـ قـالـ لـيـ الطـيـبـ مـرـةـ وـرـيـماـ تـعـرـضـتـ لـشـيـءـ

ـشـيـعـ.ـ لـلـكـ أـخـفـواـ الـأـمـرـ عـنـ طـرـالـ هـذـهـ الـلـدـةـ وـأـدـكـ أـنـ قـالـ إـنـ مـنـ الـحـلـ

ـأـنـ يـكـوـنـ سـبـبـ فـقـدـالـ الـذـاـكـرـيـ شـيـءـ آـخـرـ غـيرـ الـحـادـةـ.

ـلـرـانـدـ الـيـوـتـ نـحـوـهـاـ وـقـالـ لـهـاـ بـصـوتـ بـارـدـ جـداـ:

ـهـلـ تـعـقـدـيـنـ أـنـ يـوـليـوـسـ فـعـلـ ذـالـكـ.

ـلـاـ،ـ لـاـ أـعـتـقـدـ ذـالـكـ،ـ فـعـتـمـاـ أـنـكـ لـيـهـ لـاـ أـجـعـ يـهـ وـبـينـ التـهـيـدـ أـيـداـ.

ـوـقـدـ قـالـ لـيـ الطـيـبـ فـيـ لـنـدـنـ إـنـ هـذـاـ الـاحـتـمالـ غـيرـ مـاـشـيكـ فـحـبـ قـولـهـ لـوـ

ـتـعـرـضـ لـشـيـءـ كـهـذـاـ لـشـعـرـ بـعـارـضـ أـخـرـيـ،ـ وـلـرـحـتـ أـخـافـ مـنـ الرـجـالـ

ـوـلـكـنـ ذـالـكـ غـيرـ مـوـجـودـ.

ـتـوقـتـ عـنـ الـكـلـامـ وـرـاحـتـ تـنـظـرـ إـلـيـهـ،ـ كـانـ يـنـظـرـ إـلـيـ البعـيدـ وـيـدـاهـ عـلـ

ـلـلـقـرـدـ تـرـيـقـانـ.ـ اـرـادـتـ لـلـحظـةـ أـنـ تـقـرـبـ مـنـهـ،ـ لـكـنـهـ لـمـ تـجـرـأـ فـاحـتـ

ـرـاسـهـ.

ـآـخـيـآـ قـالـ لـهـاـ بـهـدوـ:ـ كـانـ لـدـيـكـ أـكـثـرـ مـنـ حـيـبـ وـاحـدـ،ـ هـلـ خـطـرـتـ

ـبـالـكـ هـذـهـ الـفـكـرـةـ؟ـ قـلـتـ آـنـكـ لـاـ تـنـدـرـيـنـ بـيـنـ يـوـليـوـسـ وـبـينـ التـهـيـدـ.

ـلـيـةـ أـمـسـ،ـ قـلـتـ إـنـكـ تـنـذـرـيـنـ تـعـاـيـرـ هـبـهـ كـانـهـ يـفـهـكـ،ـ لـمـاذـاـ؟ـ رـبـماـ كـانـ

ـغـيـرـأـ مـنـ رـجـلـ آـخـرـ فـطـرـيـقـكـ وـتـرـكـيـكـ عـلـ ذـالـكـ الرـجـلـ بـمـقـدـهـ لـاـسـاعـدـ فـيـ

ـإـعـادـ الـحـلـ.

أشعرها كلماته بالراحة والفرح ويدا لها أن روحها قد عادت إليها بعد طول طياب في عالم النيان.
قال: أعتقد أن علينا تنفيذ للمخطط الذي وضعنا لهدا الصباح، هل توافقين؟

ابتسمت إيزوبيل وأجابت: أنا موافقة، حتى ولو لم أكن موافقة فأنا متأكدة أنت على حق.

قال لها بصوت أحشر: ستتابع الخطة كما وضعتها... سذهب إلى متجركم القديم وبعد ذلك سننال الطريق ل Arrival إلى المكان الذي حصل فيه الحادث. هل أنت مستعدة؟ لا أريد إزعاجك.
اطهانت إيزوبيل لعلوية صوته ولطفه، وشعرت بقليلها يرقص من الفرح فأدركت براسها علامة الموافقة، فانطلق بالسيارة.

راحت تنظر إلى الطريقة... كانت التلوج تعمى النظر، فشعرت بالضوء ينبع قلبها وينير الدنيا أمامها ويبيح الحياة في كل حواسها وينقلها من الظلمة والمعنى إلى الحياة والنور. قالت لنفسها: أنا أحبه، سأحبه، لكن ليس الآن بل في القريب العاجل.

* * *

٦ - البحث عن حلم

- لاني؟ هل أنت أكيدة؟
اختفت الشمس خلف الغيوم الدكاء... فتحففت إيزوبيل وشعرت بالبرد الشديد.

- تعرفت إلى المنزل. أجل...
راحت تنظر إلى الطريق الممتد أمامهما: هناك خط طويل من الأشجار التدبعة التي شوهتها السنون والعواصف والرياح، فلما حانت على الطريق وتشابكت أفصانها، كانت الطريق ضيقة تتعصف فيها الرياح وهي عفورة على الجانبين، في ضوء الشفق الباهت لمكتت إيزوبيل بصعوبة من أن تعرف إلى الملاحة المعلقة على الطريق، الملاحة التي تدل على مفترق الطرق.

- يجب أن تكون هذه هي الطريق. أخبروني أين حصل الحادث وهذا هو المكان الصحيح.

ترددت: «الأشجار، المفترق، تقاطع الطرق». هذا هو المكان الذي أخبروني به...
- وبعد...

- وبعد... لا شيء. لا أذكر شيئاً... البوت، أنا آسفة، لم تُشن الأمور كما يجب.

أجابت بصوت حازم وهو يهز كتبه: لا يأس، لا يأس.
استدار ليقودها بيده إلى السيارة.
- ربما كنت بسيطة جداً وكثيرة التفاؤل... ليس هناك سبب لتعود إلى

ذاكري.

أجابها بتحفظ: «نحن نحاول، وهذا هو لهم والآن النمس على وشك المغب والطقس يارد جداً، تعالى، من الأفضل أن نعود إلى منزل قبل هبوط الظلام».

أدار السيارة ورجع إلى منزل عبر طريق آخر غير التي سلكها في الصباح.. كانت مصابيح السيارة تضيء اللزوج الكثيفة التي بدأت تتجدد. راح البيت يقود بيده وهو يفكر، أما إيزوبيل فكانت تحاول إيجار ذكرها على اختراق الماضي القاضي. شعرت الآن بالتعب والإحباط بينما كانت صباحاً تشرب بالسعادة والتفاؤل إلى جانب البيت. كانت متاكدة أن شيئاً سيحدث، شيئاً سيحول إليها عندما ترى منزل الذي أمضت فيه طفولتها والمكان الذي وقعت فيه الحادثة..

استدارت نحو البيت وقالت له يحزن: «اعتقد أنت قد بذلك كل ما في وسعك. كنت جيئنة عندما ظلتت أن القضية بسيطة وأنه يمكن زيارة مكان الحادث لتعود الأمور إلى عراها».

نظر إليها البيت: «عذلاً أكثر من ذلك».

ـ حسناً بعد كل الذي حدث، من المحتل جداً أن أجد بعض الأشخاص الذين لا يزالون يعيشون هنا والذين ما يزالون يتذكرون الحادث. إذا تكلمت إليهم، ربما يذكر أحدهم شيئاً لم يخبرني به... هناك مثلاً ادموند، شقيق بولوس. لا بد أنه حل قيد الحياة، ليت بإمكانك إيجاده والتحدث إليه.. لا تعتقد أنها تكرة صائبة؟

هز كتفها: «لا أظن ذلك. لماذا تخيلين أنه سيعادك؟».

ـ حسناً كان موجوداً تلك الليلة، هنا ما قاله بوري. يجب أن يذكر شيئاً. قالت بوري إن ادموند كان أفضل من أخيه، لطيفاً ومهذباً.. كانت أخيه، هذا ما قالته لي...»

قال ساخراً: آه! حسناً.. إذا كانت هذه هي شهادة بوري بالطبع. تابع بصوت ساخر: لا اعتقاد أنه سيقدر أن يغيرك أكثر مما أخبرتك به

بوري. ملارة على ذلك، أخبرتك أنه لم يبق أحد من هذه العائلة هنا.

ـ تفاجأت بلا مبالغة لكنه تابع: هل كلُّ حاوي ذلك... إذا كنت مصرة على ذكرتك فأخبريني هل تظكرين ادموند؟ كنت تعززه كما كانت تعززه بوري؟

ـ تفاجأت إيزوبيل لحظة صوته وقالت له: لا، لا أذكر أي شيء عنه، أكنت أعزه، أم لا؟

ـ أجابها بصوت بارد: مسكن ادموند، لا يشعر به أحد، مرفوض، ولا يوجد له..

ـ قاد سيارته عبر بوابة المنزل. غلت إيزوبيل صامتة. بما أن الاقتراح أزعجه قلن تتكلم عنه مع أن ردة فعله لم تكن منطقية في مطلق الأحوال. هو الذي اقترح عليها أن تذهب وتفتش عن ماضيها لكنها لا تزيد أن يُعلّى عليها إرادته فهي تقدر ما تزيد. عندما حاولت الرجل من السيارة قال لها: أرجو أن تذرريني، ثمة عمل على إنجازه.. لن أقرب طويلاً. يسكنك الدخول إلى المنزل.

ـ حسناً، لا بأس..

ـ بدا لها ذلك غريباً لأنه لم يكن هذا العمل وارداً في برنامج اليوم.

ـ هل تسمح لي أن أتصل بوري هاتفي؟ يجب أن أتكلم إليها.

ـ طبعاً، ياستطاعت ذلك.

ـ تغيرت تعبير وجهه وعاد إلى طيبته فأحسست إيزوبيل ببعض الراحة.

ـ تكلمي بكل حرية. سأكون هنا بعد ساعة، اطلطي إلى السيدة ديرنج أن تحضر لك فنجاناً من الشاي، فلأتتشرعن بالبرد.

ـ حاولت إيزوبيل الاتصال بوري من دون جلوسي.. فجرت الاتصال بمنزل زوج أنها وهنالك أجبتها السيدة سبنسر بأنها لم تصل بها حتى الآن.

ـ أغلقت إيزوبيل الخط وطلبت رقم الوكالة التي تعمل فيها بوري في نيويورك. إنها تذكر ذلك لأن الوكالة لا تحتد أي اتصال من الأهل للسؤال عن المعارضات. هذه المرأة أيضاً حصل ما توقعته فقد كان جواب موظفة

الاستعلامات حادةً وفاطئاً.

- أجل، آنـة سـاتـ اـبـوـين سـافـرـت إـلـى بـارـبـادـوس ولـكـتـهـم لـم يـدـأـوا بالـصـوـرـيـرـ وـلـبـسـ هـنـاكـ أـيـ وـقـمـ لـلـاتـصـالـ بـهـاـ، سـتـرـكـ لـهـاـ رـسـاـكـ إـذـا اـنـصـلـتـ.

أـفـلـتـ اـبـرـوـبـيلـ الـخـطـ بـعـصـيـةـ. تـيـاـلـبـورـيـ!

شـعـرـتـ بـالـقـلـقـ فـجـلـسـ فـيـ غـرـفـةـ الـاسـتـقـابـ مـلـدةـ وـجـيـزةـ عـاجـزـةـ عنـ الـاسـتـخـاءـ وـراـحـتـ تـرـاـجـعـ فـيـ رـأـسـهاـ أـحـدـاـتـ النـهـارـ. بـعـدـ قـلـيلـ جـامـتـ الـسـيـدةـ دـيرـنـغـ حـالـمـةـ صـيـبةـ مـنـ الشـايـ وـمـرـقـيـنـ الـفـاكـهـةـ مـنـ صـنـعـ الـنـزـلـ فـجـلـسـ إـلـىـ جـانـبـهاـ أـمـامـ الـمـدـافـأـ.

- أـخـيـرـاـ، هـاـ اـنـتـ هـنـاـ عـزـيزـنـ اـسـتـعـيـدـيـنـ دـنـلـكـ، تـنـاوـلـيـ هـذـاـ الشـايـ السـاخـنـ.

وـنـظـرـتـ إـلـىـ اـبـرـوـبـيلـ وـسـائـلـهـاـ: هلـ أـمـضـيـتـ غـيـارـاـ جـيـداـ بـرـفـقـةـ الـبـيـوتـ فـيـ الـسـيـارةـ لـأـنـ الطـقـسـ بـارـدـ فـيـ الـخـارـجـ؟

- أـجلـ، أـجلـ، كـانـ الطـقـسـ بـارـدـ. تـرـدـدـتـ، لـكـنـ عـنـدـمـاـ رـأـتـ أـنـ السـيـدةـ دـيرـنـغـ لـنـ تـحـرـكـ مـنـ مـكـاـنـهـاـ اـسـجـمـمـتـ شـجـاعـهـاـ وـنـابـعـتـ الـكـلـامـ: إـنـ مـنـزـلـ جـيـلـ.. أـعـبـرـيـنـ الـبـيـوتـ أـنـكـ تـعـلـمـيـنـ هـاـنـذـ وـقـتـ طـوـبـيلـ سـيـدةـ دـيرـنـغـ.

ابـسـمـتـ السـيـدةـ دـيرـنـغـ وـأـجـابـهـاـ: - مـاـذـاـ تـطـرـحـيـنـ عـلـىـ هـذـاـ سـؤـالـ؟ أـعـمـلـ فـيـ هـذـاـ النـزـلـ مـذـ أـرـبعـينـ سـنةـ.. مـذـ كـنـتـ فـتـاةـ صـغـيـرـةـ.

- آمـاـ لـمـ أـعـلـمـ أـنـكـ هـنـاـ مـذـ ذـاكـ الـوقـتـ الطـوـبـيلـ. فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ رـسـاـ تـنـذـرـيـنـ أـعـلـىـ. كـانـ نـعـيـشـ هـنـاكـ فـيـ قـرـيـةـ «أـسـتوـنـ دـيفـروـولـ»، لـمـ يـذـكـرـ الـبـيـوتـ ذـلـكـ أـمـامـكـ؟

- لاـ، لـمـ يـأـتـ عـلـىـ ذـكـرـ ذـلـكـ أـمـامـيـ. رـاحـتـ تـحـرـكـ بـدـعـاـ عـلـىـ طـرـفـ ثـوـبـاـ ثـمـ قـالـتـ: حـسـأـ عـلـىـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـطـيـخـ لـأـخـضـرـ طـعـامـ الـمـشـاـءـ.

- أـلـاـ تـنـذـرـيـنـ؟ هـاـنـةـ سـانـتـ أـبـوـينـ؟ هـزـتـ السـيـدةـ دـيرـنـغـ رـأـسـهـاـ وـقـالـتـ: حـسـنـاـ، أـنـآـ أـسـفـةـ.. أـهـيـشـ هـاـ حـيـاةـ هـادـيـةـ مـنـزـوـيـةـ. فـعـمـ السـيـدـ الـبـيـوتـ نـادـرـاـ مـاـ كـانـ يـأـتـ وـأـنـاـ لـمـ أـكـنـ أـغـادـرـ الـنـزـلـ إـلـىـ قـلـلـاـ.

- إـذـنـ رـيـساـ تـعـرـفـنـ أـحـدـ أـصـدـقـائـيـ الـذـيـنـ كـانـوـ بـعـثـونـ قـرـيـباـ مـنـ هـنـاـ: هـاـنـةـ دـيـ لـاهـيـ، كـانـتـ الـأـمـ مـعـوـةـ وـلـهـاـ وـلـدـانـ، بـولـيوـسـ وـادـمـونـدـ. رـأـتـ اـبـرـوـبـيلـ بـرـيـطاـنـاـ فـيـ عـيـنـيـ السـيـدةـ دـيرـنـغـ وـنـظـرـةـ صـخـرـيـةـ: دـيـ لـاهـيـ، دـيـ لـاهـيـ. رـيـساـ سـمعـتـ بـذـلـكـ.. أـهـمـ مـنـ سـكـانـ الـمـقـطـعـ؟ تـرـدـدـتـ اـبـرـوـبـيلـ: لـأـدـريـ، اـعـتـقـدـ أـنـهـمـ عـاـشـوـاـ هـنـاـ عـادـةـ سـيـنـ، فـالـلـوـدـانـ كـانـاـ يـلـهـيـانـ إـلـىـ الـمـدـرـسـةـ الـدـاخـلـيـةـ.

- حـسـنـاـ، رـيـساـ ذـكـرـ أـسـمـهـاـ أـمـامـ مـرـةـ أوـ مـرـتـنـ وـلـكـنـيـ لـأـعـرـفـهـمـاـ سـخـصـيـاـ. وـالـآنـ اـعـلـمـيـ آنـةـ لـأـبـيـعـرـ.

خـرـجـتـ مـنـ الـفـرـغـةـ بـسـرـعـةـ بـقـبـلـ أـنـ تـسـوـقـهـاـ اـبـرـوـبـيلـ مـنـ جـدـيدـ. رـاقـيـنـاـ اـبـرـوـبـيلـ وـهـيـ خـارـجـةـ، وـشـعـرـتـ بـالـقـضـبـ لـأـنـهـاـ يـدـأـتـ شـكـ بـعـرـكـاتـ هـذـهـ الـلـرـأـ، فـهـيـ تـكـذـبـ. لـكـنـ مـاـذـاـ؟ مـاـذـاـ؟ لـمـاـذـاـ؟ لـمـاـذـاـ؟ تـكـلـبـ لـسـوـالـ بـيـطـ كـهـلـاـ؟ مـاـلمـ.. رـاحـتـ تـنـشـشـ فـيـ فـكـرـهـاـ عـنـ السـبـ. مـاـلمـ.. يـتـلـبـ إـلـيـهـاـ تـكـذـبـ. وـهـنـاكـ شـخـصـ وـاحـدـ قـدـ يـتـلـبـ مـنـهـاـ ذـلـكـ: الـبـيـوتـ رـيـتـشـارـدـسـونـ.

لـكـنـ عـنـدـمـاـ عـادـ الـبـيـوتـ إـلـىـ الـنـزـلـ بـعـدـ نـصـفـ مـاـسـاعـةـ، نـبـتـ كـلـ تـلـكـ الـأـنـكـارـ. دـخـلـتـ إـلـىـ الـفـرـغـةـ وـعـلـامـتـ الـبـهـجـةـ عـلـىـ مـلـامـعـ وـيـجـهـ، جـيـاماـ يـبـرـحـرـاءـ وـلـطـفـ.. فـاثـرـتـ وـتـضـاعـفـ خـنـقـانـ قـلـبـهـاـ. رـاحـتـ يـمـشيـنـ فـيـ وـسـطـ الـفـرـغـةـ وـلـكـنـ تـوـقـفـ فـجـأـةـ لـمـ دـانـهـاـ. عـنـدـمـاـ نـظـرـتـ اـبـرـوـبـيلـ إـلـىـ جـبـهـ، اـخـفـتـ مـنـ فـكـرـهـاـ كـلـ الشـكـوكـ وـشـعـرـتـ بـالـخـيـلـ، إـلـاـ مـتـرـعـهـ وـكـثـيرـ الشـكـوكـ، مـنـ السـخـاـةـ أـنـ تـسـمـرـ بـهـلـهـ الـأـفـكـارـ.

سـمعـتـ بـقـوـلـ: جـيـبيـتـ. عـنـدـمـاـ سـمعـتـ اـبـرـوـبـيلـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ مـتـ لـأـوـلـ مـرـةـ اـحـرـتـ وـجـتـهـاـ. لـمـ اـرـتـ قـلـلـاـ إـلـىـ الـوـرـاءـ وـنـظـرـ إـلـيـهـاـ قـاتـلـاـ: كـانـ جـاـلـيـنـ وـبـلـهـاـ.. كـانـ

هناك شيء أهمنا لكتاب نرى، والآن اسمع! هل تذكريين أني قد طلبت
ذلك أن تجيئي معي جواز سفرك؟
ـ أجل.

ـ حسناً، اذهبي واجلبيه بسرعة.

عندما عادت، كان البيت يذرع الفرقة قهابةً وإيماءً. أخذ الجواز منها
بسريعة وراح يتصرفه ورقة ورقة. كانت إيزوبيل تراقبه متعبجةً وأخيراً
أطلق صرخة الانتصار.

ـ حرفت ذلك إيزوبيل عرفت ذلك، انظري هنا.

ـ اقطاماً الجواز نظرت إيزوبيل إلى إحدى صفحات التأشيرات بدهشة.

ـ يا يلهاني لا ترين؟ انظري! إنها خاتمة الأ ترين ذلك؟ تأشيرة دخول
وخروج ممزوجة، وصلت إلى الجزائر في تاريخ الثالث والعشرين من شهر
كانون الأول وخرجت بتاريخ الثالث والعشرين من الشهر نفسه. عبرت
الحدود إلى المغرب. انظري هذا هو ختم المزروع على المحدود في تاريخ الثالث
والعشرين من شهر كانون الأول، يبدو أنك ذهبت إلى مدينة فاس في المغرب
لأنك استقلت الطائرة من هناك... انظري هنا الختم بتاريخ السادس من
شهر كانون الثاني. حصل ذلك تماماً قبل الحادث بأسابيع قليلة. كنت في
الجزائر ثم قطعت الحدود إلى المغرب، مكثت هناك حوالي أسبوع ثم عدت
بالطائرة. ثم تعرضت للحادث بعد ذلك بيوم وجيزة، في نفس الشهر.
ـ والآن هل أدركت ذلك؟

ـ نظرت إيزوبيل إلى الصفحات والأختام والتأشيرات والتاريخ ملعمولة
وأخذت تجهش بالبكاء. جاءها صوتٌ ورقيناً:

ـ حبيبي، لا تخزني! لا ترين أنا وصلنا أخيراً إلى شيء؟ مهم؟ هذا يفسر
الآن البطاقة التي أرسلتها آنذاك لزوج أمك، كل ذلك له علاقة مع الحادث.
لكن لماذا كذبوا عليك؟ لماذا لم يذكروا أملك أي شيء عن هذا؟ لكري
إيزوبيل حبيبي. قبل حصول الحادث بفترة وجiezة كنت في الجزائر. من
هناك، أرسلت لزوج أمك بطاقة تخبره فيها أنك بخير وسعيدة وتطفين إليه

ـ لا ينتش عنك ثم علمت أنه سياور ليقظة عنك فأرادت إخفاء آثارك،
ـ تكاد أن اجتزت الحدود إلى المغرب... مكثت هناك أسبوعاً ثم عدت
ـ تعرضت فيما بعد لذلك الحادث... والآن فكري كيف يمكن لإنسان عاقل
ـ أن يجعل هذه المسألة وسراً؟

ـ نظرت إليه إيزوبيل وقد جفت حلتها.

ـ أنت تتعيني أني سافرت إلى الجزائر برفقة رجل لا يثق معي، رجل لا
يريد زوج أمي أن يثق معي؟ ولهم جروب وحاول إيقاعي ومنعني من ذلك،
ـ أهذا ما تفكرين فيه؟

ـ نعم.

ـ نعم، هذا ما تفكرين فيه. بالحقيقة أذكر في ما هو أبعد من ذلك. بعد
ـ كل الذي حصل معي، من هو ينظر الرجل الذي يكرهه زوج أمك والذي
ـ منعكِ أنت وشقيقتك من رؤيته؟

ـ أجابت إيزوبيل بحزن ولام: «لا يمكن أن أكون معي. هذا غير ممكن».

ـ أعتقد أنه ممكن، أعتقد أنك سافرت إلى الجزائر سراً مع رجل لا يحبه
ـ ولا يريد زوج أمك. رجل تذكريه حتى بعد الحادث، رجل تحبه. أعتقد
ـ أنك سافرت إلى المغرب مع بوليوس.

ـ هذا ليس صحيحاً اليوت فلو سافرت معي لتذكري ذلك لو عمل الأقل
ـ تذكريت شيئاً منه.

ـ حبيبي لا، ليس من الضروري ذلك. ذهبت مع شخص تحبه ثم
ـ عدت إلى المنزل فحدثت شيء ما، مشاجحة أو صعوبات مع زوج أمك ثم
ـ حصل الحادث وبعد ذلك أخبروك أن الرجل مات.

ـ ثانية بحثان: «الآن ترين ذلك إيزوبيل؟ كنت تحبه ثم عرفت أنه مات،
ـ هذا هو سبب الصدمة... لهذا فقدت ذاكرتك».

ـ نظرت إيزوبيل إلى وجهه، فرأت في عينيه الحب والحنان. لكن وجهه
ـ بدا قاتماً وارتدى إلى الظلمة لم حل محل وجهه وجه آخر أكثر شباباً والعينان
ـ اللتان تنظران إليها لم يعد لهما قاتماً بل أصبح فولادياً ورماديّاً، ولم تكونا

- الثانية تحصل معي الآن.

شعرت أيزوبيل بالتحمّل ولكنها نظرت إلى عبيه فإذا بهما ثالثان..

للحظة نقط رات فيهما تلك المرأة القديمة لم حدث وافت.

- فكرت لحظة أن الذي حصل لي في الماضي لم يختفي ولكنه مثل حياني نوعاً ما.

- والآن؟

- والآن لست والثأ ولكن قلقل إبني أكره الخارة. يبدو أن بيته شبراً مشتركاً.

- أنت تشعرني بالسعادة.

ابتسم: أنا سرور بذلك. السعادة هي حالة تسبُّب أنها موجودة.

- ربما عليك أن تتصرف كما تصرخي ذات يوم. فتش عن ماضيك.

هز كتفه وأجابها:

- في مطلع الأحوال، اعتدّد أنه من الأفضل لي أن أترك للماضي حيث هو في الماضي. أما الآن، فانا أتش عن المستقبل.

شعرت أيزوبيل مرة أخرى ببراعة تبصّرها وبخفايا قلبها.. راح ينظر من النافذة وهو يتكلّم بصوت هادئ.

- انظري، نحن نعبر الشاطئ».

وأشار إليها عبر النافذة.

- سوف نحط بعد دقائق قليلة. حجزت لنا في لندن بالاس الذي يقع في ضواحي المدينة العربية القديمة. إنه ممتاز، حجزت لنا غرفتين متصلتين.

عندما وصلنا إلى الفندق راحت تنظر من حولها بإثارة. كانت الترف مفروشة على الطراز المراكبي والأرض مرصعة بالقرميد الوشقي بالرسوم البدوية، والملاجئ مغطاة بالشرائف الحريمية، نظرت من النافذة المقوسة الشكل إلى فناء حديقة جميلة، ومن خلال فوس آخر تند غرفة النوم. تزرت أيزوبيل حمامها ومشت عاربة القدمين على السجادة المصنوعة من الفراء والحرير. هناك في صدر الغرفة، سرير واسع ومتخضّس تعطّبه شرائط

تنتظران إليها بكرة، كما يجده داتساً في أحلامها بل يختار وحب.

ترنح وأغمضت عينيها:

- حبيبي، سبكون النصر حليفنا، نحن نبر خلف الآثار الصحيحة.. أشعر وأتق بذلك.

شعرت بالراحة وهي تسمع نبرة صوته المقرنة.

- هل أنت خائفة؟ هل تريدين مواصلة السفر؟

ابتسمت أيزوبيل: «أجل أريد ذلك».

- إذن دعينا نذهب ونحزم أمتعتنا.

- تحرّم أمتعتنا؟

- بالطبع، سنستقلّ الطائرة غداً إلى مراكش.

* * *

- أنت عبون، هل تعرف ذلك؟

جلست أيزوبيل في مقعد الطائرة ووضحتالي باليوم الذي استلمت له سعادتها.

- عندما التقينا بك لأول مرة، ظلتت أنتك... فهو لا أدرى أبادر ومحظوظ وحذر. رجل مال ورجل مصارف. والآن لا أجد فيك أي شيء من ذلك، بل أجدك متذمّراً ومنهورةً ومرفأً وقد تعودت على ذلك. في السهرة أنسكت في ديفون واليوم أنا في الطائرة متوجهة إلى شمال أفريقيا، ثم أكتشف أن هذه طائرتك.

- نحن سافران إلى هناك كما يفعل غيرنا ولكن بشكل أسرع.

- لكنني لم أعلم أن لديك طائرة خاصة.

ابتسم اليوت وأجابها: «هناك أشياء كثيرة لا تعرّفها عنّي».

نظرت إليه أيزوبيل: بالحقيقة، لا أعرف هناك شيئاً أبداً.

- أي نوع من المعلومات تفكرين فيها؟

- حسناً لا أعرف أهلك وعائلتك.

- ليس هناك الكثير لأخبرك به.. ثمة حادثان حصلتا في حياتي وأثروا في بحراها. الحادثة الأولى أخبرتك بها.

- في مطلق الأحوال لا فائدة من النهاب إلى الفنادق الآخرين للبحث.
هذا كتبه: للشمس في المدينة القديمة ولنكتشف للدببة، إنها رائعة من
يعلم ربما تربين فيها ما يرجع إليك ذاكرتك عن طريق الصدقة وإذا لم يحصل
ذلك ...
توقف وراح ينظر إليها. في ثبرة صوته شيء طرير جمل وجهها يدور
خجلًا.

- وإذا لم يحصل ذلك؟

- عندئذ سأجري طريقة أخرى.
ابتسم وقادها إلى الأمام ...

يددت المدينة من ثلاثة الموجدة فوقها، ساكتة وهادئة. أسوارها
وأبراجها وقبابها يدت بذلة اللون كزهرة قابلة تحت أشعة الشمس في الشفاء،
ثماماً كلون الأرض التي تحيط بها. لكن عندما قادها اليوت عبر الشارع
الضيق في وسط جمادات من الأولاد المتلقعين، وصولاً إلى القوس الكبير في
المدينة القديمة، أحسست بمعينها وأذنيها وأنفها عاصفة وغارة في مجموعة من
الأشجار المتضاربة.

كانت رائحة المدينة مزيجاً غريباً من الناس والحيوانات ومن خشب
الصلدل، ومن بيوت القهوة الصغيرة التي كانت يعران بها ومن شلبي الشاي
للطعم بالتمتع. ثم انطفأ حول إحدى الزوايا، فوجداً أنها أصبحت في
الشارع التجاري.

قادها اليوت وهو متعدد كأنه أضاع الطريق ثم متى منها بسرعة نحو
غرن صغير داكن في منتصف الطريق: هذا هو محل كما اعتد.
توقفاً ثم دخلا إلى المخزن الذي كان فيه وجبل عجوز يجسني لجاناً من
الشاي للطعم بالتمتع ... بدا كأنه جالس في مقارنة علام الدين، عليه عملاء
بأشياء غريبة قطعت أنفاس ايزوويل لشدة ما أصبعتها. هناك وشاشات من
الحرير معلقة وخرايم مطرزة كزهور المدائق ولفات من الحرير المتعددة
الألوان، والبسة قديمة ثيبة وثمة عقود وأساور وخواتم من الفضة

حريرية، متقدمة رائعة مصنوعة من الخشب القديم، في وسطه مرآة كبيرة.
رمت نفسها على وهي تبكي. شاهدت من فوق رأسها صورتها تتعكس
وتحرف وشررت بأنه سرير من الف ليلة وليلة.
قطع البوت فجأة حيل انكارها.
- إنه يناسيك كثيراً.

جفلت ايزوويل ثوبت واقفة عندئذ راح البوت يضحك.
- لم أسمعك تدخل.

- طرق على الباب ولكن ليس بقوّة.
رات عينيه تضحكان قاتتها من رأسها إلى آخر قدميها.
- أعتقد أن ثيابك الفريدة لن تسجم مع المحيط هنا. سترتي لك ثياباً
على الطراز المراكشي من الحرير الأصلي.

قاطعه ايزوويل: دوشوك مطرز بالخرايم.
ثياب البوت:

- تعالى الآن لتشرب بعض القهوة ولنضع خططنا.
بعدما حضر لها بعض القهوة الكثيفة الحلوة جلس على أحد مقاعد
الديوان ومدد قدميه الطويلتين.

- جمعت بعض المعلومات عن هذا الفندق .. إنه مشهور استقبل بين
جيشه عدداً كبيراً من الضيوف المشهورين، وأصحاب الفندق يقتربون
بسجل الضيوف الكبار .. هناك شيء علينا معرفته الآن: هل نزلت هنا تحت
اسم مستعار أم نزلت في فندق آخر؟

- أتوقع أنتي لن تنزلت في فندق آخر أو في نزل بسيط، لهذا الفندق
تعرفه باعقة جداً.

- أشك في ذلك... نحن هنا لسنا في روما أو في باريس. في قاس ثلاثة
فنادق على طراز هذا الفندق. والأوروبيون لا ينزلون حادة في الأماكن
الصغيرة خاصة إذا كانت للمرأة بمفردها.

- لكنك ذكرت أنتي لم أكن بمفردك.

والنور كواز والزمرد والباقة و قد عرضت كلها على طاولة ندية منظمة
بشرف من المحرر المطرز.

- تعالى معي.

وادخلها إلى وسط محل فوق الرجل المجوز وانحنى أمامها
بتهدب.. عندما جلست ايزوبيل صدق المجوز بيده، فحضر ولد وضع
أمامها نجاحاً من الشاي بالنتائج. بينما كانت جالة تتأمل، رأت البوت
يتحدث مع صاحب للخزن بخصوص الأسمار الإنكليزية وطوراً بالعربية
أو الفرنسية.

ظلت ايزوبيل تحتفي الشاي وتنظر بامتعاب إلى تلك الأشياء الغريبة
المروضة أمامها بالوان عديدة يبرت عندها، ثم أغمضت عينيها متزعجة من
صوت العجوز ومنعة من السفر في الطائرة ومن السير على الأقدام في
الشوارع الضيقة. كان الجو حاراً داخل الخزن الصغير، وتناثرت إليها
رائحة خشب الصندل المشتعلة.

الحجر الأزروري... سمعت صوت البوت كأنه يتأهّل إليها من
مكان بعيد.. ثم شعرت بذكرها يلتقط صورة ما وتأهب: اكنت هنا من
قبل.. الدفعت الفكرة إلى رأسها من لا شيء. فتحت عينها ونظرت حولها
قرأت البوت متحسناً فوق إحدى الطاولات.. رأت شكله فقط وخطوط
وجهه الجاتية ومتكيّه العريضين: «مع بوليوس، مع بوليوس».
هذا ما قاله لها ذكرها.. مع بوليوس.

استقامت في جلستها وشعرت للحظة بذكرها يتشبث بما تخيلت، ثم
سرعان ما اختفى ما تحاول التمسك به في الذاكرة. بدت كأنها تحاول أن
تُنكِّل بحلم ولكن الحلم نواري واختفى.. ربما خلال هذه اللحظات
تفطّعت أفالها، وهذا ما جعل البوت ينظر إليها يقلّق ويسألها: ايزوبيل،
هل أنت بخير؟

- أجل أنا بخير.

يداً صوّبها طيباً ولكن الذكرى اختفت فجأة كما جاءت. شعرت

بالعرق يتصلب من جيئها، ثم عاد الهدوء إليها.
ودعهما صاحب الخزن بلابة، كان البوت يحمل بين يديه أفراساً
كثيرة قدمها لها.

- هل تذكري؟ هل حدث لك شيء في هذا محل؟
أومات ايزوبيل برأسها وأخرجه، فتضطجع على شفتيه.
- إنك متعبه وشاحبة جداً، تعال، سأعيده إلى الفتق حيث ستتناول
بعض الطعام ثم تخلدين إلى الراحة.

أسكتها بيده ومشي في طريق العودة. توقف فجأة وسألها بترقب:
- هل أنت أكيدة أن هذا كل شيء؟ ليس هناك أي شيء آخر؟
أجبته ايزوبيل ببرودة: لا، لا شيء... تماماً كما قلت..

* * *

- هل تعرفين؟ هنا لك لازورديا اللون لذلك اشتريت لك هذا المجر
الكريم الأزرق الداكن المطعم بالذهب.
ابتسم ووضع العلبة إلى جانبها في السرير.
- شعرك أيضاً نائم كالحرير، اشتريت لك هذه...
ووضع علبة أخرى إلى جانبها.
- خصرك رفيع وورقى. هذه الهدية تنايه.
ووضع بمنابع علبة صغيرة في راحة يدها.

- وهذه الهدية لا أدرى لماذا اشتريتها، ليس هناك سبب معين لكن
اعتقد أنها أجيجتني.
ثم وضعها أمامها. توقف وهو ينظر إليها ويسم..
- الوقت متاخر، تمت مدة طوبلة. انظري، ايزوبيل الوقت ليل.
رفعت عينيها نحوه ثم حولتهما إلى النافذة، في الخارج كانت السماء
سوداء ومتللة بالنجوم.

- انتظرت استبانتاك بنارغ الصبر. ولأنّ ارجو منك أن تفتحها

وترتديها من أجل.

رفقت ايزوبيل عيبيها على مهل نحو وجهه بثقل في خطوبها وشعرت بأنها غير قادرة على التخلص من نعاسها ومن حلم لا يمكنها أن تذكره، حلم ترك وراءه شعوراً أخفياً من البهجة والمرارة.

- الآن أرجو منك أن تلتقطي هذه العلبة.

جلست ايزوبيل ورفقت شعرها للتاثير على وجهها إلى الوراء. راحت تفتح الواحدة بعد الأخرى وأناملها ترتجف.. فتحتها كلها إلا العلبة التي كانت ما زالت في يده.

رفقت نظرها إليه بخجل وسرور: اليوت، إيه جميلة، رائعة، لم أرّ قط مثلها ولم يدن أي شخص شيئاً مملاً لها.

اقترب منها وقدم لها عقد اللازورد والنفحة: «هذا العقد هنا لينافس عيبيك. ستبدلين به كبطولات الأساطير القديمة».

أشك بين يديه حزاماً قدماً مصنوعاً من الجلد النين والمطعم بزهور من الفضة: وهذا ليسين خصرك. ثم أشك الوشاح الحريري الأصفر الذي يسلط ليفطي الجسم، ثوب فضل بساطة ساحرة وهو رداء من الحرير المنear. عندما وضعت ايزوبيل فوق يدها، بدت بشرتها تزهق من خالله.

- عندما تلقيه أمام الضوء يصبح بلون الحليب وعندما ترتديه فوق ثياب كثيفة يصبح بلون العسل. إنه ثوب زفاف، فالملائكة هنا ترتديه فوق جسمها أو فوق ثيابها.

توقف: هل كل حال، هل ترتديته من أجل؟

رفع وجهه وهو يتكلم الثالثة عيبيها. نظرت إليه ايزوبيل بصمت وحرفت خلقة كلماته وعلمت ما قد يحدث بالتأكيد إذا ارتديت هذا الثوب الآن. وشعرت أنه بطريقته الخاصة قد حذرها من ذلك. ساد الصمت هذه لحظات وأصبحت الفرقة ممتنعة ثم برقت بالأشواء، ثم هادت مقلة من جديد. أحيت أولى أن الرقت جامد من دون حراك ثم أخذ يدور بسرعة، وأحيت به مرة ثانية كان فيه شيئاً من السحر وكان كلمات اليوت

الحاجة هي تعويذة سرية.. هددت وقت وقالت له:

- سأدخل إلى الغرفة الصغيرة تلك وأرتديه. أقض مضي عيبيك وانتظرني.

ودخلت إلى الغرفة، ثم ارتدت الثوب وأدخلته من فوق رأسها فانهمر من عنقها حتى كاحدل قدمها، ولطف جسمها برقه فلدت به ساحرة.

عندما هادت قالت له برقه: أفتح عيبيك، ففتحهما اليوت.

نظر إليها بصمت ثم وقف ببطء ثم عاد بنظر إلى وجهها بهدوء. وقرأت في عيبيه حباً كبيراً وحناناً عيناً وشبهاً آخر لم تعرف ما هو ولكنه يكاد يسحرها.

شعرت بقلبهما يتحقق وبتحقق ولم تعد تشعر إلا بوجوده..

قال لها وكأنه يتألم: يجب أن أعرف... أخبرني... ثم انقطع صوته.

سحب فضاً عيناً وعياماً في عيبيه، ثم بكل تصميم: «نعم.. أنا أحبك»، ثم أكلت تقول إنها تربده، وإنه لا وجود بعد الآن لأي شع من اللامي قد يفرق بينهما.

صدقاها، عرفت ذلك من نظرة عيبيه التي بدت أنها وجدت قرارها أخيراً.

ذكرت في خضم هذه الشاعر الجهنمية التي تعصف بقلبهما أنها كانت معه.. نعم سبق أن كانت معه في هذا الوضع ووسط هذا الجنون.. كان يردد: «أجل ايزوبيل أجل وانا أيضاً أحبك».

عادت تؤكد له ثانية: «أحبك اليوت، أحبك».

* * *

٧ - الماضي لن يعود

شعرت بأن عينه توحيدان بعدم الثقة بما تقوله وسمعت يقول بهدوء: «هل حسيتي؟ هل حسيتي فعلاً؟» سألت نفسها ماذا يريد. فكانت مرة ثانية أنه يتظر، ولكن ماذا يتضرر؟ إنها تشعر بيتره، فلماذا؟ ولكنه لم يقل شيئاً بل أبسم ومضى إلى الطاولة وتناول العلبة التي لم يقدمها لها حتى الآن: «تعالي، أريدك أن تأخذني هذه». نادتها إياها فقطت أن بدء ترجمت قليلاً.. نظرت إليه، لكن عينيه لم تقولوا شيئاً بل كان فيهما نوع من السؤال والاستفهام والغموض. راحت بهدوء وتردد تندع النلاف من العلبة وفتحتها.

أسرع البوتو وأخذنا منها قبل أن تستطع الكلام، رفع غطاء العلبة وأخذ المخاتم من داخله. هنالك راحت أبزويليمل تحملت إلى المخاتم الذي وضعه على راحة يده. إنه دائرة صغيرة من الذهب شبيه بخاتم الزفاف. وفعلاً حتى استطاعت أن تلاحظ أن سطحه الخارجي كان مالساً بسيطاً، لكنه كان ممزوجاً من الداخل. الترتبت فوجئت أنه لم يكن هناك أي تاريخ أو أي اسم بل وجدت علامة معقدة وحرف ^{١١} عضور مرتين، والمرفقان متداخلان في بعضهما.

رفعت عينيها نحوه وقالت بدهشة: «إنه أول حرف من اسمي، حفر مرتين». أبسم ابتسامة فيها بعض السخرية لم تلحظها وأجابها: «هكذا يدور».

ثم أمسك يدها اليمنى ووضع المخاتم في إصبعها وهز رأسه وهو يقول: «إنه ضيق كثيراً، للتجرب اليد الأخرى». أمسك يدها البرى بيده ووضع المخاتم في إصبعها الثالث وبدا مناسباً. في هذه اللحظة التفت نظراته إليها زانقين اللذين اسماه باستغراب فهي لا تدري ماماً يعني له أو لها هذا المخاتم وهي خائفة أن تتأكد ماماً يعني ذلك بالنسبة إليه.

كان قرأ الأشعار: «هذا خاتمتنا، وهو يعني ما تزبدت به أن يعني». توقف كأنه يريد أن يقول شيئاً ثم قرأ أن يدخله بيته آخر: «اعتقد أنه يعني الميلاد والترابط بيننا».

- الميلاد الصلاة!

- أجل هذه صلتنا.

رددتها فجأة وأخذت ينظر إليها.. كانت صراحت كثيـر يطبع في الكلام، ثم رأت في عينيه بريقاً يخدعها أن تذكر ما يشعر به وما تشعر هي به أيضاً. عصفت هذا الشعور بجسدها كأنه نار تصاعد من أعماق أعماقها.

عندما تنهدت، قال لها:

- انتظري إلى، انتظري إلى.. لا تخفي عينيك ولا تدبّري وجهك، انتظري إلى، أريدك أن أراك وأرى وجهك. أرجعت أبزويليبل رأسها إلى الوراء مظاهرة بالازدحام ولكنها كانت تشعر بالفيضة والسعادة.

قال لها بتفسب: «افتتحيهمَا وانتظري إلى، الآن الآن...». فتحت عينيها.. ونكرت في أنه يتوقع أن يجدنا متضايقة ثم رأت في وجهه ما يدل على أنه يتضرر جواباً.. إنما جواباً عن ماداً؟ ولكنها لا تعرف ماداً يتضرر وماذا يريد، وبدل الإجابة عن ذلك السؤال الصامت نظرت إليه.

قالت له بدورها: انتظـر إلى أنت، هل تنظر إلى؟ أريد منك أن تعلم

ايضاً بما شعرتني

لاحت على وجهه السعادة فند أشرف بنور جديده وكان حياته ردت إلى بعد غياب.

بدت لها الأيام التالية فضلاً من السعادة.. وعانت أن يتوقف الوقت لقتل حكلاً إلى الأبد إلى جانب البيت، فهي لن تنسى أبداً مهما حصل سذاجة تلك الأمانات الجميلة التي زارهاها معها.. ذات يوم خرجا إلى الصحراء جوبي فليس.. كانت الجبال هناك زرقاء في الأفق، تعلو قممها الشجر. في يوم آخر ذهبوا إلى الشاطئ، وجلسا تحت نسمة الشفاء يتأملان مياه البحر الأبيض المتوسط. في أحد الأيام حضر ازفافاً وفي يوم آخر حضر أمانة، وفي ليلة فللا يتحدىان حتى يزوجن الفجر.

ذكرت كل تلك الأحداث ومسكت بها وقليلها مقعم بالسعادة، لا تذكر بالتأكيد كيف حصلت بالسلسل وفي أي يوم، لكنها كانت واضحة في ذهنها يضفيتها الفرح الذي تشعر به برفقة البيت. كان وقاره، وفطنه ومقاجاته التي بدلت تدراجها يوماً بعد يوم تزيد حبهما له أكثر فأكثر. قالت له ذات يوم وهي تنظر إليه بترىك: أشعر كأن ماضي رحل إلى الأبد. لا أهمن بعد الآن إن لم أجده، ولا أذكر أن ذلك سيفحصل.

أجايا البيت متوجه الوجه: عندما نعود إلى إنكلترا، ونجحن مضطرون للعودة قريباً، ربما لن تشعري هناك بما تشعرين به هنا.

أجبت بساطة: «سأشعر به». ابتس لها البيت برضى ولم يقبل شيئاً، فقررا العودة تهاراً بيت. تهار الجمجمة تركها البيت بعض الوقت وقال لها: لن أنتهي طويلاً.

كان بحاجة لبعض الوقت ليحضر معاملات الرحلة، عندما ذهب أرادت الاتصال بإنكلترا كما أخبرته.. تكلمت مع المديرة السيدة سير التي قالت لها: إن بيبي اتصلت بالتلزيل مرتين وإنها مشغولة بالليل بسبب طيابك فقلت لها إنك بخير ولا داعي للقلق.

- هل أنت متأكدة إنك قلت لها ذلك؟

- أجل، أنا متأكدة، أرادت رقمك للاتصال بك وعندما أجبتها إنك لم تترك أي رقم غضبت وأقفلت الخط. قلت لها إنك متصلين بها حالما تعودين. فلما جاءت إن ذلك لا يفع لأنها متقدمة، لكنها ستماود الاتصال بك تهار الأحد.

- حسناً سأعود غداً. سأكون على العنوان السابق في ديفون بعد ظهر السبت. وهناك سأتصل.

أقفلت الخط وهي تشعر ببعض اللذب.. لم يكن ذلك خطأها لأنها حاولت الاتصال بي بي بي قبل أن تترك إنكلترا، على كل، يبدو أن القضية متهدية ما دامت هنا مع البيوت، وهي وبالتالي لها حياتها الخاصة لتعيشها.

جلست لبعض الوقت في الحديقة الصغيرة خارج غرفتها وقد أستدت رأسها إلى الوراء إلى جدار الشرفة لتشمّع قليلاً بـ«دقه» شمس الشتاء الجميلة. كانت أصوات الشمس تتعكس على خافتها اللعبي ففتحت أيزوبيل يدها إلى الوراء وضاع تكرها مع البيوت. يبدو هذا الخاتم غريباً وهجيناً، لم يبلل لها البيوت أي شيء عنه ولكنها كانت مسرورة جداً بوضعيه دائمًا في إصبعها وما دامت الآن بمفردها فلا يناس بالتفكير فيه.. هناك أسلطة كبيرة تدور حول الخاتم وبليها طرحتها عليه.. هل اشتراه هنا في فلسا مع الأشياء الأخرى؟ ربما كان ذلك معقولاً ولكنها تشك في ذلك بكل الحلى التي شاهدتها هنا في محلات فضية ولم تلحظ تقط حل ذهبي.. كما أن هذا الخاتم مصنوع في الترب، فالأحرف المحفورة عليه غريبة.. هل اشتراه من إنكلترا قبل سفرها؟ تأثرت بهذه الفكرة وابتسمت وهي تنظر إلى الخاتم اللعبي في إصبعها.

المرجان الأولان للشاييان غريب أمرها أيضاً.. تزعم الخاتم وراحت تتألمهما عن كتب متعجبة، فالمرجان متشابه تماماً كلامها حرف واحد متراقبان داخل بعضهما.

هبت نسيم باردة في الحديقة الصغيرة، فشرعت بالبرد وارتجفت.. وضفت

ابن المدير وما هي الا لحظات حتى وضع أمامها سجلاً آخر. ون الهاتف فقدم لها المدير اعتذاره ورجالها أن تصفح السجل بمفردها ريثما يعود. نظرت إلى الكتاب وهي متعددة. البوس قد ألقى نظرة بنفسه على هذا السجل وهي بدورها قررت أن ترك للباقي شأنه وهو ما هي الآن تتعرض للتجزئة.

فتحت السجل بيدين مرتعشتين فأخذت تطوي الصفحات بسرعة حتى وصلت إلى فتره الثالث والعشرين من شهر كانون الأول إلى التاريخ المدون على جوازها. راحت تقرأ أسماء عديدة كانت يمعظها فرنسيه... إنها تضيع وقتها إذ لم تجد أي آخر لاسم لا تغير أو سمات ابiron، فجأة توقفت أناملها وهي تقرأ عواميد الأسماء فشعرت بشرها تجمد وشفتها ترجمان. لم تصدق مارات وتعجبت كيف لم يتبه البوس بذلك.

في الرابع والعشرين من شهر كانون الأول، منذ خمس سنوات قرأت في السجل: السيد والستة دي لاهاي. وكلمة دي لاهاي مسوقة بحرف E. ليس هناك أي عنوان، بل كلمة انكلترا مكتوبة باللغة الأسود وليس يخطئها. حدقت إلى الصفحة خائفة القلب بسرعة، شعرت بالقلق في حلقتها. لم يكن هناك أي شك في ما تراه. لا بد أنها كانت هنا وليس لوحدها... زلت هنا كروحة شخص ما: زوجة ادموند.

ظللت تنظر إلى الصفحة من دون أن تصدق. ادموند؟ هذا مستحيل لكن ليس هناك من خطأ، فحرف E ظاهر بوضوح لا يمكن تاوشه بحرف I. ارتعشت وأستدارت ظهرها إلى طرف الكرسي وأغضبت عينيها وهي تحاول التفكير.

ادموند؟ ادموند؟ الأخ الآخر، ولكنها لا تذكر أي شيء عنه، لا شيء. قالت لها بوبى إنها كانت تفضله على أخي لأنه كان طيباً للخلق، هذا كل ما تعرف عنه... ثار تفكيرها فصرخت بيامس: ذلك مستحيل. إنها تذكر بوليوس الذي مات، بوليوس الذي كان يعيش في أحلامها. بوليوس وليس ادموند.

الخاتم في أصبعها بسرعة، ونظرت إلى ساعتها. إنها الساعة الثانية عشرة ظهراً وتلائمن دقيقة. خرج البوس متذكرة من ساعه وهي تلتفته ولكنها بالقابل شعرت أن الاشطراب الذي كانت تحس به في الماضي قد اختفى من قبلها.

ظهرت أمامها نجاة حقيقة عودها إلى انكلترا، ماذا سيحدث هناك؟ أين ستذهب؟ أين ستعيش وماذا ستفعل لتجد عملاً وماذا يمكن أن يحدث بينها وبين البوس؟

ظهر الاشطراب على عيالها، فخرجت من غرفتها وذهبت إلى صالة الاستقبال في الفندق. وهناك وجدت علات تعرض تعرضاً جرائد و مجلات انكليزية، وقررت أن تشتري مجلة وأن تطلب بعض القهوة وتنظر البوس هناك.

كان الفندق هادئاً ومعظم الزبائن والضيوف في الخارج. كانت قد فررت العودة إلى غرفتها عندما جيأها مدير الفندق.

إنه شاب يافع يدير الفندق بكلفامة كبيرة. جياما وأخته رأسه وأخيها أنه حزين جداً لأنها متزوجة غداً ورجا أن تعود ذات يوم.

ابتسمت ايزوبيل وقالت له: إنها سعيدة جداً هنا. يدا المدير مسرودة جداً، ثم راح يخبرها عن تاريخ الفندق وكيف بدأ عمله هنا... كانت ايزوبيل تصفي إليه بنضول، ثم أخلها المدير إلى جهة من مكتبه ليطلعها على سجل الفندق وهو يقول لها: بالطبع قد تزل في هذا الفندق ضيوف مشاهير... سأكون شاكراً لك لو تفضلت والتقي نظرة على سجلنا اللهي.

ترددت ايزوبيل، لكن البوس لم يهد حتى الآن فلمانيا لا تلقي نظرة... ابتسمت ووافتني. طلب إليها الجلوس في مكتبه وأمر لها بفتحان من القهوة وأخذ بطيء أمامها مجموعة من الصفحات الجلدية التي راحت ايزوبيل تنظر إليها بإعجاب. شعرت أخيراً بالملل فقلبت منه أن يطلعها على السجل الحديث أي متذكرة من سنوات.

ظلت عيناهما مغمضتين وحاولت عيناً أن تجد حللاً لهذا التمرين والالتباس الذي اكتشفته. فهي جاءت إلى المقرب، وكانت على علاقة مع شخص، ادموند من كانت تحب وليس أخوه، وادموند ما زال على قيد الحياة.

شقق نفسها للتحت عينيها ونظرت إلى الصفحة من جديد وحاولت استعادة رياضة جانبيها وتركيز تفكيرها. بعد وقت قليل عاد الهدوء إليها، فنظرت إلى خاتم البوت الذي يلمع في أصبعها ثم أغلقت السجل. إنه الماضي، ويجب أن يظل في الماضي. مهما حصل فقد انتهى ونلاشت. ادموند دي لاهاي كان طيباً وخيالاً، وهو لا يعني لها شيئاً. إذا كان جياني لا ترغب في رؤيته أو الاتصال به في مطلق الأحوال لأنها لم تتصل به أبداً، وإذا عرف البوت ذلك من دون شك، فلا بد أنه وجد أن من الأفضل لها عدم معرفة ذلك وهو على صواب.

وقت وشعرت بثقة جديدة. لن تقول له شيئاً... ستنسى كلّاً أن ذلك حدث وعشني وفتّاً لغزيرتها وحدسها كما فعلت الأسبوع الماضي، ستذكر فقط في الماضي والمستقبل وستظل سعيدة مع الرجل الذي تحبه. أعادت السجل بسرعة إلى مكانه على الرف مع السجلات الأخرى، وخرجت من الفرقة وهي تذكر أن ما حدث معها الآن هو نهاية الماضي للفقد. خرجت من الفندق بخطى جديدة ثانية وانتظرت تحت أشعة الشمس الدافئة، ومن هناك سمعت صوت المؤذن يدعو الناس إلى الصلاة فشعرت بالهدوء والسلام. بعد خمس دقائق عاد البوت فتحت إليه لستبله.

- هل أنت حزينة لأننا راحل؟
- أجل.

- لا تحزني! سمعود مرة أخرى ذات يوم.
ابسم البوت لها، فشعرت بالفرح والرضا

لم تفهم ماذا يعني حتى أصبحا خارجاً ففتح باب سيارة W.B.M.

المرداء: إليك هذا.

وسحب شيئاً كان موضوعاً بعنابة في مقعد السيارة الخلفي.. نظرت إليه

ابزوبل وهي لا تصدق... إنه معطف من الفراء الثمين الناعم وهو أجمل

معطف رأته في حياتها. ابسم البوت عندما شاهد تعبير وجهها. قال لها

حلقت الطائرة في الجو وراحت تبل من وقت إلى آخر... كانت ابزوبل نظر من الثانية إلى القحول المحرقة وإلى المستعمرات الرمادية.

- إذا كنت تستدين المودة فها أنت الآن في سماء إنكلترا.

- أجل أتفنى ذلك.

- هنا نحن الآآن في إنكلترا وفي الشاه من جديد. سيدوب الثلج قريباً. في هذا الوقت من بعد مباشرة إلى بيربوروي وهذا المساء بعد العشاء سجلت أمام للدفأة ونشعل بعض عبادان الصندل التي أخذت على شرائها لذا ذكر أنساباً برازيل وعندئذ ستتكلم ونضع الخطط.

حدقت إليه ابزوبل وسألته: «ويمد ذلك؟»؟

- لا يهم ما سيحدث بعد ذلك، ثمة أشياء لا تغير.

نظرت إليه ابزوبل بفضول لأنها شعرت بيبرة غريبة في صوته.

- هل تعتقد ذلك البوت؟

أجابها وهو ينظر إليها بقار: «أجل اعتقاد ذلك، أؤمن بذلك لكلياً». نظر إلى بعيد كان هذا الوضع طال كثيراً وهو يأسف على مهارونه في ذلك.

ابتسمت ابزوبل وهي تفكّر في الطريقة الغريبة الغامضة التي يعبر فيها هذا الرجل الغريب المتخفّظ عن مشاعره.

أحبه، أحبه كثيراً. يجب أن أخبره ماذا يعني لي وكيف غير حيالي.

- مستعدّ الطائرة بعد قليل.

عادت ابزوبل إلى اللقمند حيث تركت معطفها فتحتها البوت وقال لها بضموج: «التركيبة، لن نحتاجيه بعد الآن».

لم تفهم ماذا يعني حتى أصبحا خارجاً ففتح باب سيارة W.B.M.

المرداء: إليك هذا.

وسحب شيئاً كان موضوعاً بعنابة في مقعد السيارة الخلفي.. نظرت إليه

ابزوبل وهي لا تصدق... إنه معطف من الفراء الثمين الناعم وهو أجمل

معطف رأته في حياتها. ابسم البوت عندما شاهد تعبير وجهها. قال لها

بصوت هادئ: هل أعجبك؟ إنه من جلد السور ومن الفروض أن يشعرك بالذلة».

- البوت، لا تكن سخيفاً، لا أقدر... .

قطعاًها بسرعة وأجابها: لا أحب مجادلتك هنا، والآن ضعي عليك قبل أن تجحدي. أوصي بشرائه من المقرب. ربما كان مكانه غير مناسب. لبست المطف الذي بدا مناسباً جداً وكانه قُطُّل خصيصاً لها. رفعت نظرها إليه وهي تضحك بإثارة وسخرية: أشعر من عني حتى وسط قدمي التي أرتدى أكثر الماء الماء نعومة ودفناً. استعرضت ايزوويل قليلاً وهي معجبة كثراً به، أما البوت فراح يراقبها بهدوء.

- حسناً سبق أن قلت لك إنك تشبهين أميرة روسية، ثم تذكرت أنه من الأفضل أن تكملي الصورة. هذا كل شيء. كان جوابه عفواً ولكنها رأت شعوراً غامضاً في عينيه. فشعرت فجأة بالدماء الحارقة تجري في عروقها.

قال: هيا بنا. أدخل إلى السيارة ولا تنظر إلى مكاننا.

وضعها في المقعد الأمامي ثم جلس إلى جانبها وراء المقود وشنل السيارة: «والآن فلنذهب يا حبيبي». راح البوت يقود بسرعة وخبرة، مركلزاً اتساعه على القيادة. جلس ايزوويل بهدوء وصمت على المقعد. كان الضوء شاحباً. أسلحت ايزوويل ظهرها إلى المقعد فالستعمات بدلت الآن إلى البيضاء. أغضبت عينيها وأاحت للمرة الأولى منذ خطت الطازرة بما بشعور غريب من المزمن.

ربما هي ملءة وجية.. تقلبات هندما شعرت بالسيارة تلف على الحصى، وعندما سمعت البوت يطلق صرخة تعجب خفيفة. فتحت عينيها ونظرت في الظلام إلى الخارج. كانوا قد وصلوا إلى برجوري. أضاء البوت أضواء السيارة، شاهدت هناك تحت الضوء سيارة أخرى. راح ينظر إلى السيارة وهو متوجه الرجه. إنها سيارة فخمة وحدبة جداً، لونها ذهبي

ـ ملائكة..

ـ هنالك ضيوف؟

ـ لا أعرف هذه السيارة.

قالها بصوت حاد وبدا متزعجاً. نظر إلى السيارة ثم هز كփه: ربما هناك شخص يريد مقابلة الآنسة سانت ليوبولين.

ترجلت ايزوويل حل مهل من سيارة B.M.W. ومشت نحو السلام ولكنها في الطريق الفت نظرها على السيارة فرأت على مقعدها المخلفي مجموعة من الأشياء المختلفة. تجمهم وجهها، أما البوت فعشى حول السيارة وكأنه يريد تحطيمها ثم قال: بحق الله إنها معدات تصوير.

شعرت ايزوويل بالدم يتجمد في عروقها وراحت الأذكار تتقاذف في رأسها، كان البوت يرافق السيارة باهتمام عندما ظهر ضوء المدخل الذي أضاء الساحة ثم افتحت الباب وظهرت السيدة ديرينغ في أعلى الدرج. .. بدا الانزعاج واضحاً عليها.. نظرت إلى البوت بارتباك وقلق وهي ترى أطراف ثوبها بعصبية.

ـ اووه.. هذا أنت سيد البوت. سمعت صوت السيارة، وكت بالانتظار كما.. .

نظر إليها البوت بغضب وسألها: من تخص هذه السيارة بحق الله؟ مهما يكن، أريد منك أن تتخلصي منه. أخبرتك على الهاتف أنتي والآنسة لاغير قمنا برحلة طويلة وأتنا متعذبان لهذا آخر ما تفكري فيه هو استقبال الناس.

ـ أعرف ذلك سيد البوت، أعرف ذلك جيداً.

ـ وددت ذلك بسرعة وتقدمت بعصبية من طرف السلام.

ـ أخبرت السيد بذلك ولكنه لم يرد الاستماع إلي ولم أتمكن من التخلص منه. قال إنه سيقى طوال الليل في السيارة إذا اضططر وأخبرأ تكررت في دعوه إلى الداخل. .. إنه صديق الآنسة لاغير.

ـ ساد الصمت قليلاً وأخذت ايزوويل بمام بارد ينسكب على ظهرها.

تفهمن ذلك؟

صعد السلام بسرعة ثم سمعت الباب في الطابق العلوي ينفل بقوة.
ادارت السيدة ديرنخ وجهها نحو ايزوبيل ونظرت إليها بفضول
والاهتمام:

- أمل ألا أكون قد تسبت بأية مشكلة ولكن السيد نوماس ألح على
كتيراً وقال إنه يعرفك وإنه جاء خصيصاً لبراك.. حسناً أرد التيب
بمشهد مأسوي.

ضفت ايزوبيل على يدها بطف وقالت لها: «حسناً لا يأس سيد
ديرنخ، ليست غلطتك. سأتكلم إليه».

عندما وصلت إلى أمام غرفة الانتظار ارتبت قبلاً وأاضطررت ثم
ثالثت أهصابها وفتحت الباب. كانت السافر منشدة والأثوار معاهدة
والثار مشتعلة.. أمام المدفأة جلس شاب كان يشخص الأعراض الموجودة
على الطاولة أمامه. إنه مدبد القامة، يرتدي سروالاً من الجينز الأزرق وسترة
جلدية وقميص أزرق، وكان يمسك سيجارة في فمه. عندما دخلت وقف
والقى عليها نظرة فاحصة وقحة ثم استدار ورمي عقب السيجارة في المدفأة:
حسناً حسناً، لا شك أنك الشقيقة ايزوبيل.. النقيا أخيراً. أنا...

أعرف من أنت.

التيت مت قليلاً وهي تتجاهل يده الممددة لصافحتها.

- ولكن ما لا أنهى أبداً لماذا أنت هنا؟

- أنت لا تكررين؟

لهم وجهه ومد يده فجأة إلى جيه. شعرت بعينه تتحسسها من
رأسها حتى أخص قدميها وهو يُراقب بإعجاب للعنف الذي ترتببه. ثم
رفع حاجبيه بسخرية وقال لها: هذا مالم أنتظركم.. لست كما وصفتك
لي يوماً. في يومكم كما تعلمون فتاة كاذبة ولكنني شعرت بأنها تغار منك والآن
أدرك السبب بالطبع.

أخرج من جيه سيجارة وأشعلها.

نظرت إليها مدبرة المنزل بعصبية، أما وجه البوت فتجهم..
- صديق للآنسة لا تبر؟ هذا مستحيل، أين هو بحق الله؟ سأخلص
منه.

بدأ يصعد السلام. ثم توقف فجأة وأدار وجهه نحو ايزوبيل:

- أعتقد أنك لم تذهب أي صديق إلى منزلِي،
امتنع وجه ايزوبيل واجابه وهي ملتممة: بالطبع لم أدع أحداً.
ولكن...

ترددت فتجهم وجه البوت: حسناً
حولت نظرها إلى السيد ديرنخ: هل أعطاك اسمه؟

- أجل، يدعى ليام نوماس، وهو يتذكر قدوتك براك آنسة لا تبر.
شعرت ايزوبيل بصدمة هزت كيابها وأحسست بالدم ينبعج من وجهها.
كان البوت يراقبها عن كثب.

- هل تعرفون هذا الرجل؟
- أجل، لا.. حسناً، ليس بالضبط.. أنا... أعرف من هو.
رددت ايزوبيل هذه الكلمات وهي ملتممة ومرتبكة.

- ماذا يفعل هنا إذن بحق الله؟
رفعت ايزوبيل يدها فارتدى عنها بسرعة: أرجوك البوت. كل شيء «هل
ما يرام.. أعرف ماذا يريد، وماذا يريد روبيتي.. إها... إها.. إها قضية
شخصية. أنا آسفة، من الواضح أنهم أطهروا العنوان في منزل زوج أمي،
تركوا لهم العنوان بسبب يومي. أرجوك البوت، دعني أتفقد به دقائق
قبلة، ثم أعدك أن يلعب بعد ذلك وهنلت بمكتبة أنا تساء.

ارتد البوت خطوة إلى الوراء وتفرس بوجهها بعينين باردين خاصتين لم
تر شيئاً لهما من قبل. كان وجهه شاحباً جداً.. أحسست أنه متوتر جداً لذا
خافت أن يدخل إلى المنزل وواجه هذا الرجل ينشه.
 أجابها فجأة بعنف وغضب: حسناً، سأتركك بمفردك معه، لكن
خلصي منه فلان لم يخرج من المنزل بعد عشر دقائق ورمي خارجاً بغضبي.. هل

- أحب هذا المطاف. غالباً ما كانت بوبى تقول لي إن لك وجه سدريليا.

راح ينظر نارة إلى المطاف وطوراً إلى الفرقة ثم قال لها: «هل أقدر أن أعرف إذا كانت سدريليا قد التفت بفارس أحالمها؟». نظرت إليه أيزوبيل بخسب: «يمكنك أن تفكّر كما شاء. هذا ليس متزلي كما تعرف.. ولا يحقّ لك أبداً أن تأتي إلى هنا، أريد فقط أن أعرف لماذا فعلت ذلك وبعدئذ أرحل».

ابسم إبتسامة صفراء وأجايا بهمك: «أرحل عندما أشعر أنني مستعد».

استدار يده نحو المدفأة وجلس على الكرسي أمام النار ثم وضع قدميه فوق بعضهما كأنه مصمم على البقاء.

* * *

نظرت إليه أيزوبيل بذعر واستعاض. إنه رجل كريء... فربى كيف استطاعت بوبى الزواج بهذا الرجل؟ تراجعت إلى الوراء وقالت له بحده: أنت أدرك لماذا أتيت، لقد جئت من أجل المال، أليس كذلك؟ ابسم بسخرية وأجايا: حزرت بسرعة.

نظر إلى العلبة الجلدية التي كانت موجودة على الأرض إلى جانبه، ثم تناول وراح يشرح لها بالتفصيل: ظلت بوبى تراوغ وتكلب على متى مدة طوبلة الواقع أنه صعب على أن تتعقب آثار شقيقك ولكنني توصلت أخيراً للاتصال بها هاتفيًا إلى جزر الهند الغربية، وقد أجبتني أنها لن تستطيع أن تدفع ملال واترك ستدفين بدلاً منها، فكان أن انتظرت أثم اتصلت بها أمس مرة ثانية وماذا وجدت؟ تركت لي رسالة «كل شيء على ما يرام... شقيقتي ستكتفى بالموضوع، ويمكنك الوثق بها». لهذا السبب جئت إلى هنا، لأنقوم بالمقاييسة هذا كل شيء». وأنا مسرور لأنّه مكان جميل بالحقيقة... قاطعت أيزوبيل «حسناً لا أريد مناقشة هذا الموضوع بعد الآن، فالرسالة صححة سأحصل على المال».

وقف فجأة هل تندميه وتناول حلبة المستبدات: «لا أريد أن آخذ هذا للبلع بالقوة، والآن أعطيني الظرف الحجري لأعطيك بال مقابل هذه العلبة وأرحل».

نظرت أيزوبيل بعيداً، وأجايا: المسألة غير سهلة كما تتصور... ندببت فرضاً من المصرف، لكنه ليس معي الآن.

قال البيت بصوت بارد: لم أسمع حديثكما يكامله ولكنني سمعت ما في الكتابة وأنا أرى أن هناك ابتزازاً وهميّاً. هل هذا يشرح وجودك غير للنظر في منزلي؟

نفاجات إيزوبيل يكلمه، لكن ليام لم يشعر بأي إخراج فردد: ابتزازاً إنها كلمة قبيحة... لا، ليس هناك شيء من هذا القبيل.

توقف ونظر إلى وجه إيزوبيل الشاحب: إنها مسألة عمل فقط هي شئري وأنا أبيع، إذن مجرد عمل. بعد صمت وجيّز آجا به البيت: أنا أعتقد ربما أساءت الفهم، في هذه الحالة لا أظنك تعرّض إن اتصلت بالشرطة.

أسك جهاز الهاتف وراح يطلب الرقم ببرودة وقوسية. نظرت إيزوبيل إلى ليام توماس لحظة ثم دنت من البيت وصرخت: «أرجوك لا تطلب الشرطة. ليس ذلك ضروريًا».

نظر إليها البيت ببرودة وأعاد جهاز الهاتف إلى مكانه. كان وجهه ثابتاً وعلامات الأسى والتقطّب في عينيه.

ارتفع نحو الصورة وقال له بهدوء: إنما أن العملية تجري في منزلي وما أن هبّارتكم لم ترق للأمسة لا تغير التي هي ضيفي، فهل تخبرني ماذا تبيع بالحقيقة وماذا تشتري هي؟

حاوّلت إيزوبيل أن تخفّي تعبها.

قالت: «أرجوك، لا ضرورة لذلك... إذا تركتني لحظة أخرى فسأحلّ المشكلة. إنها مسألة شخصية كما قلت لك».

قاطعها توماس بصوت بارد وهو ينظر إلى البيت: صور، صور سلية أنا أبيعها وهي تشرّبها.

شعرت إيزوبيل بأنفاسها تتقطع خاصة عندما رأت حاجي البيت يتنوّسان بتجهم وعلامات الازدراه وعدم التصديق في عينيه.

تابع ليام: إنها صور قديمة، صور كما لاحظت لا تحب شيئاً من

ترتها أو يراها أي شخص آخر، لهذا السبب أنا أبيعها وهي تشرّبها. علـ

وما أشد ما كاتت ملعونة عندما رأته يجلس من جديد على الكرسي: حسناً، ماذا سنفعل الآن؟ الانتظار؟

ـ كلا بالتأكيد... لا يمكنكم الانتظار هنا، أخبرتك أنني تبرّرت فرضاً من المصرف الذي في بلادي. سأتوجه إليه بقارب الاثنين وعندئذ سأعطيك المبلغ... .

ـ أسمعي يا حلوي، ها قد مر أسبوع على الإنذار الذي أرسّته لشقيقك وقد يبدأ صيري ينفذ. إن أردت الصور فعليك أن توقّعي الآن والا عدت إلى لندن ونشرت هذه الصور على صفحات الجرائد صباح يوم الاثنين... .

ـ أرجو منك ألا تفعل ذلك. أهلك بشرقي أن أعطيك لئال بقارب الاثنين، أنا لا أستطيع أن أفهمك... . لقد كانت بوري زوجتك.

وقف ودعا منها وراح يلمس الفراء بثاقمه. ثم نظر إليها بوحشة: أسمعي لا تفهي أسامي وأنت تردد بين ثروة من الفراء ثم تتكلّمين عن قرض من المصرف لن تحصل عليه قبل بقارب الاثنين. ماذا تعتقديني؟ رجلًا أبله؟ إن لم يكن ممكناً فأعطي المخطف، وعندئذ أعطيك الصور وننهي القضية بسلام. هل أنت موافقة؟

ـ أعتقد أن ذلك متحجّل.

سمعت صوتاً بارداً صادراً مباشرة من خلفها، ثم سمعت صوت الباب يغلق قبل أن يدخلن البيت منها.

ساد الصمت... ثم شاهدت ردة فعل ليام توماس الذي انفرجت عيناه وتراجع إلى الوراء. كان أقصر قامة من البيت ثم شاهدت إيزوبيل اتزعاً في عينيه ولكن سرعان ما تلاشى ذلك الارتفاع فابتسم.

ما هي إلا لحظة حتى كان البيت قريباً... رفعت إيزوبيل نظرها إلى فإذا عيناه قاتلان ووجهه شاحب.

مد يديه إلى جانبها فقالت بيدها وبين نفسها: «يا لها من دخل؟ وماذا سمع؟».

كل إن لم ترد المقابلة فهذا عائد لها وإن كانت لامانع فأسميهما في مكان آخر.

بعد لحظات من الصمت كانت إيزوبيل تنظر خلالها إلى الرجلين، حلت ماناً يظناليوت الآن.. رأت تعابير الكرامة في عينيه، فهو يعتقد أن الصور صورها.

وجهاليوت كلامه بقسوة ووقار إلى المصور وقال له: أنت تقوم بصفقة، هل أستطيع أن أعرف ما هو الثمن الذي تريده؟
ابن المصور وأجابه:

- نعم تحديده منذ أسبوع بالنسبة لعدد الأفلام، خمسة أفلام كل فيلم مقابل في استراليا، هنا يعني عشرة آلاف استراليي،

حدقياليوت إلى إيزوبيل بهذه، لم يكن في وجهه أي تعبير ولكن نظراته كانت صاعقة ومدمرة.

ارنداليوت نحو المصور ومد يده إلى أحد جيوبه الداخلية ليسحب دفتر شبكات وقاماً وقال له: في هذه الحالة ساعطيك المال الآن.

انحنى ليحرر الشيك. في هذا الوقت كانت إيزوبيل واقفة تنظر إليه جاءه من المؤلف. وما هي إلا لحظة حتى حرر اليوت الشك وأعطاه إياه، وقال له:

- إنه سحوب لأمرك من حسلي ومن مصرفي الخاص.. أؤكد أنه متزوج.

يدا على وجه المصور الشك فرفع رأسه يطأه ونقل أنظاره من إيزوبيل إلى اليوت ثم قال له: ربما رُضى من المصرف؟ كيف لي أن أعرف وأنأك أنك لن تذهب بعد ذهابي؟

أجاباليوت: كيف لي أن أعرف أن ليس بمحوزتك صور أخرى، أنا متاكد أن لديك صوراً أخرى وستحاول لاحقاً القيام بصفقة ثانية.. لذلك لا بد من تبادل الثقة.. أريدك أن تفهم أني سأدق هنكل بخشى إن حاولت بعد الآن وفي أي وقت إزعاج الآلة لاتغير أو إذا رأيت وجهك في أي مكان

قرب..
رابع ليام نوماس إلى الوراء وأجابه: هاي! ترق، ترق.. لـت
جئونا، أولاً ليس هناك صور أخرى ولو كان هناك صور فلن أحاول ذلك
مرة أخرى، خاصة معك.. أنا لا أتوم بعملية كافية، أفهم لماذا أنت قلق
جدًا للحصول عليها.

ثم نظر إلى إيزوبيل وهو يغمز: أنت لا تريدين بعد الآن فضيحة
ترجعك، أنا أكيد من ذلك خاصة مع وجود شخص يحبك بهذه
الطريقة..

قال لهاليوت وهو يمد يده: «أعطيك الصور من فضلك»،
انحنى ليام وأمسك حلبة المستندات وفتحها بهذه، وأخرج من داخلها
ستة أفلام مقطعة رفيعة، وضعها ليام على الطاولة، وأخذ بعثتها واحد،
التيين، ثلاثة.. وهو يتظر بروقة إلى اليوت.

ما أشد ما كانت دهشة إيزوبيل وذعرها عندما أخرج آخر فيلم من عليه
وراح يعرضه أمام الشووه على اليوت لبراء وهو يقول: كما ترى لقد تمددت
أن يظل الوجه غير واضح لكنني عرف فالصورة تصبح واضحة بعد
الظهور.

تقدماليوت نحوه، وصرخ بوجهه في غضب:
- أخرج الآن؟ أخرج، أو سوف...
وضرب بقضمه على الطاولة بعنف.

لم يكن بحاجة للمتابعة فقد كان الرجل قد أسرع وأصبح قرب الباب.
توقف فجأة وحاول التكلم ولكن أعصابه خاتمة، فأغلق الباب وخرج بسرعة
ثم راح يركض في الممر حتى وصل إلى سيارته وانطلق.

كانت إيزوبييل ترتجف من رأسها حتى أخص قدميها، فارتدى إليه
وصرخت باسترخان: «اليوت، أرجوك، اسمعني، ليست للسنة كما
تلمن».

أشاح بوجهه عنها، ثم التحن وأخذ يلتفت الصور واحدة بعد الأخرى

مجهول لا نهاية له. لم تلحظ أن البوت قد أقتل الباب. نظرت إليه والدمع في عينيهما:

- دعني لشرح لك. أرجو منك أن تسمع لي، أنت... آها رأسي يزقلي.

تجاهل البوت كلامها. وعندما لاحظت أن الفرقة تعود أمامها إلى ما كانت عليه من قبل وبعدها حاولت تركيز انتباها وأن البوت يذير وجهها.

تقدم خطوة نحوها فتراجمت أيزوبيل إلى الوراء وهي خائفة باستة،

ما هي إلا لحظة حتى أصبح قربها والشرر يتصاعد من عينيه.

قال لها بصوت صارم خشن: «انتظري إلى»،
فصرخت وتحولت وجهها عنه.

- قلت لك انتظري إلى.

أدبر لها وجهها بالقوة ففتحت أيزوبيل عينيها للغزوتين بدمع الخوف فرأت وجهه: كان مكتفراً عابساً وشاهدت الألم والحزن في عينيه.
صرخت.

سحب نفساً عميقاً وصرخ بوجهها: «والآن، ماذا تقولين؟

نظرت إليه بشحوب:

- أقول أقول؟ لا أدرى... ماذا على أن أقول؟

أجابها وشققاه ترجيكان: قولي بيساطة: أحبك. يجب أن تتقرب. هذا كل شيء.

- لن أقول... لا أريد... دعني أذهب.

كانت الدماء تجري في أنتباها المظلمة كالملطقة وفي لحظات قليلة شعرت أن ما قدمته من إرادتها ومنظتها قد عاد إليها وجعل جسمها قوية ومقاومةً ولكن أيام حاضرها كبيرة بيهمها. ثبّثت به يباس... ثم شعرت بتوترها ينلاشى.

- أجل، أجل، أحبك، ويجب أن تقرب.

وبداء ترجيكان. ظلت أيزوبيل تراقبه وقد تملّكتها الخوف والرعب والختفي صوبيها. أخيراً استجمعت فواها وقالت له: البوت، هذه الصور ليست صوري... أقسم لك أنها ليست صوري.

بينما كانت تكلم راح البوت يرمي كل تلك الأذالم في وسط النار، فاشتعلت بقوّة واختفت داخل السنة النار.

أدبر وجهه إليها والشرر يتصاعد من عينيه. خافت أيزوبيل وتراجعت لا شعورياً إلى الوراء، فقال لها: لا تتكلّي، لا تتكلّي، لا تتكلّي على أبداً بعد الآن. لن أصدقك أبداً، هل تفهميني؟ أبداً. كلبت بشأن المال وكلبت بشأن فقدان الذاكرة، كنتِ كاذبة منذ خمس سنوات ولم تتغيري.

نظرت إليه بعينين ذاتين والملوّق بعلاقتها والغموض يسيطر على ذكرها. وراحت تسأله: متى خمس سنوات؟ ولكن أنت... .

أسكتها ومزها بقوّة وصرخ: كنتِ في الجحيم بسببك ليس مرة بل مرتين، لأنني كنت مجنوناً وغبياً... وأنت بوجهك الجميل البريء تعرفين كيف توقعين الرجل في شياكه. لا تحاولي الإدعاء بأنك لا تفهمين ماذا أقول! لا تدعني أشك لا تذكررين.

اجابت أيزوبيل بصرخة ياس: «أتذكر ماذا؟».

أخذ الصداع يضرب رأسها من جديد، وأحيطت بكل ثنايا جسمها نصرخ من الألم. فتهرّب البوت الخيف ونظراته المحتودة وكلماته الغامضة تضاعف صداعها.

- لا تذكري؟ لا تستطعين أن تذكري؟ لا تربدين أن تذكري؟ حسناً سأجعلك تذكري ذلك بالقيقة. والآن تعال معي.

سجّها من غرفة الاستقبال ثم اتناهيا إلى الطايب الملوّي وفتح باب غرفتها بقوّة ودفعها أمامه. أطلقت أيزوبيل صرخة من الألم لأنها وقعت على دكّيتها... راح الصداع يتضاعف حتى لم تعد قادرة على رؤية ما أمامها. لم تعد غرفتها اليفة بل شعرت بجدارها تدور من حولها وتأخذها إلى عالم

نفكيرها.

أطلقت صرخة باسته وضفت بيدها على جبينها، فاستدار نحوها.

قال لها: «حسناً، ستحاول طريقة أخرى ما دمت تصررين على متابعة هذه لللهفة من دون أن أدرى ما هو هدفك. لا أتدرك أنك لا تستطاعين أن تسامعي نفسك الآن؟»

ترجع إلى الوراء، وصرخ بوجهها يقوّة:

- أخبريني اسمك، هلمي، أخبريني.

رفعت إيزوبيل شعرها عن كتفها ووجهها وتالت له: لا أنهم ماذا

تعني: إيزوبيل لغيرها، سانت ايوبين. ماذا تزبدني أن أقول؟

- لا هذا ولا ذاك وبالأحسن الاسم الأخير.

ثم صرخ:

- أنت إيزوبيل دي لاهاي كما تدركين ذلك جيداً، والخاتم الذي تضعيه الآن في إصبعك هو خاتم زفافك الذي تركته عندما هربت والذى وضعته في إصبعك مرة ثانية لأنّي... ساعدتني يا الله، لأنّي صدقتك... صدقت أكاذيبك. وذكرت حبيتك أنه سيساعدك لسترجعي ذاكرتك التي تذهبين أنك فقدتها.

قال ذلك وهو يحاول أن يضحك بسخرية: أوه، بالطبع افكرة أنتى ستمعدونى أوقات أخرى، عندما وأيّشنى، عندما عدت بك إلى المقرب، أوه أجيال كنتُ في غابة البلاحة والجلون فصدقتك وهشّت في الأمل من أجل كل ذلك وكانت أناً بصمت وصبر لأنّي ظلت أنك لم تستعديها.

تطاير الشر من عينيه فجأة وتابع: «الكن ذلك لن يحدث، هل سيفعل ذلك إيزوبيل؟ لأنك لم تفندني ذاكرتك فقط. كنت تتلين طوال الوقت، في كل ساعة، وفي كل دقيقة. لعنة الله عليك! في استطاعتي أن أشكك من أجل ذلك».

ثم عاد سائلاً ببرودة: «أخبريني فقط شيئاً واحداً، هل ستمعلمين ذلك؟ لن نجري شيئاً. أخبريني لماذا كلّت؟ الآنك وجدى نفسك فجأة معدمة

ترددت أصداء هذه الكلمات في كل جزء منها..

ظلّ الألم هناك في رأسها لكنه أصبح خفيفاً واحتفى كذلك شعورها بالأسى والحزن.

بعد ذلك نظرت إليه.. إلى تبكي العينين القاسيتين اللتين حلمت بهما لمدة طويلة.. إلى تبكي العينين الرماديتين اللتين تعرفان تماماً لرباطهما.

شعرت بجدار ما يتدمر في رأسها.

* * *

أجل، إنه هو.. نعم إنه هو.. مع أنه يجب ألا يكون هو..

في هذه اللحظة التي تطبق على قلبها بالذعر والخوف، قال لها بصوت فوري:

ـ الآن، لن تستطعي أن تتكلمي. أخبريني بحق الله. هل تعرفين من أنا؟

كانت إيزوبيل تنظر إليه، فازداد انتباها وتكلمت وهي تعلم تماماً حقيقة ما تقول، واحتفى الألم من ذكرها أخيراً. فقالت له: أنت بوليوس، نظر إليها ببرودة وقال لها: هناك تقدم آخر أو... .

رفعت رأسها، وقالت: «البوتريشارد بوليوس دي لاهاي».

كان صوتها ضيقاً غير مسموع تقريراً وكانت تردد ذلك كطفل يراجع أمثلته استظهاراً من دون أن يفهمها.

فقال لها وهو يضحك: أفضل، وأفضل و... .

أطلقت صرخة من اليأس وقاطعته: هذا مستحيل، لا بدّ أنّي مريضة، كانت ميت. بوليوس مات، مات منذ خمس سنوات. وقد أحببته.

قاطعها بحدة: كافية، أنت تكلمين في كلّنا الحالين. لم أمت، وقد برهنت لك ذلك بوضوح. لم تصدقني قط أنتي مت... .

ثم تابع بغضب: «وأنت بالتأكيد لم تحيبني آنذاك، والآن أيضاً».

ساد صمت رهيب. نظرت خلاة إيزوبيل إليه من الخلف، إلى الخط القوي القاسي في هنقه. شعرت بالصداع يعود إلى رأسها بقوة ويعي

وهررت أي ذري؟ أم لعلك قمت بذلك بداعي الانتقام؟».

توقف لحظة عن الكلام وحول نظره إلى البعيد.. كانت عيناه تشعلاً بالغضب والكراء، أاحت رأسها ولست الخاتم في إصبعها، هناك حرفان مشابيان ومتشابحان... لريحفت وهي تحاول إيجاز تكرها على العمل والتركيز.

رددت بصوت خافت متقطع: «أحبك.. أحيي.. أعتقد أنني أحيي عن حق.. أنت...».

ثم أطلقت تهدأً خافقاً.

- آآآ أرجوك.. صدقني.. لا أستطيع أن أفكـر.. لا أدرـي.. لا أذـكر.. رأـيـي يـولـيـ كـثـيرـاً.

أجابـاـ بصـوتـ قـاسـ: «إـذـنـ سـائـعـشـ ذـاكـرـكـ وأـسـاعـدـكـ ماـ دـمـتـ مـعـرـةـ علىـ مواـصـلـةـ هـذـهـ المـأسـاةـ».

وقفـ وـمشـ نحوـ طـاـولةـ مـوجـودـةـ فـيـ آخرـ الفـرـقةـ؛ هـذـهـ وـبـيـةـ زـواـجـاـ، نـشـتـ هـنـهـ لـأـرـيكـ إـيـاـهـ هـذـهـ اللـيـلـةـ قـبـلـ أـنـ يـعـدـ كـلـ هـذـكـ، لـأـنـيـ كـنـتـ أـصـدـكـ وـلـأـنـهـ لـمـ يـعـدـ باـسـطـاعـتـيـ أـنـ أـدـعـيـ أـنـيـ غـرـبـ عـنـكـ أـكـثـرـ مـنـ ذـكـ.

جلـبـ الـورـقةـ وـفـتحـاـ أـمـامـ الضـوءـ وـأـضـافـ: «تـزـوـجـتـ مـنـ فـيـ الثـالـثـ، وـالـثـيـرـينـ مـنـ شـهـرـ كـانـونـ الـأـولـ مـنـ خـسـ سـوـاتـ فـيـ الـفـنـصـلـيـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ فـيـ مـرـاـكـشـ. تـغـيـرـ عـنـ الـاحـتـفالـ. هـذـهـ هـيـ النـسـخـ الـوـحـيـدةـ الـبـاقـيـةـ، أـمـاـ النـسـخـ الـأـخـرـىـ فـحـرـقـتـ بـنـاءـ عـلـىـ طـلـبـيـ».

رفـعـتـ اـيـزـوـبـيلـ رـأـسـهاـ وـنـظـرـتـ إـلـيـهـ.

قالـ: «ذـهـبـتـ إـلـىـ فـنـدقـ بـالـأـسـ، حـيـثـ أـمـضـاـ شـهـرـ العـسلـ فـيـ نـفـسـ الـفـرـقةـ الـتـيـ نـزـلـتـ فـيـهـاـ فـيـ الـلـيـلـةـ الـثـالـثـةـ».

توقفـ وـقـدـ زـادـ اـسـوـادـ هـيـيـهـ: «فـكـرـتـ، حـسـأـ لـاـ يـمـ فـيـ مـاـ فـكـرـتـ. سـاخـرـكـ مـاـ أـهـرـفـ، كـانـ ذـكـ بـالـسـبـبـ فـيـ كـالـلـوـرـ بـعـدـ الـظـلـامـ. كـنـتـ سـيـداـ جـداـ أـكـثـرـ مـنـ أـيـ وـقـتـ مـضـىـ، اـخـرـتـاـ هـذـهـ الـخـاتـمـ مـعـاـ فـالـفـرـقـانـ الـحـفـورـانـ دـاخـلـهـ كـانـ عـلـامـتـاـ الـخـاصـةـ».

هزـ رـأـسـهـ وـشـرـعـ بـالـخـزـنـ وـالـأـسـ فـيـ صـوـتـهـ ثـمـ أـضـافـ: «فـيـ اللـةـ الـاجـنبـيةـ كـلـمـةـ يـولـيوـسـ تـلـفـظـ بـاـ. أـعـبـتـاـ كـثـيرـاـ ذـكـ الصـدـقةـ، لـذـكـ قـرـرـنـاـ أـنـ تـغـفـرـ دـاخـلـ الـخـاتـمـ أـولـ حـرـفـ مـنـ إـسـبـاـنـاـ مـشـابـهـينـ، شـيـئـاـ خـاصـاـ.. وـكـنـتـ وـحـدـهـ مـنـ تـنـادـيـتـيـ يـولـيوـسـ. وـكـانـ ذـكـ الـأـسـ الـذـيـ أـنـضـلـهـ، فـكـلـ أـفـرـادـ الـعـائـلـةـ كـاتـبـاـ يـدـعـونـيـ الـبـيـوتـ إـلـاـ عـيـ».

ابـتـمـ: «أـبـتـ يـارـعـةـ فـيـ التـمـثـيلـ. هـلـ تـعـرـفـنـ؟ يـجـبـ أـعـطـيـكـ شـاهـدـةـ فـيـ ذـكـ. عـنـدـمـاـ دـخـلـتـ إـلـىـ ذـكـ الـفـرـقةـ بـعـدـ مـوـتـ زـوـجـ أـمـكـ وـقـنـتـ الـيـدـ شـوـ إـلـىـ بـيـظـورـ مـنـ جـانـبـكـ أـيـ رـدـ فعلـ».

توقفـ لـحظـةـ ثـمـ أـرـدـفـ: «أـبـدـلـ اـسـمـ عـائـلـتـيـ دـيـ لـاهـيـ بـاسـ رـيـشـارـدـسـونـ بـعـدـ خـرـوبـيـ منـ السـجـنـ أـوـلـاـ لـأـنـ ذـكـ أـسـهـلـ بـالـنـبـةـ فـيـ مـهـنـيـاـ وـثـانـيـاـ لـأـهـرـ بـمـنـ مـاضـيـ الـبـاـسـ. عـرـفـتـ عـنـدـمـاـ رـايـتـكـ مـنـ جـدـيدـ وـكـنـتـ قـدـ تـعـدـتـ رـؤـيـتـكـ، أـنـكـ سـتـرـفـنـ إـلـىـ فـرـأـ، وـلـاشـكـ أـنـكـ عـرـفـتـ ذـكـ. حـاـوـلـتـ اـيـزـوـبـيلـ أـنـ تـجـدـ صـوـتـهـ: أـنـسـ لـكـ، أـنـسـ أـنـيـ لـمـ أـكـنـ أـمـثلـ. أـجـابـاـ بـسـخرـيـةـ:

- عـزـيزـتـ أـحـبـ كـثـيرـاـ تـصـدـيقـكـ. لـاشـكـ أـنـ تـصـرـفـ وـسـلـوكـيـ مـعـكـ فـيـ الـأـسـرـ الـلـاـضـيـ كـانـ تـرـفـيـهـاـ لـكـ.. وـكـدـتـ أـبـقـ عـلـىـ عـمـاـ هـكـذاـ لـوـلـاـ عـيـ». هـذـاـ الرـجـلـ الـذـيـ يـذـلـ كـلـ شـيـءـ.

أـجـابـاـ اـيـزـوـبـيلـ بـصـوتـ مـتـقطـعـ وـضـعـيفـ: لـاـ أـدـريـ مـاـ عـلـاتـهـ هـذـاـ الرـجـلـ بـمـاـ تـقـولـ؟

أـجـابـاـ يـعـنـفـ: مـنـ الـآنـ وـصـاعـدـاـ لـأـعـالـ لـلـشـكـ فـيـ نـصـرـنـكـ مـعـ هـذـاـ الرـجـلـ.. . . فـيـ بـعـدـ زـوـاجـاـ اـشـطـرـتـ لـلـاـبـعـادـ هـنـكـ ثـلـاثـةـ أـسـابـعـ رـحـتـ خـلـلـهـاـ تـبـيـنـ مـعـ غـرـيـ. . . عـرـفـتـ هـذـاـ مـاـ أـخـبـرـتـيـ إـلـيـهـ أـخـطـكـ وـهـذـاـ الرـجـلـ الـلـبـلـةـ هـوـ نـعـوذـخـمـ. . . عـرـفـتـ ذـكـ مـنـ ذـكـ الصـورـ الـتـيـ أـرـأـيـاـهـ. وـأـخـيـرـاـ كـانـ هـنـاكـ اـدـمـونـدـ. أـخـبـرـيـ اـيـزـوـبـيلـ هـلـ أـرـدـتـ فـعـلـاـ اـدـمـونـدـ طـوـالـ الـوقـتـ؟ هـلـ كـتـبـتـ تـفـكـرـيـنـ قـيـهـ دـائـمـاـ؟ أـطـلـقـتـ صـرـخـةـ مـؤـلـلةـ وـقـالـتـ لـهـ بـالـفـعـالـ:

لنجك، ببوي ستحفظ سرتا، ولن تخبر أحداً زوج أمك. هذا ما قلته لي وأنتعني به. كنت قررت المودة بعد ثلاثة أو أربعة أيام لطبع معاً نواجع زوج أمك. عندئذ...»

توقف حلقة: وقع حادث لعمي في السيارة فأرسلت لك فوراً برقة وأعلنتك بالخبر. كان في المستشفى يتابع ولم يكن بإسعافه أن أترك وأرحل. طلبت منك العودة إلى مراكش فطالما قلت لي إنك تحبين عمي وصدقك. كما تعلمين، لم تعودي قط. لم تجاوبي حتى على البرقية... اتصلت بشقة ببوي فلم يجيئ أحد. لم يكن هناك أحد، أو ربما كانت ببوي ولم تجرب... أما أنت فكنت في الخارج. كانت ببوي تقدم الأعلام عنك وتحيرني أنك حاولت الاتصال بي وأرسلت لي رسائل وأنك لست على ما يرام. كنت مدعورةً وتلقناً ولكنك من المستحيل على أن أهود. عرفت أنها تكلب من وراء ظهرك لتفطر شيئاً ما... فكان أن مرّ على أسبوعان ونصف حتى فبها في الجحيم. توفيت عمي... فبقيت لحضور المأتم، ثم عدت فوراً إلى لندن. ذهبت إلى شقة ببوي فأخبرتني بأمر المفلاط وبأمر الرجال الذين تقابليتهم أما أنت فلم أجده في الشقة في ذلك الوقت، ورجعت إلى هنا لتأتيوني أهوند. من يعلم؟ في ذلك الوقت قلت لأختك إنها كاذبة وخرجت من تلك الشقة وعدت إلى هنا. عدت إلى هنا ذلك التهار، يوم الحادث.

فقالت له إيزوويل بحركة غاضبة: ذلك التهار؟ هنا؟

- لا تنطري إلى هكذا لا نعمل ذلك! هكذا بدوت في ذلك اليوم، عليه وبرقة ومسروقة بمودعي. وبكت ورحت تخبريني قصصاً وتشكيني هكذا لأنني تأخرت بدون سبب. ولا أخبرتك عن البرقية التي أتكت أسلتها وقلت إن ببوي قالت إنني لم أحصل قط لأسأل عنك، لا أذكر التفاصيل، لم آبه لها... جل ما كان يهمي آتاك أنتي معي من جديد، مع المرأة التي أحبتها أكثر من جبالي وعندما كنت معي صدقك ولكررت أن كل أخبار ببوي كاذبة. ركعت هنا على هذا السرير، وأقسمت أنك لم يحيتي، ومكثنا هنا ثلاثة أيام. كنت دائمًا مسيء، إلى جانتي.

ـ لا أنهم ماذا يقول؟ أنا لا أكاد أتذكر أخاك، لا أتذكر أي شيء عنه... أما هذا الرجل الذي جاء الليلة فلم يسبق لي أن رأيته وأما هذه الصور فهي ليست لي... إليها...

قاطعها وهو يضحك بسخرية: أجل قلت ذلك سابقاً. هلا أخبرتني أذن من هي تلك الفتاة في هذه الصورة؟

أجبته بصوت خافت: إليها ببوي. لم أرده أن تعرف ذلك لأنني وعدتها. لم يكن بإسعافتها تدبر المال الذي يرميه هذا الرجل، أراد أن يبعها لبعض المراهقين. رجحتي أن أؤمن لها هذا المال، لها السبب جئت إليك لمساعدة ببوي ثم ذهبت إلى ذلك المصرف في البلدة. وقد وافقوا على إعطائي الترخيص لكن...»

- أوه! أعلم سبباً ما ستقولين. ثبتتني الترخيص لك، كان عليك أن تعرفي ذلك. وضعت لك ضمانة، فذلك المصرف لا يقوم بعمل خيري أكثر من مصرفي. ربما لبوبى خطأوها لكن أؤكد لك أنها ليست مجرونة... كانت تعرف أين كنت وأخبرتني ذلك. لكنني لم أصدقها، لهذا السبب ألم تفهي.

شعرت إيزوويل بالصداع يزداد في رأسها وأاحت بالفرقة قيد بها. سأله بصوت فيه وجاه واسترحام: أرجوك أخبرني ماذا حدث لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك.

أجابها ببرودة: ليس ذلك صعباً. بعدما أمضينا أسبوعاً في المغرب قرر زوج أمك تعقب أناهارنا ولكنه نفل. في نهاية الأسبوع سافرنا أنا وأنت وكنت آتاك سافرين بواسطة جواز سفر القديم ثم عدت إلى لندن، وبقيت أنا في المغرب لتنظيم وإجراء بعض المعاملات المتعلقة بالزواج فلقد كنت قاصرة وكانت في الوقت نفسه مضطراً إلى ملاحظة أعمال عمي. كنت أنتظر إيهام كل تلك المعاملات في أسبوعين أو ثلاثة لامحق بك إلى لندن... كان عليك خلال ذلك الوقت البقاء في لندن لتجدي منزلًا لها حتى تسكن فيه لدى هودن. عدت وبقيت هناك مع ببوي غصياً عن إرادتي... المحجت: ببوي أختك، ببوي

كانت مريضة جداً وكانت أخشى أن تعرف الحقيقة فتموت قبلها.. كانت حب ادموند كثيراً لأنني وجدت أن من السهل على الوقوف أمام المحكمة ولذلك بنزع خاص سهلت على الأمور.

توقف ثم أضاف: بعد كل ذلك، أخبرت زوج أمك التي كنت أتود السيارة وأخيره أيضاً شياح آخر صغيراً، متلاًًأني أجرتك على إقامة علاقة معه، وضربيك ودفعتك من السيارة وهي مسرعة. كان لهذا الكلام ردة فعل قوية في نفاعة المحاكمة.

أيسم وتتابع: «كانت وبلة الزواج مني في جنبي آذدك وكان بوسني أن أنسف كل للمحاكمة بمجرد أن أقدم تلك الورقة الصغيرة للقاضي ولكنني قررت لا أندمها.. أما أنت فكنت أيضاً تحاولين حياة رأس ادموند، فافتعمت أنك حبيبي ولأنني أعرف ما هو المطلب قررت أن أسهل لك طربتك».

أجابه ايزوبيل بصوت متعدد وهي شاحبة الوجه: هذا ليس صحيحاً.. ليس فيه أي شيء من الصحة.. لم أكن كذلك. أعرف أنني لم أكن كذلك، نزع الخاتم من أصبعي ورماء. أوجعني كثيراً، أوقت بيدي خلف ظهري وأنزعله.. لم يكن يشبهك... كان أشقر الشعر.. عندما ألمي داخ يضحك وأعجبه أن يزدريني.. ضحك، يا إلهي، أخذت رأسها بقوّة.. ضفت يدها فوق ذئبها لأنها شعرت بالألم بشرب رأسها بقوّة.

- أستطيع أن أسيء طريقة الغريبة وهو يضحك، كان يكرهني نعم اعتقاد أنه كان يكرهني. قال لي إن زوج أمي أرسله، لم أصدقه فزوج أمي لا يفعل ذلك.

ثم توقفت لأن نبضات قلبها وضريرات الأأم في جبينها تضاعفت ثم تحولت صورة الرجل أمامها إلى سراب.

رفعت يدها والإشارة في هيئتها وقالت: بوليوس.. بوليوس! هل أنت هناك؟ يجب أن تصدقني. ما قلته غير صحيح. لا شئ أهبا كلبا..

توقف هنالك ثم أردف: أعلم أنك تذكررين ذلك. علمت ذلك. استطع رؤية ذلك في هيئتك. هل يمكنك أن تكلمي في شيء مثل هذا يا الهي لم أؤمن بأي شيء طوال حياتي. أنا بيك وبينا ثانية، وكيف لا أؤمن بك وأنت في غاية البراءة في الكلب.. وهذه الليلة كنت أصدقك أيضاً. قاطعت ايزوبيل مفترضة منه يوماً واحدة وهي تردد: «بوليوس».. كان الضوء في القرفة يزداد شيئاً شيئاً حتى كاد يعمها «بوليوس».. أبعدوها عنه بعف وقال لها: لا، لا تلمسيني لا أريد أن أشك بعد الآن..

دفعها فوققت وانحنى فوقها والغضب يملأ وجهه. ثم تابع بهدوء: «اعتقدت أنك حامل. فكرت أنه من غير المقبول ومن المستحب العمل لأننا سليمان معاذان. كنت متاكداً من ذلك. أحببتك كثيراً وتضاعفت حمي لك. آذدك في تلك الليلة تركتك بمفردهك في المنزل، اضطررت أن أذهب إلى القرية لأجتماع بمحامي عمي. تقفيت فقط ساعة وعندما رجعت لم تكوني هناك، رحلت وتركت خاتم الزواج هنا تماماً على الطاولة من دون أي ملاحظة أو أي شيء».

أجابه ايزوبيل من دون تفكير وكان صوتها من وراء ارتداد مقلمه في ذكرها: لم أرميه، أرجوك بوليوس لم تأرك هنا.

تجاهل كلماتها وتتابع: تركت الخاتم هنا وخرجت من المنزل وهو مت مع أخي في سارقي.. هل كنت تحيبي؟ لا أدرى، أخبرني أنك حبيبي، لم يخبرني قط بالتفاصيل ولم أسأله بدورى. ولكنك تناجرت منه، وأصبح ادموند عنيفاً. هكذا تناجرتـا.. حاولت المزوج من السيارة فوققت. هندلـت شف جداً.. وخـلـيـا السيـارـة خـلـفـ الـأشـجـارـ وـعـادـ إـلـيـ هـاـلـيـخـيـرـيـ بالـحـادـثـ.

توقف فجأة: الباقى يسيطر جداً. ذهبـتـ إـلـىـ للـحكـمـ. أـسـقطـتـ هـمـةـ الـاعـتدـاءـ عـنـ لـكـنـيـ حـوكـمـتـ بـالـهمـ الـآخـرىـ وـحـكمـ عـلـىـ بـالـسـجـنـ مـلـدـةـ ستـةـ.ـ لكنـ مـاـذـاـ هـذـاـ لـاـ يـصـدـقـ..

ـ لأنـيـ لمـ اعتـمـ.ـ لأنـ اـدمـونـدـ وجـائـيـ أـخـرـجـهـ مـنـ هـذـهـ الـورـطةـ،ـ لأنـ أناـ

أخبر نظ زوج امي بذلك. يجب ان تكون خطنا. أرجوك ايمكه إخبارك بذلك.

أجايها بصوت حاد: «مات ادموند».

راح بنسها يضرب رأسها ويصدر صوتاً عنيقاً كصوت الطلب. أزالت للديها على الأرض، وحاولت الوقوف وهي تتمايل.

قالت: «ادموند، يجب أن أرى ادموند فهو سيخبرك، يجب أن يخبرك، ليتي أستطيع رؤيه، سيخبرك الحقيقة».

ترنحت إلى الأمام وكانت هبوي فاسك بها.
لا يمكنني رؤيه ادموند.

التفت عيناه يعيثها وكانتا تماماً كالعبيتين اللتين طللا رائهما في أحلامها، رماديدين باردين كالجليد.

ـ لماذا لا؟ لماذا لا أستطيع رؤيه؟
اعتقد أنه يجب أن تعلمي ذلك، ألم يخبرك زوج أمك أو بوري؟ لم

تشاهدي ذلك في الجرائد؟

ارتجفت شفتها: ايزوبيل، مات ادموند، مات متذستين.

* * *

٩ - دعي الماضي يحترق!

أطلقت ايزوبيل صرخة ملؤها الألم والكره وشعرت بالفرقة ساخنة جداً ويشرعا باردة كالجليد. كان العرق يتصبب من جسدها. نظرت إلى الرجل الواقع أمامها، ظهرت قاتمة الطربولة أمامها لم اختفت. هل كان بوليوس؟ وهل يمكن أن تكون الكلمات التي قالها صحيحة؟ لا يمكن أن تكون كذلك؟ لم يكن ذلك مكتوباً لم يكن أي شيء منها مكتوباً. لم تغير الأمور هكذا فهي تعلم أنها لم تكن كذلك.

مات؟ سمعت موجة صوتها ترتفع ثم هبط بجهون، فصرخت بيأس: «لا يمكن أن يكون ميتاً، لا يقدر... بوليوس مات، وليس ادموند. أنت تتكلب علي، لا أستطيع تحمل ذلك. لا يمكن أن يكون ميتاً. يجب أن أرائه».

شاهدت يغموض وجه بوليوس يتخلص وعياته تستعملان... رفع يده بحركة يائسة ثم ابتعد عنها.

أجايها بصوت ضعيف ملؤه الصدمة: إذا كان لا يزال لدى أي عمل ذات ثقبت عليه. أهرب الآن أن ذلك كان صحيحاً... إن نظرة يسيطرة إلى وجهك تووضع الأمر بكل جلاء.

توقف قليلاً ثم تابع: عندما أخبرتني في تلك الليلة في شقتي في لندن أنك اعتذرتني ميما لم أرأها أو إشارة للحزن في وجهك الجميل أو أي أسف؛ أو أي شيء. أما الان عندما علمت بموت ادموند فاظفرت ببردة فעה. لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى.

والتبه ثم الفوه الرئيسي.. ظهرت أمامها فجأة شجرة إلى جهة الشمال نحوت للقدود بسرعة نحو اليمين هندل رات البوالية أمامها مفتوحة وعلمت أن الأمور ستر على ما يرام وستصبح خارجاً في منطقة المستعمرات. ضغطت على الدواسة فانطلقت السيارة إلى الأمام وهذا ما أشعرها بيهجة عجينة.. حسناً سارت الأمور بخير. كانت هنا سابقاً.. فهي تعرف الطريق. ما أقياها! كان ذلك سهلاً طوال الوقت وعكناً.. إذا كان بإمكانها أن تقطع المستعمرات لتصل إلى هناك، إلى ذلك المكان الغامض والظلم في ذكرها الذي ظل مغلقاً أمامها وضائعاً لمدة طويلة.. في هذا الاتجاه، أدارت للقدود.

أصبح الطريق ضيقاً الآن. غير المتعطف الحاد رأت انججاراً أمامها، أقصاها تمايل فوق الطريق. غرقت قدمها لحظة فوق الدواسة فصدر عن الدواليب أزيز مزعج.. شعرت بأنها معلقة بين القضاء والزمن في الظلام، هندل راح الهواء يلتف وجهها، وأخيراً شعرت بتفكيرها يدور بحرية.. هنا حصل الحادث وكل مراحل الأحداث ونتائجها. الألم كله واضح واحد ودقين كزجاج الكريستال: أوقف السيارة! توقف توقف.. لم تدرك إذا كان هناك من بصري أو إذا كان الصوت صادراً فقط عن تفكيرها، لكنها عرفت أنه صوتها.. نعم هي من كانت تصرخ.. إنما ليس الآن.. بل في الماضي..

«أوقف السيارة».. ليس ذلك صحيحاً، أنا لا أصدقك، هو لا يفعل ذلك ليس مع بوي ولا مع سواها.. أنت تتكلب.. أوقف السيارة».. لكن السيارة زادت سرعتها أكثر وأكثر بالجهة غير الأشجار للظل، كان هناك أنوار خلفها أضاعت السماء حتى خدا ذلك الليل كالنهار.. وكل الذي أدركه آنذاك أن الألم والصداع كان قوياً جداً وكذلك كان المخوف. حتى أنها لم تعد بغي شيء، بل أرادت فقط أن تبقى في الظلام. أدموند، أوقف السيارة!.. لفظ الكلمات وأمسكت بيديها المقود ورأت آنذاك نوراً وظلاماً وشعرت بيكل السيارة يرتفع وسيوي..

حلّ صمت رهيب طويل في الغرفة لم يقطعه غير صوت أنفاس إيزوبيل المتقطعة. كانت تنظر في الغرفة إلى ظهره وهو يبتعد.. هندل أطلقت صرخة خاتمة وركضت إلى الخارج. ولكن الرجل الذي خرج لم يدر رأسه ليلقي نظرة عليها.

* * *

ركضت إيزوبيل في المزر، ونزلت السلام إلى المدخل للرسوف بالرخام. جلَّ ما كانت تذكر فيه في تلك اللحظة هو الخروج من هذا المنزل بسرعة والابتعاد عن هذا الرجل.. عندما أقفلت الباب وراءها سمعت صرخة.. ربما أحدهم كان يناديها، لكنها لم تتوقف ولم تزدد بل خرجت من الباب إلى البرد والظلم.

فوق الريح.. ولم تعد تقدر أن ترى الأشجار التي تمايل تحت ثور القمر بوضوح.. كانت تراها ولا ترعاها. فعياماً عاجزتان عن رؤية ما في الخارج بسبب ذلك القلام الكامن والرازح في ذكرها. أما قبلها فكان يتحقق وبتفتح على وترها واحدة: أذهبني، أذهبني، أذهبني الآن..

نزلت على السلام الخارجية تكاد تهوي.. ثم تعرّت فانطلقت على الحصى، وكفت نحو السيارة مقطعة الأنفاس وأقفلت الباب وراءها. لم يكن لديها أي خطط أو آية ذكرة ولكن المقابح كانت هناك في السيارة. ربما نسيها عندما رأى السيارة الأخرى واقفة هناك. أدارت المقابح في حركة عصبية وتلمست باريتاباك المكابح وجهاز السرعة ودفعته بقوّة بالتجاه عكسي.. فعادت السيارة إلى الوراء ببعض عطوات. هندل وضعت الجهاز على المرف المخصص للاندفاع والسير وضغطت بقدمها حل الدواسة فتحركت السيارة آهَا يا الهي شكرأ يا رب»، انطلقت بسرعة.. كانت الثالثة مفتوحة فشرحت بالهوا البارد يلتف وجهها. ولكن أضواء السيارة كانت منطقة ولأن الظلام دامس، دامس لم تعد ترى شيئاً. راحت تلمس بيدها نظام التحويل الكهربائي فأخذت للساعات تعلم وبطيء ثم عادت الأضواء من جديد وظهرت على اللوحة أمامها تدريجياً أضواء الإشارة

صرخت: توقف، توقف. وسمعت صوت الاصطدام يرن في أذنيها كالرعد، وأحسست أن زجاج الواجهة ينطرع إلى مليون نسمة. لمت الأصوات لحظة ثم انطفأت، فوجئت نفسها مغمورة في هدوء الليل وفي السلام.

لم ترد العودة من ذلك المكان ولكن شخصاً ما فعل ذلك، شخصاً راح برفعها ويسحبها بسرعة وبأس. راحت تتنفس، شكروا الله.

فكانت أهتم قالت ذلك، هو قال ذلك، ذلك الرجل الذي أخرجها من السيارة. لم يكن هناك أشواه، بل كان كل شيء مظلماً. ورائحة كربلا كرانحة الطريق تعيق في الجلو.

- إيزوبيل، إيزوبيل. حبيبتي، ساعدني يا الله أرجوك، حاوي أن تساعديني. بسرعة. هناك ينزلون إنه موجود فوق كل الطريق، إيزوبيل، ساعديني، حاوي، لوها يا إلهي، أرجوك جربي.

عندئذ ادركت رأسها على مهل، وفتحت عينيها فرأت وجهه قريباً من وجهها ونظرت في عينيه. وقالت: «بوليوبوس، بوليوبوس».

- أجل، أجل، حبيبتي.

رأت شيئاً يلمع خلف حلامات اليأس للوجودة في وجهه. تقدم نحوها بقرء ثم رفعها.. وكف يها آنذاك، ركبض يها وهو يجعلها بين ذراعيه. ضمها إلى صدره. وحلها بحنان وبلطف إلى داخل سيارة أخرى موجودة على جانب الطريق. سيارة بدت كسيارة الجيب واسعة ذات أبواب عريضة من الخلف. خددت في الخلف ثم دخل وجلس إلى جانبيها، فرأت وجهه ميلاً بالدموع.

- حبيبتي، حبيبتي، اعتدلت آنثى مث.

كان صوته خافتًا ومتقطعاً: آه يا إلهي اعتدلت آنثى مث.. كنت تعودين بسرعة هائلة لذا لم يكن بإمكانه اللحاق بك. حبيبتي، حبيبتي. هل أنت بخير؟

شعرت عندئذ بيديه، نمسان وجهها وشعرها فعرفت أنها بخير،

عندئذ رأت من الشروري إخبار، وإطلاعه على ذلك الشيء».

- آه بوليوبوس.. بوليوبوس، فقدت الولد. سمعت أنهما تختنق في حلقة.. ورأيت وجهه الغريب منها شاجعاً وعيناه مظلمتين كالليل.

- الطفل؟

كان صوته خافتاً جداً ثم شعرت بيديه تنسقطان على كتفيها.

- ماذا تقولين؟ لا تحاولين التكلم! أنت تشرعن بصدمة.. لازمي الهدوء الآن! انتظري، دعييني..

- لا، بوليوبوس.. يجب أن أحدث إيك. أريد أن أخبرك، لوها أردتك أن تعلم. بوليوبوس، اسمعني، أرجوك أصغِ إلي.

كان صوتها يأتي إليها من بعيد وأحسست بالدموع تزفرق في عينيها لأنها عرفت أن ذلك حلم.

- أخبروني أنك مت.. أخبروني عندما عدت إلى المنزل، أكد لي زوج أمي أنك مت... ولم أستطع أن أفهم. قلت له أنت تمني أدموند، لا بوليوبوس.. فانا أحب بوليوبوس. كان أدموند يقود السيارة، هو الذي أجهز على ترك المنزل وحملني أنس خاتم بوليوبوس، وأدخلني بالقوة إلى السيارة. أنا أذكر، أدموند، إنه سيء ويديه... ولم أحبه قط.. لم يبرد إيقاف السيارة ولم يسمح لي بالخروج. قلت له إنني ساقترن منها قسراً مني وضاعف سرعته. إذن لا يمكن أن يكون بوليوبوس، لا يمكن..

سحبت نفساً عميقاً، وأحتست رأسها على كتفه.

- لم أصدقه قط.. كنت مرتيبة كثيراً، بوليوبوس ومربيته. أعطوني كل تلك السكّنات لمعاملة الآلام، فلتوّموني. نمت مدة وحلّت، قال أبي لم نكن غلطني.. حصل لي ذلك بسبب الحادث، لا أقدر أن أقول، هل كنت نائمة أو صاحبة؟ وبعد ذلك... وجدت أنه سيكون لي طفل.. كنت سعيدة جداً لأنني لم أصدقهم وعلمت أنك متّاني يوماً، وسرف أريك الطفل و...». أغضبت منها آنذاك وتساقطت الدموع على سرتها. ثُم فقدت الطفل، بوليوبوس، أجروا لي فحوصات عديدة، وبذلت اترف فقالوا لي، ليس

ذكرت ما حدث معها هناك. في ذلك الوقت بدت بورى لطيفة وعطرة، فعندها أخبرها إيزوويل أنها يوليوس قد تزوجا غضب أولاً ثم تناست ذلك.

- تزوجتما هو تزوج يك؟

ارتفعت التعبيرات في جبينها للتجهم وبدت تقاسيم شفتيها الملوتين تقاسية، أما إيزوويل فكانت تضحك بسعادة.

- هل هذا غريب بورى؟ قلت لك إننا متحابان.

- حسناً حبيبي لا يأس بذلك، لكن الزواج؟ لم انكر فقط أن يوليوس هو من ذلك النوع من الرجال.

قطعت كلامها وأردفت: «لأنه سرورة لك وأهلك. حسناً، من كان يعتقد أن هذا سبحصل؟ تصر فدرا بسرعة البصري كذلك؟».

في كل يوم، كانت بورى تشجعها فتخرج من الشقة وتذهب لتنقش عن منزل لسكنها. وعندما كانت تعود كانت تقلل الباب ورآها وتنتظر إلى بورى وتأتها بصمت. وكان جوابها هو نفسه: لا شيء، حبيبي، أنا آنسفة لا لحزني، كل الرجال هم هكذا.. يقولون إنهم يستحقون نعم يحصل شيء ما، فيسوقون كل شيء عن الموضوع. لا تقلقلي، أخبرتني أنه يعيك.

وعندما كانت تصل إلى هذه العبارة كان صوتها يتضاءل تدريجياً ثم يتسم وتقول: جري الانصال به ثانية هذا المساء. لماذا لا تتحملين ذلك؟ فالرقم موجود فوق الوسادة.

الآن تمعجت إيزوويل من بساطتها تلك ومن غبائها لكن لم يخطر ببالها قط أن بورى التي تحب، بورى التي ظهرت بالقليل عليها وبالارتفاع لمساعدتها، بورى التي كانت ترمي لها رسائلها إلى يوليوس والتي كانت تتظر خارجته، كانت بالحقيقة تكتب عليها.

في نهاية الأسبوع وبعد مخابرات عديدة من دون نتيجة. أرسلت برقية. ماذا حصل لها؟ هل اتصلت بورى فيما بعد والنتها؟ نعم لا بد أنها أتفها.

آخر، وبعد ما تلتها اليأس جاءت بورى إليها وعلامات المطاف

باستطاعتهم إيقافه وعندئذ... رفعت رأسها يبطء ونظرت إلى عينه عندما استيقظت شعرت برأسي بارداً كالجليد. كنت أشعر بالبرد طوال الوقت. كنت أريد فقط أن أنام، توقفت وهادت تقول بطفق «عندما نمت كان كل شيء على ما يرام. هل ترى؟ رجمت إلى عندئذ وأمسكتي بذراعك، وأخبرتك كل شيء، أنا أعلم أنك حبيبي، أوه يوليوس». انقطع صوتها، فتسكت به «أوه يوليوس! لا تنفع بعيداً هذه المرأة. أرجوك، لا تفعل، لا تستطيع أن أحمل ذلك إذا رحلت».

قال لها بصوت متقطع: لن أذهب بعيداً، لن أذهب بعيداً أبداً، أقسم بذلك.

رفعت إيزوويل رأسها ونظرت إلى وجهه. تذكرت فيبدو حتىقياً، أوه إنه وحشي، لماذا يبدو دائمًا حقيقةً كثيرةً؟ وجاء التهبت الطريق خلفها... كان الانفجار حقيقةً وهائلاً كصوت الرعد في أذنيها.

صرخت عالياً وضفت يديها على رأسها. بــ الليل مشتملاً بالإشعاعات. أصفر وأزرق، أحضر وأبيض. نظرت إلى وجه يوليوس فإذا هو متجمد أمام السنة النار، وعندما اخترق صدى الانفجار، عرفت أخيراً أن ما يحصل الآن واقع.. لا أحلام، لا أحلام. أطلقت صرخة فرح ورأت السؤال الجواب في عينيه. السيارة!... سحبها يوليوس إلى قربه وابتسم: - دعيها تحرق يا حبيبي، دعيها تحرق.

* * *

غمدت إيزوويل على الوسادة. كانت الغرفة دافئة، والنار تشمل في اللدقه خارج الوالدة، كان الضوء شاحباً. في لحظة سبعمائة اللام من جديد. أغمضت عينيها لحظة بسعادة لم تفتحهما، وأجالت نظرها في الغرفة.

كان ذلك غريباً جداً. بعد كل تلك السنوات من الجهاد ما هي تستعيد الذكريات بسهولة وباندفاع كالماء حدثت أمس وليس منذ خمس سنوات. هذه الغرفة، لا عجب أن تعرف إليها... كان الأمر مروعاً جداً في لندن،

والأسف حل وجهها.

- والآن أيزوبيل لا تحزن .. فلت يامر ما قد يزعجك لكنه لصلحتك.
أخبرت ادموند، لكن لا تخضي. لا أدرى لماذا تكرهه بشدة فهو بالنهاية
شقيق زوجك، وقد أحبك دائماً. وكم كان سروراً يخبر زواجهما .. وهو
يريد مساعدتك، وقد تقدم الآن باقتراح جيد. قال لماذا لا تخفيين وشكلاين في
منزل هم بوليوس بانتظار عودته وقال إن هذا ما كان سبطه بوليوس. لا
يمكنك أن تظل عصورة معك في هذه الشقة الصغيرة وأنت عصبية كالهرة.
في كل الأحوال، أنت تعرفين المنزل .. فذهبت إلى هناك مرات عديدة مع
بوليوس. أنت أخبرتني ذلك. سوف تكون مديرية المنزل مسروقة جداً
بحضورك، لن يقول أحد أي كلمة لوالدي قبل عودة بوليوس. والآن
أيزوبيل لا تكون طيبة فهذا العمل هو أفضل حل لك .. بسراحه تعرفين أن
أحب ولكنك تخرجتني قليلاً. كما أنه لم تعلم ما يرام، أنت شاحنة لا
تناولين الطعام ... سيكون من الأفضل لك أن تلهمي إلى ذلك المنزل. لا
شك أنك تشعرين بنوع من الضغط لأنك محظوظ والدي عندما قمت بهذا
العمل الذي ما زلت تصررين على إيقائه سراً. والآن اذهبي، قولي أجل ...
سيكون ادموند طفلاً وصادقاً لا يمكن أن يهبه.

في الأيام الأولى على عودتها شعرت أيزوبيل ببعض التحسن لعودتها إلى
هذا المنزل حيث كان بوليوس يعيش في غياب عنه، حيث طلب منها أن
تزوج به وحيث هي موضع اهتمام من قبل مديرية المنزل السيدة ديرنج،
تعيش مع أمراض بوليوس وكبه وكل ما يذكرها به. كل ذلك ساعدتها على
تقبل الوضع وعلى بهذه أعصابها، لكنها ثلث تشر بالقلق والاضطراب
لأنها تعرف أن والدها يبعد عنها التي عشر ميلاً فقط، لكنه ما دام يجهل ابن
هي ولا يعرف أي شيء عن مغامرها مع بوليوس، فلا داعي للخوف
والاضطراب، فهو كما علمت بخير وعافية وهي تنتظر عودة بوليوس
ليواجهها، مما وبصعاباً لهذه المشكلة.

نهدت أيزوبيل ووقفت. ما أشد ما كانت غية! لكنها آنذاك كانت

صغيرة.. كانت في ريعها التاسع عشر، وقد تركت لتوها المدرسة وكانت
لها فكثيراً من زوج أنها ومن خبءه للرعب، وهذا ما دفعها للهرب لتزوج
سرًا.

في يادي الأمر، قدم ادموند لها يد المساعدة ولكنها لم تجب ولم تدق به.
لست وفاة والدها، عاش ادموند مع أمها العاجزة في منزل صغير على بعد
ثلاثة أيام من هنا. وطالما اعتبرته أيزوبيل «الولد الأام» لأنه كان يعتني
باليه. كان ولداً مدللاً رديءاً، الأخلاق يغار كثيراً من ذكاء بوليوس وبخاصة
من قريبه من عمه. لكن في هذه المرارة غيرت وجهها. كان ادموند يحصل
بها كل يوم وبأي زيارة من دون أن تضايق من وجوده، ومن مازحاته، بل
كان يرقه عنها ويطلب إليها أن تظل في المنزل ثلاثة أيام أبداً. وكان
يرسل كل يوم رسائلها لبوليوس التي لم يستلم أي رسالة منها. هل كان
ادموند يقرأها؟ هل كان يقرأ تلك العواطف المتقدمة التي كانت تنبأها
بوليوس وترجوه أن يعود إليها، أو أن يصل بها وخبره مرات عديدة كم
تجبه؟

في الأسبوع الثاني تغير تصرفه، فراح يقوم بحركات ماكراة خبيثة لم
استطع أيزوبيل تحملها. بالطبع كانت الأمور لا تزال ضمن الإطار الصحيح
لكنها بدت غريبة ومزعجة. سألها مثلاً: هل حقاً تزوجتني أنا وبوليوس،
أم لعلك تدعين ذلك لتشغل ماء الوجه؟

نظرت إليه أيزوبيل وهي متوجبة فاعتذر منها.
ـ آسف، آسف.

أرجع شعره الأشقر إلى الوراء ونظر إليها ببراءة يعينه الزرقاءين
وقال:

ـ إنه تماماً ...

ـ ثم توقف.

ـ تماماً ماداً؟

ـ تماماً.. حسناً، لا تكون صادقاً معيك. أردت أن أقول إن بوليوس ليس

ذلك الشاب الذي يرحب في الزواج. أنت تعلمين أنه شاب طموح جداً. اعتقدنا أنه لن يتزوج قبل الأربعين. وظلتنا أنه سيتزوج عندئذ بدينة فاض أو فتاة قريبة من مهنته، وليس فنا... . سكت كاثة قال ما يكتفي فامتنع وجه إيزوبيل وشعرت بالانقباض والأس، لم تأبه: حسناً يجب أن تعلمي أنه يجدب النساء، فهو أنيق وجذاب. لا أحد ينظر إلى عدتها يكون إيليوس حاضراً. ضحك قليلاً وظهرت على وجهه علامات القلق. آه! كم كان بارعاً بالتعليل.

- إيزوبيل. ما يقلقني هو أشيء لا أريد أن أخرج شعورك. لكن ذلك يشغل فكري... هل تعلمين شيئاً عنه وعن بوري؟ فاجأتهما معاً. أجبته شاشة: «أنا آسفه» فضفت وبذا الارتياخ على إدموند الذي حاول تغيير الموضوع:
- آهـ حسناً ربما لم يكن هناك أي شيء بالفعل، وأنت تعلمين، فيما كان ذلك وضعاً طارتاً ووقتاً... . وبعد ذلك قابلتك... حسناً بوري فتاة جميلة جداً، أليس كذلك؟ لكن هناك قضية نقلت فكري.
- ماذا يقلقك؟

- حسناً أنا أعلم أنك تحبينها كثيراً ولكنني لا أثق كثيراً بشقيقتك. أعني بخصوص الطريقة التي أبعدتك فيها عن شقتها، وارسلتك إلى هنا.

- اعتقدت أنها فكرتك.
- فكري؟ أوهـ لاـ ما الذي يجعلك تفكرين هكذا؟ بوري افترحت ذلك.

ثم تردد: والآن البوت المختنق عن وجه الأرضـ لا يمكن أن يكون في لندنـ هل يمكنـ؟ ربما ليري بوريـ ليخبرها فقط أن كل شيء انتهىـ بيتهماـ أنا لا أعني أي شيء آخرـ أوهـ إيزوبيـلـ لا تبكيـ لم أرد أن أزعجكـ عندما رحلـ كان وجهها شاحباًـ ويداهما ترتجفـانـ . جلست إيزوبيـل ساعات طويلة أمام الهاتفـ راحت أولاً تطلب الرقم الذي كتبته لها بوريـ

فرجـدت أن فيه رقـاماً خطـاماًـ . كان تلـبـها يتبـضـ بـسرـعةـ من القـلقـ وهي تـطلـبـ الرـقـمـ مـرةـ آخـرىـ . تـعمـ هذاـ هوـ . الرـقـمـ الصـحـيـحـ، رقمـ شـفـقـةـ عمـ بـولـيوـسـ . عـندـمـاـ لمـ تـلـقـ جـوـبـاـ حـاـوـلـ الـاتـصـالـ بالـفـنـدقـ لمـ بـالـشـفـةـ بـدـوـنـ جـلـدـيـ نـتـعـلـكـهاـ بـالـاسـ وـغـرـقـتـ أـصـابـاـ مـنـ خـالـلـاـهاـ المـنـكـرـةـ التيـ يـامـاتـ بـالـفـشـلـ مـنـ دـوـنـ أـيـ نـيـجـيـةـ . أـخـيرـاـ اـنـصـلـتـ بـالـفـنـدقـ وـبـعـدـمـ تـحـولـ الحـلـطـ عـبرـ عـدـةـ سـكـرـبـرـاتـ وـصـلـ أـعـبـراـ إـلـىـ أحـدـ الـوـظـفـنـ الذـيـ أـنـدـهـاـ انـ بـولـيوـسـ حـجـزـ تـذـكـرـةـ إـلـىـ لـندـنـ ثـمـ قـالـ لـهـاـ: سـافـرـ السـبـدـ دـيـ لـاهـيـ هـذـاـ الصـبـاحـ . أـجـلـ إـلـىـ لـندـنـ . شـعـرـتـ إـيزـوـبـيلـ أـنـهـ تـطـيرـ فـيـ الـهـوـاءـ فـانـصـلـتـ بـيـوـيـ وـبـيـتـ كـلـ حـرـكـاتـ اـدـمـونـدـ لـلـزـعـجـةـ وـلـكـ بـوـيـ قـالـ لـهـاـ إـنـهـ لـمـ يـصـلـ هـنـىـ الآـنـ .

- أـخـبـرـهـ أـنـ يـالـيـ فـورـاـ إـلـىـ هـنـاـ . أـخـبـرـهـ بـوـيـ، أـخـبـرـهـ التيـ أـحـبـهـ، هـلـ سـتـخـبـرـيـهـ؟

بعدـ ذـاكـ قـاتـ بـرـزـهـ فـيـ الـمـدـيـقـةـ لـتـشـقـ هـوـاءـ الشـاءـ التـقـيـ . عـندـمـاـ عـادـتـ إـلـىـ المـنـزلـ صـعـدـتـ إـلـىـ غـرـفـتهاـ، فـوـجـدـتـ إـدـمـونـدـ يـتـنـظرـهـ هـنـاكـ .

توـقـفتـ عـلـىـ الدـخـلـ وـنـظـرـتـ إـلـيـهـ بـتـعـجـبـ، كـانـ إـدـمـونـدـ جـالـاـ مـعـ السـرـيرـ وـفـيـ يـدـيـهـ تـوـبـ تـوـمـاـ . رـفـعـ رـأـسـ بـلـاـ مـبـالـاـ وـكـانـ لـهـ كـلـ المـلـقـ أـنـ يـكـونـ هـنـاكـ وـعـنـدـمـاـ نـظـرـتـ إـلـيـهـ تـوـبـ تـوـمـ بـيـطـهـ وـوـضـعـ رـأـسـ فـوـقـ النـلـلـةـ . لـرـبـاـ مـنـ شـفـقـهـ وـقـالـ لـهـاـ: «أـنـشـمـ فـيـهاـ رـاحـتـكـ»ـ .

استـفـغـتـ لـوـنـ إـيزـوـبـيلـ فـنـظـرـتـ إـلـيـهـ بـتـعـجـبـ أـمـاـ هـوـ فـرـاحـ يـضـحـكـ بـخـبـثـ حتىـ شـعـرـتـ إـيزـوـبـيلـ بـأـصـابـ مـعـدـعـاـ تـمـزـقـ مـنـ الغـيـرـ .

- اـخـرـجـ مـنـ هـنـاـ

تـقـدـمـتـ خـطـوـةـ مـهـ وهيـ تـعـتـقـدـ أـنـ سـيـوـاصـلـ الضـحـكـ وـيـاخـدـ كـلـ شـيءـ شـكـلـ هـزـيـ لـكـهـ لـمـ يـفـعـلـ . بـلـ بـداـ وـجـهـ رـبـيـاـ، فـوـضـعـ التـوـبـ عـلـ السـرـيرـ وـقـالـ لـهـاـ بـيـطـهـ: «أـنـاـ أـحـلـمـ بـكـ»ـ .

أـصـافـ: «أـحـلـمـ بـكـ لـلـلـيـلـ بـهـارـ»ـ . دـنـاـ خـطـوـةـ إـلـىـ الـأـمـامـ قـرـاجـمـتـ إـيزـوـبـيلـ

بشكل غريزي إلى الوراء. «منذ سنين وأنا أفكركم وأ أحلم بك، كما كان
علم أي يملك. وأخيراً ماذَا حصل؟» البوت وصل إلى قبلي، وهذا ما يفند
دالمة.

نظرت إليه وقد اعتقدت أنها، أحسنت أولاً بالغوف وعندما لم يتحرج
شعرت نحوه بالشقة... . عفت النظر عن كلامه وقال له: «أدموند،
سيعود بوليوس اليوم. سافر البويم بالطائرة من مراكش. سوف يكون هنا
غريباً. لا تذكر أنه يجب عليك أن ترحل؟... لا يمكن أن تبقى هنا... يجب
الانصراف هكذا وتتفوّه بهذه الكلمات.

تكلمت إليه بلطف كأنها تكلم إلى طفل... فانفجر الشر من هاتين
العينين الزرقاويتين.

- لا تعطيني! لطالما فعلت ذلك منذ أن كنت طفلة. أنت خادعة،
تضاهرين بالبراءة تماماً كوالدتك... . وانت مثلها مدلة. هل تذكرين
الألعاب التي كنا نقوم بها ونعن صغار فوق العلية حيث كنا نختي في
الظل؟

أشاحت إيزوبيل بوجهها عنه عندما مر بها وهو خارج عبر الباب. كل
على وشك ملاستها والاندماج نحوها أو الاستقطام بها، لكنه لم يفعل. لكن
توقف فقط ونظر إليها. وعندما نظرت إليه وجدت وجهه شاحباً، ذابها
ويائساً. ذكرت أنها لم ترّئ شخصاً يكرب نفسه كما يداً أدموند. إنه أشد
يعْيُون مريض... . ثم تظاهر الشر من جديد فقال لها: «هل مستحررت؟ هل
ستخبرين بوليوس العزيز؟».

نظرت إليه ولكنها لم تستطع أن تعرف من خلال نبرة صوته ما إذا كان
فعلاً يريد منها أن تخبر بوليوس أو أنه خائف منه... هزت رأسها بيده،
وأجابته وهي تذكر أن ذلك سيخرج شعور بوليوس كثيراً: لا، لن أخبر،
مَاذا أفعل ذلك؟

لا بد أنها أخطأت في جوابها، إذ رأت شفتيه مشدودتين وهيبيه زاندين
كأنها شمتت. عندئذ خرج من الغرفة.

لقد أسامت تقدير أدموند، وأسامت أيضاً تقدير مشارعه القوية
الشافة. حتى ذلك النهار لم تتوصل أن تفهم ما إذا كان أدموند يريد أن يزدّيها
أو أن يزفني أخاه؟ بوليوس الأخ الذي كان يجب ويكرهه في نفس الوقت،
بوليوس الذي كان يغار منه منذ الطفولة. لا بد أنه خرج من غرفتها وذهب
إلى منزل زوج أمها ليخبره بوجودها. هذا ما اعتقدت بوليوس وظنّ أنه
أصاب في تفكيره.

نعم وصل بوليوس الذي ما إن وآنه حتى نسبت كل الأكاذيب التي
لقت منها.

وعندما خرج بوليوس من المنزل، عاد أدموند ولكتها حتى الآن لا
 يريد أن تذكر ذلك للشهد الذي حصل. آنذاك أرسله زوج أمها
درّاج أدموند بالهمة، أوثق يديها ونزّع الخاتم من إصبعها وسحبها
بالقوة إلى السيارة وكان طوال الوقت يتكلم بكلمات بدلاً منها مريعة وأشياء
كافحة.

أخضرت هيئتها وفكت رفيق أدموند وفي زوج أمها وفي بوري. ثلاثة
أشخاص آناتيون، لا يتحمل أي منهم أن يقاوم أحد رغبة.

كان ذلك خططاً جيدوناً، إرسال أدموند ليختطفها ويعيدها بالقوة إلى
زوج أمها. لولا الحادث لما نجح ذلك ولكن زوج أمها لم يأخذ ذلك بعين
الاعتبار. عرفت أنه خلال غضبه وثورته لم يفكر سوى شيء واحد، إعادة
إيزوبيل إلى تحت سقف منزله حيث باستطاعته مخاصمتها، حيث يراكمانه
السيطرة عليها وكر شوكتها كما فعل مع أمها. كان لديه ثقة عباء بقوّة
رادته، أدرك ذلك الآن. شعرت ببرهنة من الخوف عندما تذكرة
ونذكرة كيف ضاعت تلك السين ببيه وكيف كان يكتب عليها، وكيف
قطع بتصرفاته المريعة حياة أشخاص عديدين: والدتها، هائلة دي لاهاي،
روبيانا هي بالذات. وقد مات كما عاش وهو والتق من نفسه أنه دالماً على
شق، لا يتأثر وقلبه مملوء بالحنق.

أحسّ الآن بالشدة على إدوارد سانت إبوبين وليس بالغضب. لقد

آخر في النهاية بعد كل ما فعل. لكنه اختطأ في حساباته، وأساء تقدير بوليوس الرجل، صاحب الإرادة القوية كمزادته.

* * *

١٠ - عيناك!

في الطابق السفلي، أغلق الباب بيقرة ثم سمعت وقع اندام على السلام وأصوات، وتورّت إيزوبيل وقت. عرفت من جاء.. وما هي إلا لحظات حتى افتح الباب ودخل منه بوليوس ووري. ساد الصمت للحظة، انتشر خلاله عطر ووري. نظرت إلى إيزوبيل لحظة ثم هزت كتفها باستهجان: قال لي بوليوس إنك لا تريدين روقيتي. وقد وعدكِ ألا ينكر هذا النوع من الأحداث أبداً.. بهذه المقدمة استطعوني ثم طلب مني الخروج.

كانت تتكلم وعلى شفتيها ابتسامة مساخرة: فاجئته إنك لست على شفير الموت ولست جبانة. وهذا أنا هنا، لم أرد أن أذهب دون أن أراك من باب التقبيل.

نظر بوليوس إلى إيزوبيل نظرة سريعة متأنقة فأومأ برأسها يطه: - حسناً بوليوس، لا بأس، بالحقيقة أنا بخير. ارتدت بوري إلى بوليوس: «لن أمكث طويلاً وأفضل أن أبقى بمفردي مع إيزوبيل إذاً ثانية».

لم ينظر بوليوس إليها يل تقدم وجلس على كرسي في الغرفة وأجابها: - أعتقد أن الذي ماتعاً.. تسبّبت لنا بكثير من المشاكل سابقاً، لذا لا أتني السماح لك بال نسبة بالمزيد.

ضغطت بوري على شفتيها: «أنت تحميها! يجب أن تشرعي حقاً بالإطماء إيزوبيل».

- أجل؟
 أدارت بوري وجهها وهي تنظر إلى وجه إيزوبيل.
 - لماذا قتلت ذلك؟ لماذا كلبت؟
 ساد صمت وجيزة، كانت خلاة للرأتان تبادلان النظرات. لبرهة ظلت إيزوبيل أن بوري لن تغيبها وأ أنها ستكتف بالضحك والخروج من الباب، ولكنها تفاجأت عندما توقفت ابنة زوج أنها وافت نظرة على بوليوس ثم على إيزوبيل وبدت كأنها تفكر ثم ابتسمت وقالت بلهق وواقعية: بالحقيقة لا أقدر أن أحملك إيزوبيل، لم أقدر فقط. أدرك الجميع ذلك ما عدك. نزلت على من السماء أنت وأمك وأردت أن تكون صديقتي وحاولت كسب ثقفي، وحاولت كسب عطفني كما فعلت مع والدي. كان عجوراً عنواناً. أعتقد أن أمك كانت تضمر من رفاته ولكنك لم تضمر قط منه. كنت دائماً عذبة، مهيبة، عطوفة ومحبعة... كنت الابنة الصغيرة المثالى على عكسي... حسناً فنانة منه، وكان يكره ذلك. ما كان يتقبل قط أن يعارضه أحد، وأنت لم تعارضي إرادته قط حتى مشكلة بوليوس.
 عندما ذكرت ذلك أدارت وجهها نحو بوليوس. في هذا الوقت كانت إيزوبيل تنظر إليه فرات وجهه يتوجه. حاول الوقوف عن مقعده ما إن تفوهت بوري بهذه الكلمات ولكنه تردد عاد وجلس على كرسيه... يبدو أن سلوكه أغضب بوري وزاد من حنثها فضلات عيناها وأدارت وجهها من جديد نحو إيزوبيل.
 - حسناً، زواجك فاجئني وجعلني أدرك أنني أساءت تقييرك. وأنك تتمتعين ببارادتك الخاصة وشخصيتك الخاصة، وأنك لم تكوني تلك المرأة الصغيرة الغبية كما ظنت. لذا ازمعجت، ازمعجت كثيراً خاصة عندما تورطت مع بوليوس الذي رغم كل محاولاتي ظل صالحاً وهو الرجل الوحيد الذي استطاع أن يقف في وجه إغرائي وينخل هني بشجاعة، لا سيما عندما أخبرني بوضوح في مناسبات عديدة أنه يجب نوعاً آخر مختلفة من النساء.
 قاطعتها بوليوس بحدة: أوضحت لك بصراحة وفي مناسبات عديدة

ترددت أولاً، لكن بوليوس وضع قدميه فوق بعضهما بعضاً وانحنا إلى ظهر الكرسي. كان واضحاً أنه لن ينحرك لتجهم وجه بوري ولكنها ساحت كرسيّاً وجلست ثم فتحت حقيتها وأخرجت علبة السجائر وأشارت سجارة ساحت منها نسأً عيناً... عندئذ نظرت إيزوبيل إليها بإامان فتورد وجه بوري تحت البرج الكثيف وقالت لإيزوبيل: لا تنظر إلى هكذا بحق الله إذا كنت ستؤتي وتعظيتي أفضل الرحيل.
 أجابتها إيزوبيل بلطف: لم أقل شيئاً حتى الآن.
 فضحك بوري: حسناً، لكنني أهرب بماذا ذكرتين وقد عرفت ذلك دائماً، فإحدى نقاط ضعفك إيزوبيل هي صدقك وشفافتيك...
 ثم نظرت بطرف عينها إلى بوليوس: والرجال يجدون هذا النوع من التبتوء مضجرة للبلاء.
 ربما ظنت أنها بهذه اللحظة مستجمل بوليوس بتحب، لكنها فشلت إذ رفع حاجبيه وضفت على طرف شفتيه وتناظر بأن تلك اللحظة السبعة بلا معنى... أطلقت بوري عقب سجاراتها بعصبية.
 - حسناً لا أدرى لماذا جئت إلى هنا بالحقيقة. أردت التأكد أنك يخبر، وأردت أيضاً أن أشكرك أنت وبوليوس لأنكم خلصتماني من لیام نوماس.
 قاطعتها إيزوبيل: «ولأنك أيضاً أردت التأكد إذا كان أختنا كل الصور، أعرف أيضاً ما يحول بخاطرك. حسناً، لا تقلقي لقد أخذنا كل الصور كما أخبرك من دون شك، وقد أحرقها كلها بوليوس».

رفعت بوري حاجبيها قليلاً ثم ضحكت.
 - حسناً. هذا مريح جداً.
 وقت بسرعة ثم أردت: أما أنت، فتبدين على ما يرام.
 أومات إيزوبيل برأسها، فارتدت بوري نحو الباب. كانت ترتدي ثوباً فرمياً ضيقاً على قياس جسمها. ظهرت كما كانت تبدو دائماً، متكلفة، مبهورة وجليلة. امرأة يمكنها الحصول على ما تريده.
 - بوري؟

ايزوبل تعرفها؟ فهي خدوعة متذمدة طولية. اعتقدنا أنا ووالدي أن ذلك لمصلحتها وخيرها في الواقع ما زلت مقتنعة أنها كانت على حق، وقد كذبت عليها بخصوصك وافتنت بذلك. كان بالإمكان أن تتغلب معتقدة أنك مبت وأنك تكرهها. كان بالإمكان أن أظل بحالة أنيس لـ عاشرت ايزوبل بـ رجل بسيط ضعير وأصبح لديها عائلة وولد صغير ضعير ... والآن يوليوبس، كان يلماكـانـكـ أخـيراًـ أنـ تـخـالـصـ منـ هـاجـكـ اللـعـنـ وـلـعـنـ نـةـ أخرىـ،ـ اـمـرـأـةـ مـنـ مـقـامـكـ تـنـاسـكـ.

تفز يوليوبس نحوها ثم عاد إلى مكانه وكأنه يختبر أن يرد عليها. ثم راح ينظر إليها بـ رعبـ وكانت ايزوبل أيضاً تنظر إلى شقيقـها بـ رعبـ.

كان صوت يوري ينـهـيـ وهيـ تـنـكـلـمـ بـ مـبـهـجـةـ يـمـكـرـهاـ وـخـبـنـهاـ المتـعـدـ وـظـهـرـتـ تـقـاسـمـ وـجـهـهـاـ قـاسـيـةـ وـبـدـتـ فـيـحـةـ وـمـسـةـ قـبـلـ أـوـاهـاـ وـ...ـ بـدـتـ كـوـالـدـهاـ قـبـلـ أـنـ يـتـحـرـكـ يـولـيـوبـسـ مـرـةـ أـخـرـيـ رـفـعـتـ اـيـزوـبـيلـ بـدـعـاـ يـطـهـ وـقـالتـ بـصـوـتـ ضـعـيـفـ:ـ يـورـيـ،ـ يـورـيـ،ـ لـاـ تـفـوـهـ بـهـ الأـشـيـاءـ فـلـاـ أـظـكـ تـعـيـشـهاـ...ـ أـنـاـ...ـ فـقـدـتـ طـفـلـيـ،ـ طـفـلـ يـولـيـوبـسـ...ـ وـهـذـاـ مـاـ جـعـلـنـيـ أـنـقـدـ ذـاكـرـيـ،ـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـعـيـشـ ذـلـكـ،ـ وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـصـورـكـ مـرـرـوـرـةـ يـبـبـ ذـلـكـ.

أـجـابـهـاـ يـورـيـ بـحـدـهـ:

-ـ هـذـاـ هـوـ السـبـبـ مـاـثـ النـاسـ يـقـدـنـ أـطـفـالـهـنـ.ـ اـسـمـيـ اـيـزوـبـيلـ أـنـاـ أـكـرـهـكـ...ـ أـكـرـهـكـ وـلـاـ أـرـغـبـ فـيـ رـقـيـكـ بـعـدـ الـآنـ.ـ ثـمـ مـشـتـ نـحـوـ الـبـابـ فـيـمـاـ يـولـيـوبـسـ مـنـ دـوـنـ أـنـ يـتـفـوـهـ بـكـلـمـةـ.ـ حـسـنـاـ،ـ حـسـنـاـ،ـ أـنـاـ خـارـجـةـ.

تقدـمتـ يـورـيـ نـحـوـ الـبـابـ ظـهـرـ وـجـهـهـ شـاحـجاـ لـحـتـ تـرـيجـهاـ.ـ كـاتـ عـيـنـاهـاـ تـلـمعـانـ شـرـأـ.ـ لـدـىـ وـصـولـهـ إـلـىـ الـبـابـ أـدـارـتـ وـجـهـهـاـ نـحـوـ اـيـزوـبـيلـ.ـ بـاسـطـاعـتـيـ أـنـ أـتـقـبـلـ كـلـ ذـلـكـ،ـ أـسـطـعـ بـأـرـضـ بـوـجـودـكـ هـنـاـ مـعـ كـلـ هـذـاـ مـالـ،ـ وـأـرـضـيـ أـنـ يـلـعـبـ يـولـيـوبـسـ دـوـرـ الزـوـجـ الغـيـورـ وـدـوـرـ الـلـامـيـ.ـ

أـنـيـ لـستـ مـهـمـاـ بـلـاـ.ـ فـلـمـاـ تـحـاـولـنـ الـكـلـبـ؟ـ لـنـ تـصـدـقـكـ اـيـزوـبـيلـ.ـ رـيـساـ.ـ لـوـ كـنـتـ مـاـكـانـكـ لـاـ كـنـتـ شـدـيدـ اللـثـقـ بـقـسـيـ.ـ فـلـيـزوـبـيلـ تـنـفـرـ عـنـمـاـ تـقـنـ بالـنـاسـ وـهـيـ تـخـدـعـ فـيـ الـوقـتـ ذـاـهـ بـسـرـعـةـ.ـ ثـمـ نـظـرـتـ إـلـيـهاـ وـتـابـعـتـ:ـ عـنـدـمـاـ رـجـعـتـ إـلـىـ لـندـنـ،ـ يـاـ هـذاـ كـانـ ذـلـكـ سـهـلـاـ جـداـ بـالـنـسـيـةـ إـلـىـ.ـ كـانـ ذـلـكـ كـمـ يـمـكـنـ يـاـخـدـ المـلـوـيـ مـنـ يـدـ مـطـلـ.ـ كـاتـ لـعـبـ بـسـيـطـةـ فـيـ الـبـدـاـيـةـ وـفـكـرـتـ أـنـ أـضـعـ الـعـصـاـ فـيـ دـوـالـيـكـ.ـ كـتـ سـعـدـةـ جـداـ وـائـقـةـ وـكـثـيرـةـ اللـثـقـ وـطـيـةـ جـداـ.

نـوـقـتـ بـسـخـرـيـةـ:ـ سـأـضـعـ رـسـالـكـ بـالـبـرـيدـ اـيـزوـبـيلـ،ـ هـذـاـهـ الرـقـمـ الـذـي عـلـيـكـ طـلـبـهـ.ـ لـمـاـ لـاـ تـنـهـيـنـ إـلـىـ دـيـفـرونـ؟ـ لـقـدـ تـقـتـ وـقـتهاـ مـعـ حـدـدـ مـنـ الـرـجـالـ.ـ

رـاحـتـ تـحـاـولـ تـنـيـرـ وـتـقـلـيـدـ نـيرـاتـ صـوـبـاـ الـبـتـكـرـةـ ثـمـ أـطـلـقـتـ فـسـحةـ صـفـرـاءـ وـتـابـعـتـ:ـ طـبـعـاـ،ـ لـمـ أـرـدـ لـلـفـيـ فـيـ لـعـبـيـ كـثـيرـاـ لـأـنـيـ أـدـرـكـ أـنـ يـولـيـوبـسـ سـبـعـوـدـ،ـ وـهـوـ لـنـ يـصـدـقـ بـسـرـعـةـ مـاـ قـدـ أـدـعـهـ وـلـكـ غـيـرـ جـداـ،ـ أـبـسـ كـلـكـ؟ـ أـوـاـ خـرـجـ مـنـ شـقـقـيـ وـقـالـ لـيـ إـنـيـ كـاذـبـ،ـ ثـمـ عـلـمـتـ أـنـ سـبـسـ كـلـ شـيـ «ـقـلـهـ مـاـ إـنـ يـرـاـكـ».ـ ثـقـيـتـ لـوـ صـدـقـيـ مـرـةـ وـلـوـ أـنـ شـكـ فـيـكـ،ـ لـكـنـ لـمـ يـمـكـنـ شـيـ»ـ مـنـ ذـلـكـ.ـ أـرـدـتـ فـلـقـطـ إـيـعادـ السـعـادـ عـنـكـاـ،ـ هـذـاـ مـاـ كـنـتـ أـرـيدـهـ.ـ رـيـساـ أـوـشـكـ ذـلـكـ أـنـ بـعـدـ لـوـ لـمـ يـمـكـنـ ذـلـكـ لـادـمـونـدـ،ـ لـوـ لـمـ يـكـنـ يـولـيـوبـسـ رـجـلـ سـادـيـاـ يـعـدـ لـلـدـةـ فـيـ تـعـذـيبـ طـيرـ،ـ لـمـ تـنـفـ يـوـجـهـ أـخـيـكـ وـخـوـلـ دونـ شـعـورـ؟ـ بـسـرـاحـةـ مـاـ زـلـتـ لـاـ أـسـلـقـ حـتـىـ الـآنـ لـمـاـذـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ يـولـيـوبـسـ؟ـ حـصـلـ كـلـ شـيـ بـيـسـاطـةـ وـيـدـقـةـ.ـ هـلـ تـعـلـمـنـ اـيـزوـبـيلـ؟ـ كـتـ أـرـدـدـ كـلـ لـبـلـةـ صـلـاـ صـغـيـرـةـ:ـ أـرـجـوكـ بـاـهـ لـاـ تـمـدـ إـلـىـ اـيـزوـبـيلـ ذـاكـرـهـ.ـ لـاـ تـعـدـهـاـ.

وقف يوليوبس فـجـأـةـ وـوـجـهـهـ مـنـ النـفـسـ وـقـالـ لـهـاـ:ـ حـسـاـهـاـ هـذـاـ يـكـفـيـ.

انـفـرجـتـ عـيـنـاهـاـ يـورـيـ فـأـجـابـتـ:ـ أـحـقـاـهـ ذـلـكـ؟ـ يـولـيـوبـسـ؟ـ لـمـاـذـاـ هـذـهـ مـنـ الـحـقـيـقـةـ،ـ أـبـسـ كـلـكـ؟ـ الـحـقـيـقـةـ الـتـيـ تـرـيدـ إـخـفـاءـهـاـ بـحـدـهـ.ـ لـمـاـذـاـ لـاـ تـدـعـ

في النهار التالي، شعرت ببعض التحسن وأحسنت أنها أفضل وأن
باستطاعتها التزول إلى الطابق السفلي. فكان أن إليها يوليوبس معطف
الفراء الذي اشتراه لها ولكن لم يفعل ذلك حتى تأكد أنها لن تشعر بالوهن
وأنها دائمة. واتت أخيراً على القيام معها بنزهة صفيرة في المدينة فاقسمت
إيزوبيل بسبب حرصه على سلامتها.

كان النهار دافئاً تحت أشعة شمس الربيع، سارا على مهل في غرفة
الأهاب التي تندأ أيام التزل نزواً إلى غرفة معاشرة جدول صغير يسير
حول مياه البحيرة الهادئة.

عبر ملعب النساء نزواً حتى التزل الصيفي الصغير. وفيما هما سائران
في هذه الأماكن للألوقة، تذكر إيزوبيل بالأيام السابقة التي كانت هنا،
تلك الأيام السحرية التي أقضياها معاً قبل ذهابها للزواج. في تلك المرحلة
عرفت أن يوليوبس يفكر بها أيضاً. وفي أحد الأيام توجهت إلى البحيرة. وفي
النزل الصيفي الصغير، اللجمي من الهواء جلا صائمين لبعض الوقت.
كان الآن يفكر بصمت.. فرات إيزوبيل هيبيه تعبّر عن مياه البحيرة لتصلا
صعوباً إلى ملعب النساء، ثم قال أخيراً: ذكريات عديدة تركتها هنا.. كما
لعب النساء وقت التروب.. عندما تصبح أشعة الشمس شاحنة صفراء..
هل تتذكرين؟ وفي صباح أحد الأيام، قضايا مرحلة في البحيرة في زورق. وهذا
كان لقائنا الأول.

نظر إليها وهو يستعيد المذكر.

- أشعر أن ذلك كان أيام جزء من حياتي، أتذكر كل شيء، أتذكر كل
مرة التقينا فيها.. وأنذكر كل الأماكن التي قصدناها وليس ذلك فحسب
بل أذكر ما كنا نتحدث به وما كنا نرتدينه.. وأنذكر أيضاً الأيام التي كنا
فيها صغاراً. والأوقات التي مررت من دون أن أراك فيها بعد الشاجرة التي
ولدت بين أهنتنا. ثم أتذكر الوقت الذي كبرت فيه فجأة. وكنت.. وكانت
جيئة جداً، وأنا... .

فاطمته إيزوبيل بهذه: كنت عائداً أتلدلاً من المحطة، وكانت في الخارج

ولكن لن استطع أبداً أن أتحمل نكرة وجودك مع ولد خاصمة ولد، لا
استطع أيضاً. لذلك أستودعك إيزوبيل ولا تخواли دعوتي إلى حضور معايدة
ابنك. هل سترسلين لي دعوة؟
خرجت... كان كلّها يسمعون وقع كعبي حذائهما العالي يضرّيان
الأرض يذهب.

أقبل يوليوبس الباب. مني عبد الغفرة وقال لها: حبيبتي هل أنت
بخير؟

كان ينظر بقلق إلى عينيها.

- كنت على وشك منها عن مواصلة الكلام، ثم تذكرت أنا فعل ذلك.
ووجدت من الأنفع أن تسمعها بنفسك.

- تذكرت في ذلك أيضاً.

نظرت إليه بعمق ثم تهمّ وجهاها: «إنها تكرهني يوليوبس. تكرهني
كثيراً... لماذا؟ لماذا؟».

- حبيبتي، انتظري إلى المرأة تحرّك الباب. فمع كل الملا، وكل
البراعة، وكل الساحيق في العالم لا يمكن لبوبي أن تبدو مثل ذلك وهي تعرف
ذلك. من هنا، من هذه الحقيقة كانت البداية، اعتقاد... وبعد ذلك، أنا
باقي فواضح جداً. أعتقد.

ثم رفع وجهها نحوه ونظر في عينيها الجميلتين.

- كنت تحييها كثيراً ليس كذلك؟ بالنسبة لامرأة مثل بوري هنا في لا
يغتفر فهي تكره الحب لأنها تكره نفسها وهي تعتقد أنها لا تستحق ذلك.
جعلتني أشعر بالغضب الشديد وبالازدراء نحوها. وأخيراً أشعر بالأسف
عليها لأنها يمكنها تكون كنهاية والدها، هل تدركين ذلك؟

أومأت إيزوبيل برأسها، فقال لها: لا تزيدين البكاء؟ يمكنك البكاء
إذا أردت على كثني. وعدتك مرة بذلك منذ وقت بعيد.

نتهدت إيزوبيل... إليها تحيه بسبب لطفه وعطته، لكنها أدركت أنها

لاتريد أن تبكي بعد الآن. لقد ذرفت آخر دمع لها على بوري والدعا.

بمفرد

أنتَه مع كلب أبي العجوز.. هل تذكر ذلك؟

ابسم بوليوس: كلب صغير مرقط بالأسود والبيض.. آه! أجل أ
توقف ودعوك إلى مراقبتي في ترفة، فقلت إنك تتشبع نحو المستعمرات.
ناجيك سأخذك معي إلى هناك.

- ورحنا نمشي هناك وبقينا نمشي عدة ساعات. كان نمير وتحددت
أنا الكلب فكان يطارد الأرانب. ثم أرجعتني إلى المنزل وتوقفت في آخر
المر الفيق فقلت لك أخاف أن يراني أحد معك. وشعرت... آوه!
بوليوس! شعرت بالسعادة والإثارة وبالخوف أيضاً لأنني لم أصور أن
شعورك مثل شعوري. فكرت أنك سذهب وانتي لن أراك مرة ثانية.
عندئذ أدرت وجهك نحوي وقلت لي: أريد أن أراك مرة ثانية. فتوقف قليلاً
عن الحففان فأجيك: وأنا أريد رؤيتك مرة أخرى أيضاً، هل ترى؟ أتذكر
كل شيء الآن.

نهد بوليوس قليلاً ونظر إلى وجهها: حبيبي! آوه! حبيبي هل
تدركين الآن؟ هل تفهمين كم كان ذلك صعباً ومؤلماً على؟ كنت أتذكر كل
ذلك، كل التفاصيل بدقة.. تفهمين مدى العطاب الذي كنت أعيش
فيه؟

انقطع صوته ورأى الألم الحالك في عينيه.

- بعد ذلك، رأيتك. رأيتك مرة ثانية بعد خمس سنوات من الجحيم،
فوجدتك لا تذكرين شيئاً. شعرت كأنني أطعن بحربة في قلبي. كنت
متاكداً أنك تكذبين.. لم أدر لماذا ولكنني لم أتصورك قادرة على نسيان كل ما
كان بيننا.. رحت أذكر وأقول لنفسي: يجب أن يكون هناك سبب لهذا
الصرف، عندما ستكونين معي في شتنى فستعرفين بأنك لم تنسى شيئاً..

توقف: ولكنك لم تقولي شيئاً، ولم أطلق أية إشارة، أو أي ذرة من
العارف. رحت تحدّثيني عن بوليوس الذي مات والذي كان طريباً بالنسبة
لك. وعندما سألك إذا كان لهذا الرجل الذي تتكلمين عنه زوجة ولم احظ
بأي جواب شعرت بأنني إنسان ميت. ثم شعرت بأنك ستذكرني

وانظرت أن أسمعك تناديتي باسمي..

توقف لحظة فرأى هبته تتجهمان من اليأس.

- وعندما لم تفعل ذلك شعرت بالألم والغضب، فقلت لها شيئاً: نطيع
لا يمكن ماسحته. وجل ما كنت أذكر فيه أنتذاك هو الرغبة في إيلامك
أيضاً.. آه! حبيبي هل تفهميني؟ هل سأعطيك؟

- بوليوس! أحبك.. لا تقل ذلك فأنت لم تفعل أي شيء لأساعدك
عليه.

أدارت وجهها نحوه، يحب وحنان.

- ألا ترى؟ أنا أنتذاك والحقيقة أن جزءاً منها كان يذكر، وأنت تحمل لي
معطفى وعندما قلت لي الأشياء التي سبق أن قلتها لي في الماضي، أعطيك
نفس الأجرمية من دون أي تفكير وألي معمرة.. ألا ترى ذلك بوليوس؟ كان
هناك طوال الوقت شيئاً يعسمنا بكل الحب الذي تشرب به كان هناك كاملاً،
في مكان ما، من فكري وتلقي.. والآن.. الآن هو هنا بكامله. أنتد أن
أراه مرة ثانية، لا أشعر به فقط، أو أؤمن به، أو أحلم به، بل أراه أيضاً من
جديد.

توقفت وأدارت وجهها نحوها برقة لكي ترى حبيبه اللتين ما يزال قيهما
بعض الشك وبعض الألم شعرت بهدوء سعيد حقيقي، وبالإحساس كبير
بالقدرة لأنها علمت الآن أن لديها القدرة لتحمل هذا الألم يختفي.

- بوليوس... هل تصدقني وترى أن على حق؟ انظر إلى.. هل ترى؟
الأبواب افتحت، والستائر رُميت إلى الوراء والتوازن المُوصلة رُفعت هي
وكل تلك الصور السلبية. أنتذاك وأعترف.

ضفت على يده بقوه وتابعت بصوت خافت: دخلنا يوماً إلى هنا،
كانت الأشجار ذات الرائحة العطرة مزهرة وكان الضوء شاحباً، وكان هناك
بجمعة واحدة في البحيرة، بجمعة واحدة، بوليوس.. تماماً كما حدث يوم
يكتب في ذلك المطعم. في ذلك المطعم كان هناك أيضاً بجمعة واحدة. وجلسا
هنا وراقبناها بصمت، وعندئذ قلت لي: «أحبك أيزوبيل»، تماماً بكل

بساطة من دون مقدمات . . . لم عهد لذلك.

- هل تمنى أنه كان من المفروض أن أنهد؟

ضحك برقه فرأته الضوء يعود إلى عينيه.

- لا، ما فعلته كان صحيحاً وصواباً. كل شيء كان . . . أنت عرفت وأنا عرفت وبعد ذلك . . .

رغم يده بلطف وأمسك خصلة من شعرها كانت قد سقطت على جيئتها وأبسم ثم قال: «طبعاً كنت أنتظر بفارغ الصبر أن أتزوج بك . . . عرفت ذلك وأردته».

فأطهته إيزوويل بلطف: أعرف لماذا كنت تزوجي، وكانت أريده أنا أيضاً. وماذا حصل بعد ذلك؟

- أجل، ماحدث بعد ذلك هو أنني قلت لك أحبك. ظشك نسب هذا الجزء.

- أوه لا، جيئني أوه، لا، لم أنس.

في تلك الليلة دارت بيهمَا مشاجرة شاحكة . . . قال بوليوس إن إيزوويل لا تزال تفتقر إلى القوة الالازمة لتهضم، وإن من الأنفضل أن يجلس لها العشاء على صينية إلى طرفها، وأنه سيتناول الطعام معها هناك، ثم يتحدىان قليلاً، وبعد ذلك يجب أن تمام وتستريح. فقالت إيزوويل: إنها بالتف�ج وبكمال توعها، ولا تبة لها أن تلعب دور المريضة بعد الآن، وإنها ستتناول طعام العشاء معه في الطابق السفلي. أخيراً وافق بوليوس. أخذَا بشاجران بهدوء، وأخيراً قالت له: «بوليوس . . . هل أنت تلقى على حسي لا تقلق أنا بالف خير».

عمت وجهه غمامه خوف: «أوه! الهي! أريد ذلك كثيراً. جيئني أريدك سليمة وقوية، أريد . . . وأريد . . .».

القطع صوته وتردد لم يستعد قليلاً: أريدك أن تحمل طلتنا، أريد أن أشعر أنه يتحرك في أحشائنا . . .

أجابه: «أوه! بوليوس، أريد ذلك أيضاً قريباً، أنا متأكدة من ذلك.

بعد ذلك، أمسك يديها وقال إن عليهما الآن التزول لتناول الطعام
العشاء.

استعدت السيدة ديرنخ للمناسبة، فاعدت لهما عبداً. تناولا الطعام
بهدوء وهناء.

أمسك بوليوس يدها وها جالسان أيام النار . . . ابسم وقال لها:

- السيدة ديرنخ سعيدة جداً الآن، صعب عليهما أن تكتب خاصة لأنها متعلقة بك كثيراً. شرحت لها الوضع وتناقشت معها حتى رضيت بذلك التضليل. احتجت إلى هذه ساعات حتى أتمتها إذ لم يكن بإمكانها أن تصدق أنك نسبت كل شيء كما لم يكن بإمكانها أيها تصديق ذلك. كنت أعيش على أعصابي طوال الوقت الذي كنت فيه هنا، فقد خضت أن يصدر عن السيدة ديرنخ أي خطأ أو أي زلة لسان. لا يمكنني يا عزيزي أن تصوري ما أقطع أن تعجز هكذا عن إخبارك الحقيقة بينما كنت أريد إخبارك في لحظة من كل يوم.

أجبته إيزوويل: «أخبرتني ذلك تقريباً ذات مرة، في مراكم عندما أرجعت إلى الخاتمة».

- كلعني ذلك جهداً فوق قدرة الإنسان. أجل أخبرتك تقريباً آنذاك، حاولت إخبارك بطريقة أخرى . . . و . . . هل تتذكري؟

- أجل آنذاك.

- «علمتنا» قال ذلك وهو ينظر إلى النار بصمت. فذاقت له إيزوويل نجمة:

- أوه! بوليوس، أخبرني ماذا حدث بالضبط لك، ماذا فعلت؟ وماذا فكرت؟ أريد أن أعرف . . . أريدك أن تخبرني. قلت إنك تكرهني، تكره المرأة التي حطمت حياتك وإنك إذا التقى بها مرة ثانية ستحطمها. هل كنت تعنى ذلك؟ هل كنت تشعر بذلك؟

بعد صمت قصير أجابها بوليوس وهو ينظر إلى النار في المدفعاة بصورت شاخت: أتعتني تقني بذلك. كرهت بالحقيقة زوج أمك، وظللت أخطط

لأن أفعل ذلك.

- حسبي. كان ذلك مسحلاً. نظرت إلى عينيك، شعرت بالفبراع.
عاماً كما كان يحدث دائماً.

ثم قبل جسديها برقه، ونابع بيده: احتررت وكرهت نفسي بسبب ما
فكترت وما فحست، لكن هذه هي الحقيقة. هل تصدقني؟
- أجل أصدقك.

احت رأسها فالحب الذي تشعر به نحوه هو الحب الذي لا مكان فيه
للاعتذار أو المغافلة ولا للهرب.. ذلك كان بوليوس وهي تعي أنه من أجل
ذلك.

- تلك الليلة كانت كحلم مزعج، لم استطع أن الخلاص منها.. يومذاك
عدت إلى هنا سعيداً، ولكنني لم أجده.. وحيث انشد عنك فني بادي،
الأمر لم أكن مضطرباً. ولكن عندما لم استطع أن أجده في أي مكان بدأت
أشعر بالخوف ورجعت إلى غرفة النوم ووجدت الخاتم. لا ملاحظة ولا
شيء، لم أستطع أن أصدق نشرت بالليل وونفت هناك أنظر إلى المخاتم
وأنا في يدي وأحاول أن أحزر ماذا يعني ذلك وأين يمكن أن تكون قد
ذهبت؟ عند ذلك ذكرت أنك ذهبت حتى إلى منزل زوج أمك، أو ربما عرفت
بوجودك واتصل بك هاتفياً.. لم أعد أدرى بما أذكر. وكفشت إلى الخارج
فلم أجده السيارة عند ذلك تأكيد أنك هناك. كنت خائفاً جداً. وكفشت إلى
الراب وأخذت سيارة أخرى. وحاولت أن أتود معاشرة في نفس الاتجاه،
فوصل أدموند الذي كان عاجزاً تقريباً عن المشي.. كان مصدوماً، وجهه
ممزوج بزجاج السيارة وكانت ثيابه ملطخة بالدم.. ثم راح يتكلّم عنك
وهو.. أنس.. لا أريد التكلّم عن ذلك. بإمكانك تصور نوع تلك
الكلمات التي تفوه بها. قال إنكما حييان وإنك ذهبت معه لتبكي غيره
وإنك أدركت بسرعة خطأك وجيئ من لندن إلى هنا لتكوّن معه. وإنك
عندما خرجت من للنزل، اتصلت به هاتفياً وطلبت منه أن يأتي ويعذرك عنه
ثم قال إن الحادث وقع وهو معك.

طوال خمس سنوات، حسناً فلننقل إبني كمت أنوي الانتحار. عندما تعيشين
من دون أمل فهكذا كانت حياتي هذه خمس سنوات يصبح الانتحار دالماً
مساهداً ولكنه بالمقابل يأكلك ويهمشك.

- هل تعي أنك ذكرت في تحطيم زوج أمي؟
- في وقت ما أجل. لقد حطم حياة عدة أشخاص بسبب أنتبه... لم
يكن ذلك من باب الصدفة أن يرضي مصرفي بتصدير اعتقاده. كما متاكدين
أنه يسع إلى تحطيم نفسه ولو استمع إلى نصيحة عافية في ذلك الوقت لكانت
باستطاعته أن يتجوّل وتحاشي الإنفلات، لكنه لم يفرض.
- وبعد ذلك؟

- وبعد ذلك قررت أن أحطّمك أنت أيضاً إذا استطعت. انتظرت
الفترة المناسبة فلما علمت أن زوج أمك مات وأنه لم يترك أي شيء وأنني
أهلك النزل الذي تعيشين فيه وكل شيء، حتى الملابس التي ترتديتها.
شعرت بالفرح. قررت أن أدخل إلى تلك الغرفة بعد المساء وأجاكي بالكلمات
التي تعيشين فيه. وكانت أتوقع أن تتعزّز إلى حالاً. كنت أنتظّر بفارغ
الصبر تلك اللحظة. وبعد ذلك..

توقف.. ونظر إلى عينيها: وبعد ذلك دخلت إلى تلك الغرفة وكانت
هناك، أنت زوجي. ولكن الأمور لم تمر كما خطّلت لها. كان هناك حضر
لم أُخذه يعني الاعتبار ولم أتبّع له. عندما دخلت إلى تلك الغرفة ونظرت
إليك... .

تهدّد نشرت إيزوبيل بالتوتر: أحيينك تماماً كما أحييتك دائماً، بقوّة
أكثر من أي وقت. هكذا انتظرت خمس سنوات وأنا أخطّم ثم وجدت نفسي
هاجرأً عن تقبيل الحضرة. كان أسهل على أن أطلع يدي، على أن أؤذنك بأي
شكل من الأشكال. كنت كذلك دائماً وسابقني هكذا إلى الأبد. وهكذا
جربت بعناء أن أحمل نفسي على كرهك فلذكري تفاصي بما قد فعلت. ذكرت
في أدموند، وفي الأشياء التي حكتها لي بوري هناك. كما اعتقدت أنك كذبت
على زوج أمك وعمل البوليس، فأقامت إبني هذه المرة لن أصدقك ولن أتبرّأ

توقف، فشعرت من خلال صوته الجهد المؤلم الذي كان يقوم به ثانية حدثه.

- إيزوبيل، لا أدرى في ما فكرت آنذاك. لا أدرى بالحقيقة إذا كنت قادرًا على التفكير. شعرت بالمرض والخوف والألم. أخبرني إدموند أنك ازرت خارج السيارة وأنه لا يدرى إذا تأذيت أم لا. فكرت يا عزيزك أنك لاقت حتفك، فتركته هناك وقلت السيارة مرحوباً إلى مكان الحادث. عندما وصلت كانت سيارة الإسعاف قد أخذتك بعيداً ولا سالت عنك لم يستطع أحد أن يغير في ما كنت على قيد الحياة.. ذهبت إلى المستشفى وهناك.. قابلت زوج أمك الذي قال إنك على قيد الحياة وإنك ستمشي لكنك فقدت وعيك فإنه ليس بإمكانك رؤيتك. بذا كأنه يدخل وقد رأيت ذلك في هيبة. وقف في هررض الباب ومتمني من الدخول وقال إنه سيعملك من رؤيتي في أي حال وإنه سيرميكي في السجن بسبب ما فعلت بابته وإنك قد أخرجه قبل أن تفقدني وعيك أنت حطفتك وإنك طلبت مني أن أعيدك إلى المنزل. ثم قال: «كنت تقود السيارة، أنت يا ابن الساقطة...» أعرف أنك كنت تفود، إيزوبيل أخبرتني بذلك ولذلك لاتب حتفك وإنك لم تذهب إلى الجحيم».

سمعت الغضب في نبرة صوته وكان يتنفس بصعوبة وبصاول خالك نفسه. ثم قال: «أنت تعرفين الباقى». طلب مني إدموند أن أخلصه من هذه الورطة. فكرت أنك كنت تحاولين حماية والتر عنه ولأنك أحبك قررت أن أندى ما تريديه بالضبط... قال لي إنه لا يرحب في رؤيتك بعد الآن ولا يريد رؤيتك بعد الذي لعلك باخيه. لكنك كنت مجرد أعلى مساعدته، يجب أن يظل إلى جانب والدتنا التي كانت تبكي كثيراً والتي إن علمت بما حصل معه ستتصوّت من المزن... راح يتكلّم ويتكلّم، وأخيراً وافتت على مساعدته. فكرت أن هذا ما كنت تريديه، فرضيت ولم أعد أذكر في العواقب. فانا مش بالفعل... هكذا كلّت... ذهبت إلى المحكمة. أنا الشاب الذي كان مؤمناً بـ إيماناً صادقاً بالعدالة. وسارت الأمور من دون أي

جهد. قلت لهم إنها سياري وإن الدماء الموجودة في السيارة من فتة دمي فقط هي كففة دم أعموند والتي قد حطفتك وهررت مركب إلى شمالي إفريقيا غصباً هنكي، وحصل ما يبتنا وأنا بحالة غضب شديد وأنك أردت العودة إلى المنزل، فأثبتت بذلك ثقفي. للنالم يأخذوني حتى ألل كرسى الشهادة وانتهت المحاكمة في ثلاثة أيام. وبعد ذلك ذهبت إلى السجن».

- أوه! بوليوس أهداً مربع جداً هذا مربع.

ضفت إيزوبيل يدها على كتفه وساد الصمت بينهما بضع لحظات. ثم نظر بوليوس إليها بدهونه وتتابع: «حيبني. لا يهم ذلك. ولكن السجن لم يكن مشكلة بالنسبة إلى، فالسجن والنفسبان الحديدية والطعام التي كل ذلك لم يكن يعني لي شيئاً أيام اللسائل الحديدية التي كانت حول قلبي. فكرت أنك لم تخبني قط، وإن كل ما حصل يبتنا كان كذلك. تلك كانت قضيتي وجسلتي وعากستي، ذلك كان سجنني وجحبي. وقد ذهب كل شيء الآن ولكن عندما أذكر في الماضي أشعر بالحزن والألم فأشعر بالشقة عليك وعل إدموند وعل حياته التي قضاها سدى. ولكن أعلم شيء الآن هو أننا عدنا إلى بعضنا بعضاً وأنني أحبك، وهذا هو الشيء الوحيد الجيد الذي استخلصته من خلال هذه المشكلة. بطريقة أخرى: أعتقد أن ذلك أعموجية، أعموجيتنا. هنا كل شيء. وكل الذي أشاهه الآن هو أن أجملك سعيدة وأنت الماضي. وأعتقد أنه بطريقة ما قد حصلنا على مستقبل مشترك ومستقبل طويل ليس كذلك؟

لم يحبه إيزوبيل وأدرك أنه يفهم جوابها من تصرفاتها.. ابعد عنها قليلاً، أشك يدها وقال لها: حبيبي الوقت متاخر جداً يجب أن تستريحي وتنامي.

حاوّل إمساكها ومساعدتها على السرير نحو الباب ولكن إيزوبيل نوّقت نعاجة ورفقت إليه عينيها الجميلتين البرّيتين وقالت له: هناك شيء آخر أريد أن أهربه.

- أجل.

- أردت أن أسألك عنه من قبل، ولكن الأمور تعقدت وحدثت أشياء
كثيرة.

ثم ابسمت ورفعت يديها إلى عينيه وقالت: عيناً! عندما جئت إلى
منزل زوج أمي، وعندما ذهبت إلى شقتك في لندن وخلال سفرنا وجودتنا في
المغرب. كانت عيناك مختلفتين، لم تكونا رماديتين، بوليوس.

ابسم و قال لها: كان ذلك بسيطاً جداً، كنت أضع عدسات لاصقة
 فهي تعطي عللاً وتغير لون عيني. وضمنها لمدة ستوات ولم أزعجها قط
 سوى في ذلك اليوم الذي واجهتك فيه... عندما أخبرتني من الأحلام التي
 كانت تراودك، تذكرت أن انتظر قليلاً حتى أزهها وبعد مرورنا من المغرب
 قررت أنهحان الوقت لترى هيئتي.

نظرت إليه أيزوبيل بحنان: لا لاحظت ذلك في المغرب، لذلك كان من
 السهل على أن أنساس الماضي لأنك كنت معي، لأن بوليوس كان معي وله
 رجع إلى. فكرت لأشعره أنني عرفت ذلك.
 أجابها وهو متعجب: هل عرفت ذلك؟ حسناً، إذا كنت تريدين
 الحقيقة، فأنا لا أصدق أبداً. اعتدلت آذاك لأنك قد تستحب بوليوس كلباً
 وأنك كنت سعيدة جداً مع البوت ورشاردسون الرجل المصرفية الياردة،
 نشرت بالغيرة منه وأحسست بالانقباض.

أجبت أيزوبيل وهي تبتسم: لا معنى لذلك، فضحك بوليوس:
 - اعتدلت أن ذلك يكتفي بهذه الليلة. تعال إلى الطابق المعلوي.
 وحاول أن يسرع منها في المرور ثم توقف متربداً. ثم قال لها أخيراً:
 - أشمررين حقاً أنك بخير؟

ضحكـتـ أـيزـوـبـيلـ وأـجاـبـهـ:ـ أـخـبرـتـكـ أـنـيـ بـالـفـ خـيرـ وـأـنـيـ تـعـافـتـ.
 عـرـفـ أـنـ لـيـسـ مـنـ الضـرـوريـ مـتابـعـةـ التـقـاشـ وـأـنـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ تـكـفـيـ.
 وـقـالـ لـهـاـ:ـ فـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ تـصـعـدـ إـلـىـ غـرـفـتـيـ.
 وـمـشـيـ مـعـهـ بـعـضـ خـطـوـاتـ ثـمـ تـوـقـعـ وـقـالـ لـهـاـ:ـ أـرـيدـ أـنـ أـنـاـكـ هـذـهـ
 الـلـيـلـةـ إـذـاـ كـنـتـ فـعـلـاـ سـتـرـفـيـنـ مـنـ مـعـكـ بـولـيوـسـ أـمـ الـبـوتـ.ـ إـذـاـ مـاـ

اعطيات...

توقف لحظة ونظر إلى عينيها وهو يتسم فاجأته فوراً: أجل،
 بوليوس.

- إذن سأتأكد من ذلك بعداً. وسوف أواصل ذلك حتى تصبحي
 متأكدة تماماً وكلباً.

• • •